المحاضرة الأولى

عنوان المحاضرة

أحوال شبه الجزيرة العربية قبل ظهور الدعوة السلفية

تتكون شبه الجزيرة العربية من عدة أقاليم متميزة، جغرافياً ومناخياً. أهمها: الحجاز، وعسير وتهامة، واليمن، وحضرموت، وعُمان، والإحساء، والبحرين، ونجد.

وتشغل المملكة العربية السعودية، اليوم، معظم شبه الجزيرة العربية. ويشترك معها في حدود سياسية، كل من الجمهورية اليمنية، وسلطنة عُمان، ودولة الإمارات العربية، وقطر، والبحرين، والكويت.

وأهل شبه الجزيرة العربية ينقسمون إلى: حضر، يسكنون المدن والقرى. وبدو، ينزلون في الصحراء، حيث تتوافر موارد للماء. ولكل من القسمين أنماط معيشة وعادات مختلفة، وإن جمعت بينهما الصفات العربية الكريمة.

١. إقليم الحجاز

يمتد إقليم الحجاز من العقبة شمالاً، إلى تهامة عسير جنوباً، شرق البحر الأحمر. وتقطن فيه قبائل عربية كثيرة، منها: حرب، وجهينة، وبلي، والحويطات، وبني عطية، وبني سُليم، وهذيل، وثقيف، والأشراف من قريش، والبقوم، وبعض عتيبة، وغيرهم.

وتتبع هذا الإقليم مدن وقرى كثيرة، منها مكة، وجدة، والمدينة، والطائف، والقنفذة، والليث، ورابغ، وينبع، والوجه، والمويلح، وضبا، ورنية، وتربة، وغيرها.

وفي أواخر العصر المملوكي، في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، كان الحكم الفعلي، في إقليم الحجاز، للأشراف في مكة المكرمة. ولما فتح السلطان سليم الأول مصر، عام ٩٢٣هـ/١٥١٧م، أوفد شريف مكة، آنذاك، بركات الثاني، ابنه، أبا نُمي، إلى مصر، حيث قابل السلطان، وقدم له مفاتيح الكعبة، إعلاناً لولائه، ودخول الحجاز تحت الحكم العثماني.

واهتمت الدولة العثمانية بالحجاز، لأنه مصدر لسيادتها الدينية في العالم الإسلامي، بصفتها حامية للحرمَين الشريفين. وأولته جل عنايتها، بتعيين الولاة العثمانيين، الذين تولوا أمور الحماية العسكرية، وجمع الضرائب، وتأمين طرق قوافل الحج. وكان لشريف مكة مسؤولية تسيير أمور الحج، في الأماكن المقدسة، وتأمين طرق الحجيج. وكان هناك قائمقام عثماني، مقره جدة. أمّا والي الحجاز العثماني، فمقره في مكة، شتاء، وفي الطائف، صيفاً. ويوجد محافظ عثماني للمدينة المنورة. وكان نفوذ أشراف الحجاز ممتداً من معان، على أطراف الشام شمالاً، إلى القنفذة، على ساحل البحر الأحمر جنوباً. وكان يمتد إلى الشرق، فيشمل بعض نواحي إقليم نجد.

وكان النزاع لا ينتهي، بين أشراف مكة، في المناصب والموارد المالية. وكثيراً ما تدخل فيه الولاة العثمانيون في مصلحة أحد الطرفين، مما اضطربت معه أحوال الإقليم، وعانى الحجاج والأهالي كثيراً من المحن، بسبب هذا الصراع المرير.

وكان الحج مورداً من موارد الرزق، لكثير من أهالي مكة المكرمة والمدينة المنورة، الذين عملوا في خدمة الحجيج، وتبادل التجارة معهم.

وكان سكان الحجاز من البادية، يتعرضون لقوافل الحجيج، وينهبون المحامل، ويسفكون دماء الحجاج الآمنين. وكانت القبائل تفرض الإتاوات على القوافل، لكي تمر بسلام عبر منازلها. وإذا لم يُدفع لها، فإن مصير القافلة القتل والنهب والتشتت.

ولم تشعر هذه القبائل بقوة سلطة الدولة العثمانية. ولم تردعها الحملات التأديبية، التي كان يقوم بها شريف مكة، بين حين وآخر.

وكان لوجود الحرمَين الشريفين أثر في الحياة العلمية في الحجاز. فقد كان يفد بعض العلماء، من مختلف بقاع العالم الإسلامي، للمجاورة في مكة المكرمة والمدينة المنورة. ويقومون بالتدريس والتأليف. وانتشرت المدارس والمكتبات، التي أنشأتها الدولة العثمانية، أو الموسرون من أهالي الحجاز. وأسست الأوقاف، للإنفاق عليها، فازدهر النشاط العلمي.

وكان الحجاز، مثل بقية بقاع العالم الإسلامي، في العهد العثماني، تنتشر فيه الطرق الصوفية. ويعمل أتباعها على نشر معتقداتهم، من خلال الزوايا والتكايا والمدارس. فنتج منه كثير من أمور البدع والخرافات، التي تعد خروجاً عن أوامر الشريعة الإسلامية، مثل التوسل بالأولياء والموتى والنذور، وإقامة الموالد.

وكان الجهل بالدين سمة أهل البادية، في الحجاز وغيره من مناطق شبه الجزيرة العربية. فقد ترك الناس إقامة العبادات، ومارسوا من الأعمال ما ينافي الدين. ولم تكن هناك مساجد في البادية، يجتمع فيها الناس للصلاة ولتلقي الوعظ والإرشاد. فابتعد الناس عن الدين، وانحطت الأخلاق، وفشا فيهم الجهل.

٢. إقليم عسير والمخلاف السليماني ونجران

يضم هذا الإقليم منطقة عسير (السراوات وتهامة) وجازان ونجران.

أطلق على منطقة جازان اسم المخلاف السليماني؛ والمخلاف يعني المنطقة، والسليماني نسبة إلى سليمان بن طرف الحكمي، الذي وحد تلك المنطقة تحت إمرته، عام ٣٧٣هـ/٩٨٣م.

وأهم مدن عسير: أبها وخميس مشيط والباحة وأحد رفيدة.

وأهم مدن المخلاف السليماني: جيزان (جازان) وصبيا وأبو عريش.

وأهم مدن نجران، هي نجران.

وأهم القبائل في هذا الإقليم الجنوبي: قحطان، وشهران، وشمران، وغامد، وزهران، وبنو شهر، ويام وغيرها. ويعمل أهالي عسير في الزراعة والرعي. وأهل السواحل يعملون في الصيد.

وكان نفوذ أشراف مكة المكرمة، ممتداً إلى القنفذة، على البحر الأحمر. وكان الزعماء المحليون، من شيوخ القبائل، هم أصحاب الكلمة في هذا الإقليم. وكانت السلطة العثمانية، ممثلة في متصرفية عسير، غير متمكنة من السيطرة الكاملة عليه، بل امتلأ تاريخ تلك الفترة بالثورات وأعمال العصيان، التي استنزفت القوة العسكرية العثمانية في شبه جزيرة العرب.

وعلى الرغم من حياة الاستقرار، التي غلبت على أهل عسير، فإن الحياة العلمية، لم تكن مزدهرة ازدهارها في الحجاز. ولم تتهيأ الظروف لظهور علماء بارزين في المنطقة. وكانت الحياة الدينية مرتبطة بالواقع العلمي للإقليم.

وكانت إمارات متعددة، في المخلاف السليماني، تتولى قيادتها زعامات من الأشراف، الذين يدينون بالولاء لحكام صنعاء. وظل الوضع السياسي للمخلاف على هذا الحال، حتى نجح الشريف أحمد بن محمد بن خيرات، في كسب ولاء الزعماء المحليين، ثم استطاع ابنه، محمد، توحيد البلاد تحت قيادته.

ويعتمد سكان المخلاف السليماني، في حياتهم، على الثروة، السمكية والحيوانية، والزراعة. كما كانت التجارة ناشطة، عبر موانئ جازان، مع البلاد المجاورة.

وكان أغلب سكان الإقليم، يعتنقون المذهب الزيدي، المنتشر في اليمن. وبعض منهم على المذهب السُّني، خاصة الشافعي. ولم يكن هذا الإقليم ليسلم مما انتشر في بقية البلاد، من الطرق الصوفية، وشيوع البدع والخرافات.

وفي منطقة نجران، كان السكان من قبائل يام، ومنهم المكارمة، الذين يعتنقون المذهب الإسماعيلي الشيعي. واشتهرت قبائل يام بالنشاط العسكري، الذي كان مصدراً لدخلها. فحاربت في صفوف زعماء المخلاف السليماني، ومع خصوم الدولة السعودية. ولم تكن الحياة الدينية عندهم مختلفة عن بقية القبائل الأخرى.

٣. إقليم الأحساء

ويشمل الأحساء وميناء القطيف، وبلدان الهفوف والمبرز وعنك وسيهات والجشة، وغيرها. وتسكنه قبائل العجمان، والهواجر،ومطير والدواسر، وبني خالد، وبعض بني مرة.

ويعتمد سكان الأحساء والقطيف على الزراعة. فالمنطقة عبارة عن واحات، تشتهر بغزارة المياه، التي تنبع من عيون الأحساء، فتكثر فيهما بساتين النخيل، ومزارع الأرز. ويعمل السكان، أيضاً، في صيد الأسماك، والغوص بحثاً عن اللؤلؤ. وكانت موانئها تستفيد من التجارة الداخلية، مع منطقة نجد. ولهذا، تهيأت الظروف لهذا الإقليم، لأن يفرض سلطته على منطقة نجد، في بعض الفترات.

وكان إقليم الأحساء تحت حكم أسرة زامل الجبري، من بني عامر، منذ عام ٨٢٠هـ/١٤١٦م. وتطلع العثمانيون إلى السيطرة على هذا الإقليم، لدفع أخطار البرتغاليين، عن الأماكن المقدسة. فاستولوا عليه، عام ٩٥٧هـ/١٥٤٨م . وفي ذلك الوقت، كانت قبيلة بني خالد، تزداد قوة، في منطقة الأحساء والخليج العربي. واضطرت الدولة العثمانية إلى استرضاء زعمائها، بالمال أو بالمناصب والرتب. ولكن زعيم بني خالد، برَّاك بن عُرير آل حُميد، تمكن من الاستيلاء على الأمور في الأحساء، بين سنتَي ١٠٧٤هـ/١٦٦٣م و ١٠٧٦هـ/١٦٦٥م . فقضى على سلطة العثمانيين على الأحساء، حتى دخلت تحت حكم الدولة السعودية الأولى، في أوائل القرن الثالث عشر الهجري.

وينتشر المذهب الشيعي في المنطقة إلى جانب المذهب السُّني. وحققت الحياة، العلمية والدينية، تقدماً ملحوظاً. فظهر، في الأحساء علماء، من السُّنة والشيعة، اشتهروا بنشاطهم، العلمي والديني. ووفد إليها طلاب العلم من المناطق الأخرى، بمن فيهم الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، الذي عرج على الأحساء، في طريق عودته من البصرة، فأخذ العلم عن بعض علمائها.

أما القبائل في البادية، فلم تكن تختلف عن غيرها، من انتشار الجهل فيها، والبعد عن الدين، وامتهان قطع طرق الحجاج، القادمين من البصرة وإيران، والفتك بهم ونهبهم.

إقليم نجد

نجد تعني الأرض المرتفعة. وهي وسط شبه الجزيرة العربية. وتنقسم إلى عدة أقاليم، أهمها وادي الدواسر، والفُرَع ـ حوطة بني تميم، والحريق ـ والأفلاج، والخرج (أو الأسياح)، والعارض، والمحمل، وسدير، والوشم، والقصيم، وجبل شمر.

ويمتهن أغلب أهلها الزراعة في الواحات، حيث توجد المياه الجوفية، خاصة زراعة النخيل، التي تحتل المرتبة الأولى، ويمارس بعضهم التجارة. وتخرج قوافلهم إلى بلاد الشام والعراق ومصر والبحرين، بل إلى الهند. وأما البدو، فعماد حياتهم الإبل والأغنام.

وأهم القبائل: تميم، والدواسر، وشمر، وعنزة، وعتيبة، ومطير، وسبيع، والفضول، والظفير، وقحطان، والسهول، وبعض حرب، وغيرها.

وقبيل قيام الدولة السعودية الأولى، كانت نجد مقسمة بين زعامات محلية متنازعة. وكانت الحروب الداخلية قائمة بين بلدان نجد، بسبب السيطرة والنفوذ، والصراع حاداً بين القبائل، بسبب المخاصمات القبلية، والثأر، والنزاع في موارد الماء والكلأ.

ولما استولى العثمانيون على الأحساء، رُبطت بها نجد. وأسس فيها سنجق(وحدة إدارية)، كان مرتبطاً بولاية البصرة. وفي السنوات الأخيرة من العهد العثماني، تحولت نجد إلى ولاية، تشمل الأحساء.

وقد تعرضت نجد لغزوات، من الأشراف في الحجاز، في الغرب، ومن قبل زعماء بني خالد، حكام الأحساء، في الشرق. وذلك إما لتأديب بعض القبائل، التي كانت تعترض طريق قوافل الحجاج، أو لفرض النفوذ أو الإتاوات والحصول على غنائم.

فقد غزا الأشراف نجداً، بقيادة الشريف حسن بن أبي نمي، عام ٩٨٦هـ/ ١٥٧٨م. وهاجموا بلدة معكال، التي أصبحت جزءاً من مدينة الرياض الحالية. واستمرت غزوات أشراف الحجاز الأراضي النجدية، على فترات متباعدة زمانياً، خلال القرن الحادي عشر الهجري، حتى ضعفت قوتهم في الحجاز.

وأما بنو خالد، فقد فرضوا نفوذهم على نجد، من مركزهم في الأحساء. وغزا زعيمهم، برّاك بن غرير، أراضي نجد، أول مرة، في عام ١٠٨١هـ/١٦٧١م. واستمرت الحملات عليها لفترة من الوقت، أدت إلى تقوية نفوذ بني خالد في نجد.

ولم يكن للدولة العثمانية وجود قوي في نجد. ومن ثمّ، لم تكن لها سيطرة على قلب الجزيرة العربية، خاصة بعد أن تركت الأحساء، أمام ثورات بني خالد.

ومنطقة العارض من نجد، حيث ظهرت الدولة السعودية، تضم بلدات الدرعية، والعيينة، وحريملاء والجبيلة، وعرقة، ومنفوحة، وحاير سبيع. ويربطها وادي حنيفة. وتأسست فيها إمارات محلية، أهمها:

أ. إمارة العيينة: شمال غرب مدينة الرياض الحالية. وكانت أقوى إمارات نجد. وأمراؤها من آل معمر، وأشهرهم عبدالله بن معمر، الذي حكمها أكثر من أربعين سنة (١٠٩٦هـ ـ ١١٣٨هـ/١٦٨٤م ـ ١٧٢٥م). وقال

ابن بشر، في تاريخه، "عنوان المجد": "إنه لم يذكر مثله في زمانه، ولا قبل زمنه، في نجد، في الرئاسة وقوة الملك والعدد والعدة والعقارات والأثاث". وكانت خاضعة، في عهد عثمان بن معمر، لنفوذ زعماء بني خالد، في الأحساء.

ب. إمارة الدرعية: قاعدة آل سعود.

ج. إمارة منفوحة: وأميرها علي بن مزروع.

د. إمارة الرياض: في وسط العارض. تحيط بها بساتين النخيل. وتطل على وادي حنيفة. وكان أميرها دهام بن دواس .

هـ. إمارة الخَرْج: في الجنوب الشرقي من العارض، ويطلق عليها أيضاً السيح، وهي أغنى مناطق نجد بالمياه، وأرضها خصبة، فهي منطقة زراعية. وقاعدتها الدِلَم، وكان يتولاها الأمير زيد بن زامل الديلمي.

ولا بدّ من الإشارة إلى الحياة، العلمية والدينية، في نجد، على وجه الخصوص؛ إذ إنها هيأت الأسباب، ومهدت لظهور الدعوة الإصلاحية، للشيخ محمد بن عبدالوهاب، في القرن الثاني عشر الهجري

لم يكن التعليم منتشراً في مناطق نجد، خاصة بين أهل البادية. وكان مقتصراً، في المدن، على حفظ القرآن الكريم، ومبادىء القراءة والكتابة، وشيء من الفقه الحنبلي.

وعلى الرغم من وجود عدد من العلماء في نجد، الذين تفقهوا في أمور الدين، وتولوا مناصب القضاء، وقاموا بالتدريس، إلا أن عددهم، لم يكن كافياً لإحداث نهضة علمية مؤثرة.

وكان المذهب الحنبلي، قد وجد طريقه إلى نجد، منذ القرن التاسع الهجري. وازداد رسوخه، بعد نشاط دعاة الدعوة الإصلاحية، في القرن الثاني عشر الهجري.

ولكن الجهل، كان سائداً في البادية والحاضرة، بصفة عامة، نظراً إلى عدم وجود دولة، ترعى العلم. فالدولة العثمانية، لم تكن تعنيها منطقة نجد، من قريب أو من بعيد، بل ركزت أعمالها في الحجاز. ولم تكن الحالة المادية للسكان، تسمح لهم بإنشاء دُور العلم، أو تأسيس الأوقاف، للإنفاق على طلاب العلم.

وكان الجهل المقيت بأمور الدين، هو الطامة الكبرى؛ إذ أسقط العامة فروض العبادة، وتركوا أركان الدين، من صلاة وزكاة وصوم، وانتشرت البدع والخرافات، والتوسل بالقبور والأضرحة، وطلب الشفاعة والمدد من الموتى، والتبرك بالأشجار والأحجار، والاستعانة بها على دفع الضر وجلب النفع. وكل ذلك مما يخالف العقيدة الإسلامية السمحة، التي لم تجعل بين العبد وربه واسطة، بل وأمر القرآن الكريم بطلب العون والمدد من الله وحده، وإفراده بالعبادة والدعاء.

وفي وصف هذه الحالة، يقول المؤرخ النجدي، حسين بن غنام: "كان أكثر المسلمين، في مطلع القرن الثاني الهجري، قد ارتكسوا في الشرك، وارتدّوا إلى الجاهلية. وانطفأ في نفوسهم نور الهدى، لغلبة الجهل عليهم، واستعلاء ذوي الأهواء والضلال. فنبذوا كتاب الله ـ تعالى ـ وراء ظهورهم. واتبعوا ما وجدوا عليه آباءهم، من الضلالة؛ وقد ظنوا أن آباءهم أدرى بالحق، وأعلم بالصواب". ثم يقول: "وعكف أكثر الناس على

دعوة الأولياء والصالحين، أمواتهم وأحيائهم، وفُتنوا بالاعتقاد بقدرتهم على تقديم النفع، وصرف السوء، من دون الله ... ولقد انتشر هذا الضلال، حتى عم ديار المسلمين كافة. فقد كان في بلدان نجد، من ذلك،

أمر عظيم وهول مقيم. كان الناس يقصدون قبر زيد بن الخطاب، في الجبيلة، يدعونه لتفريج الكرب، وكشف النوب وقضاء الحاجات. وكانوا يزعمون أن في قريوة، في الدرعية، قبور بعض الصحابة. فعكفوا على عبادتها، وصار أهلها أعظم، في صدورهم، من الله، خوفاً ورهبة ولذلك، برزت الحاجة إلى حركة دينية إصلاحية، واعية. توضح للناس ما تركوه من أمور دينهم وأحكامه، وتُعِيدهم إلى جادة الدين الصحيح، وتأمرهم بالصلاة والزكاة والصوم، وبكل معروف، وتنهاهم عن كل منكر، وتقضي على كل أعمال الشرك والبدع.

وسهل من نجاح هذه الدعوة، في نجد، خلوها من الطرق الصوفية وبدعها، وعدم وجود أي مذهب آخر غير السُّنة ولهذا، لم تجد مقاومة من أي نحلة دينية أخرى.

أما بالنسبة إلى الوضع الأمني، في شبه الجزيرة العربية عامة، فلا توجد فيها منطقة، تمتعت بوضع أمني أفضل من غيرها. فقد كانت شبه الجزيرة العربية، في غياب السلطة العثمانية، في حاجة إلى حركة سياسية قوية، توحد الإمارات المتنازعة، وتجمع شتات القبائل المتناحرة، وتنشر الأمن والاستقرار، اللذين افتقدتهما هذه البقعة، قروناً طويلة.

فكانت القبائل البدوية تغِير على قوافل الحجاج، فتسلبهم أموالهم ومؤنهم، وتقتل من تشاء منهم. وتفرض إتاوات (أو الخاوة) على رؤساء تلك القوافل. وكانت الدولة العثمانية، تفرض لها، مع رؤساء المحمَلين، المصري والشامي، نصيباً من المال، نظير مرور الحجاج، سالمين، عبر ديار تلك القبائل.

٥. العلاقة بين نجد والحجاز قبل الدولة السعودية الأولى

كانت نجد عرضة لغزوات أشراف الحجاز. فقد غزوها، عام ٩٨٦هـ/ ١٥٧٨م، بقيادة الشريف حسن بن أبي نمي، صاحب مكة، وهاجموا بلدة معكال، ومعه خمسون ألفاً من الجنود. وقتل في هذه الغزوة رجالاً ونهب أموالاً وأخذ أسرى من أهلها. كما سار الشريف حسن نفسه، بعد ثلاثة أعوام (٩٨٩هـ) إلى نجد، وفتح بلدان البديع والخرج، والسلمية، واليمامة. واستولى على حصونها، وعين لها رؤساء من قبله. ثم تقابل مع جيش من بني خالد. وانهزم الخالديون. وغنم منهم الشريف غنائم كثيرة.

واستمر أشراف الحجاز يغزون الأراضي النجدية، على فترات متباعدة، خلال القرن الحادي عشر الهجري، حتى ضعفت قوة الأشراف في الحجاز.

ففي عام ١٠١١هـ/ ١٦٠٢م، غزا الشريف أبو طالب بن حسن بن أبي نمي، مناطق نجد. كذلك، غزا الشريف محسن بن حسين بن حسن، منطقة القصيب، وقتل أهلها، في عام ١٠١٥هـ/ ١٦٠٦م. كما غزا هذا الشريف، في عام ١٠٣٢هـ/١٦٢٢م، نجداً، وسار حتى الأحساء.

وفي عام ١٠٥٧هـ/ ١٦٤٧م، سار الشريف زيد بن محسن، أمير مكة، غازياً نجداً. ونزل روضة سدير، وقتل رئيسها، محمد بن ماضي. وولى عليها رميزان بن غشام، من آل بوسعيد. وفي السنة عينها، نزل بنبان، في العارض، شمالي الرياض الحالية، وغنم من أهل العيينة.

وفي عام ١١٠٥هـ/١٦٩٣م، سار الشريف سعد بن زيد، صاحب مكة، إلى نجد. ووصل منطقة الحمادة، ثم رجع. ثم غزاها، مرة أخرى، في رمضان عام ١١٠٧هـ/١٦٩٦م، ونزل في بلدة أشيقر، وحاصر أهلها.

هكذا، اقتصرت العلاقات بين نجد والحجاز، على غزوات، تشن في فترات متقطعة، وما يعقبها من معارك وقتل، وغنائم، تؤخذ من أهل نجد.

المحاضرة الثانية

عنوان المحاضرة

الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته الإصلاحية.

. ظهور الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وبدء الدعوة الإصلاحية

ينتمي الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى أسرة آل مُشرف، من فروع آل وُهَبَة، أحد بطون قبيلة تميم. فهو محمد بن عبدالوهاب بن سليمان بن علي بن أحمد بن راشد بن بُريد بن محمد بن بُريد بن مشرف. كان جده، سليمان، عالماً من علماء نجد، في القرن الحادي عشر الهجري. وتولى القضاء في روضة سدير. كما كان والده، عبدالوهاب، قاضياً في بلدة العيينة، ثم عُزل عام ١١٣٩هـ، وعين قاضياً لبلدة حريملاء.

ولد الشيخ محمد بن عبدالوهاب في بيت علم، في بلدة العيينة، سنة ١١١٥هـ /١٧٠٣م. وتلقى تعليمه الأولي على يد والده، وحفظ القرآن الكريم، في صغره. كما درس الفقه والتفسير والحديث. ثم ذهب للحج. ومن مكة المكرمة، توجه إلى المدينة المنورة، ثم عاد إلى العيينة.

وتميز محمد بن عبدالوهاب بقوة الذاكرة، والتعلق بالعلم. فانطلق طالباً المزيد منه. فرحل إلى مكة المكرمة، ثانية، ومنها إلى المدينة المنورة، حيث حضر حلقات الدرس، في الحرم النبوي، للشيخ النجدي، عبدالله بن إبراهيم بن سيف، الذي شجعه على القراءة في الفقه الحنبلي. وتلقى العلم، أيضاً، من عالم الحديث، الشيخ محمد حياة السندي المدني (توفي عام ١١٦٥هـ)، الذي تأثر به محمد بن عبدالوهاب، في الدعوة إلى التجديد، ومحاربة البدع في الدين، وما يؤدي إلى الشرك من الأعمال.

وعاد محمد بن عبدالوهاب إلى بلدته، العيينة. ومكث بها عاماً. وتوجه إلى البصرة، ليرضي نهمه في العلم. وفيها درس الفقه، وعلوم الحديث، وقواعد اللغة العربية.

وفي البصرة، التي كانت، آنذاك، تعج بالمذاهب والفِرق، آنس في نفسه القدرة على معارضة الأمور، التي كانت تجري على خلاف الشرع؛ وأن ينكر ما يرتكب، هناك، من البدع التي تفضي إلى الشرك؛ وأن يشترك في النقاش، حول التوحيد والعقيدة، مما أثار عليه بعض الأهلين، وآذوه. ولهذا، أجبر على مغادرة البصرة، فتوجه إلى الزبير، ومنها إلى الأحساء، حيث مكث بعض الوقت، واستفاد من علمائها، مثل عبدالله بن فيروز، ومحمد بن عفالق، وعبدالله بن محمد بن عبداللطيف الشافعي الأحسائي.

وخلال طلبه العلم، عكف الشيخ محمد بن عبدالوهاب، على دراسة كتب شيخ الإسلام، تقي الدين أحمد ابن تيمية (المتوفى عام ٧٢٨هـ/١٣٢٧م). ودرس آثار تلميذه، ابن قيم الجوزية (المتوفى ٧٥١هـ/١٣٥٠م). وتأثر بهما كل التأثر، خاصة رأي ابن تيمية في ضرورة العودة، في أمور الدين، إلى الكتاب والسُّنة، وما صح عن الصحابة من آثار؛ وتصحيح العقيدة وتنقيتها من بدع المتصوفة والمتكلمة. وتأثر به في محاربته للبدع والمنكرات، التي تؤدي إلى الشرك، مثل الاستغاثة بغير الله، والتوسل بالأولياء والموتى، والاعتقاد أنهم يجلبون النفع، ويدفعون الضر. وكذلك، التبرك بالأضرحة والأشجار، وغير ذلك. وكان الشيخ محمد بن عبدالوهاب، دائم التمثل بآراء ابن تيمية، في كتبه ورسائله.

ورجع الشيخ محمد بن عبدالوهاب، إلى بلدة حريملاء، التي عُيّن أبوه قاضياً لها. وكان وصوله إلى نجد بين عامَي ١١٤٤هـ - ١١٤٩هـ/ ١٧٣١ - ١٧٣٦م.

وقد استنكر الشيخ ما كان عليه الناس، في منطقته، من جهل بأمور عقيدتهم، وشيوع البدع والخرافات بينهم. فصح منه العزم على دعوة الناس إلى العقيدة الصحيحة، وإلى التوحيد الخالص لله، وتنقية معتقداتهم مما شابها، من أعمال الشرك. فألف كتابه، "كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد"، الذي لاقى رواجاً كبيراً بين الناس، في نجد.

وأهم ما جاء في دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، إحياء عقيدة التوحيد، وإخلاص العبادة لله، وإفراده ـ سبحانه ـ بها؛ ومحاربة الشرك، بأنواعه، وسد الذرائع المؤدية إليه، والتصدي للبدع، التي أحدثت في الدين، والقضاء عليها؛ وتطبيق الشريعة، في كل أمور الحياة. وفي الحقيقة أن هذا هو جوهر الإسلام، ولم يكن الشيخ محمد بن عبدالوهاب، مبتدعاً في ما دعا قومه إليه. ولم يأت بمذهب جديد. ولا هو دعا إلى تشريع مختلف. إنما جدد ما اندرس من أمور الدين، ودعا للعودة إلى النبع الصافي للعقيدة الإسلامية]

وقد انقسم الناس، إزاء هذه الدعوة بين مؤيد ومعارض. فوجدت لها أنصاراً، ممن شرح الله صدورهم لمعرفة الحق. ولاقت معارضة الجهال، من العامة، الذين رفضوا أن يتركوا ما نشأوا عليه. وعارضتها فئة من العلماء، الذين كانت لهم مصالح دنيوية. وكان عبدالوهاب بن سليمان، والد الشيخ محمد، معارضاً لأسلوب ابنه في الدعوة، وليس للدعوة نفسها. وبعد وفاة والده، عام ١١٥٣هـ / ١٧٤٠م، اشتد الشيخ في دعوته. وازداد إنكاره لما يراه باطلاً. وانتشرت الدعوة الإصلاحية في أرجاء المنطقة. وتوافد على الشيخ المؤيدون، ومنهم أمير بلدة العيينة، عثمان بن حمد بن عبدالله بن معمر.

خروج الشيخ محمد بن عبدالوهاب، من حريملاء إلى العيينة

انتقل الشيخ محمد بن عبدالوهاب، في عام ١١٥٤هـ/١٧٤١م، من بلدة حريملاء، إلى بلدة العيينة. وكان في حريملاء قبيلتان متنازعتان. ولإحداهما عبيد يقال لهم الحمّيان، كثر منهم الفسق والفساد. فأراد الشيخ محمد أن يمنعهم من ذلك، وينفذ فيهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فهمّ العبيد أن يفتكوا به ويقتلوه، في الليل، سراً. فلما تسوروا عليه الجدار، انكشف أمرهم، فهربوا. وانتقل الشيخ، بعدها، إلى العيينة.

وربما يكون السبب الأهم في انتقاله، هو قبول أمير العيينة، عثمان بن حمد بن عبدالله بن معمر، دعوته الإصلاحية. يضاف إلى ذلك، أن العيينة، هي مسقط رأس الشيخ، ومكان نشأته الأولى.

ووجد في العيينة، كل ترحيب وحفاوة من أميرها. وتزوج الشيخ محمد الجوهرة بنت عبدالله بن معمر، عمة الأمير عثمان، مما زاد من الأواصر بين الشيخ والأمير. وعرض الشيخ على الأمير عثمان، ما قام به، ودعا إليه. وقال له: "إني أرجو، إن قمت بنصر لا إله إلا الله، أن يظهرك الله ـ تعالى ـ وتملك نجداً وأعرابها". فساعده الأمير عثمان بن معمر على ذلك.

وسار الشيخ قدماً في التطبيق الفعلي لدعوته، بعد دعم الأمير له. فقام، مع أنصاره، بقطع الأشجار، التي كان العامة يتوسلون بها. وهدم القبة، التي كانت على قبر، يظن أنه لزيد بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ في الجبيلة؛ وكان العامة يتبركون بها، ويقدمون إليها النذور.

كما قام الشيخ بمعاقبة من لا يؤدون الصلاة مع الجماعة، في المساجد. وأرسل الدعاة إلى البلدان المجاورة، في نجد، لنشر دعوته. ولكن أعظم الأعمال، التي قام بها، فهزت المجتمع، واشتهر بها أمره، في الآفاق، إقامة حد الرجم على امرأة، اعترفت بأنها ارتكبت جريمة الزنا، وهي محصنة. وكان يعلن، بذلك، دخول دعوته مرحلة جديدة مهمة.

فقد أدت هذه الأنشطة إلى زيادة المعارضة للدعوة الإصلاحية، من قبل بعض العلماء، في نجد، الذين رأوا فيها زعزعة لمكانتهم الاجتماعية وبخاصة أن الشيخ محمد بن عبدالوهاب، أنكر على بعضهم أخذ أجر من المتخاصمين، مقابل الفصل بينهم، وعدّ ذلك من الرشوة. فقام بعض هؤلاء العلماء بإرسال الرسائل، إلى علماء البصرة والأحساء، يستنهضونهم للرد على دعوة الشيخ.

كل ذلك، لم يمنع الدعوة الوهابية من الانتشار، وإقبال الناس عليها، مما أثار حفيظة الأمراء، خاصة زعماء بني خالد، في الأحساء، التي كانت مصدراً للتجارة، في نجد.

ولهذا، كتب زعيم بني خالد، وحاكم الأحساء والقطيف، سليمان بن محمد بن غرير آل حميد، رسالة إلى صديقه، أمير العيينة، عثمان بن معمر، يطلب منه، أن يتخلص من الشيخ محمد بن عبدالوهاب، بالقتل. وهدد، في رسالته، بأنه سوف يقطع الخراج أو المعونة الاقتصادية، وهي كثيرة، عن ابن معمر، ويمنعه من استلام دخل مزرعته، في الأحساء؛ وأنه لن يسمح لتجار بلدته، بدخول الأحساء واستخدام موانئها.

انتقال الشيخ محمد، من العيينة إلى الدرعية

ما كان في وسع أمير العيينة مخالفة حاكم الأحساء، فطلب من الشيخ محمد، أن يغادر العيينة، بعد أن أخبره بأمر رسالة زعيم الأحساء، وطلبه أن يقتله. ولم تفلح محاولات الشيخ في إقناع الأمير بالصمود، أمام تهديدات حاكم الأحساء، ورفض أوامره.

واختار الشيخ محمد بن عبدالوهاب بلدة الدرعية، التي كان يحكمها محمد بن سعود. ووصلها، عصر اليوم، الذي غادر فيه العيينة، في عام ١١٥٧هـ/١٧٤٤م. وحل ضيفاً على رجل من تلاميذه، يدعى محمد بن سويلم العريني، في أعلى الواحة. وخشي المضيف من سطوة الأمير محمد، خاصة بعد أن أقبل الناس، من مريدي الشيخ، ليأخذوا عنه أمور دينهم، ومن بينهم ثنيان بن سعود، ومشاري بن سعود، شقيقا الأمير محمد بن سعود. وقد بذل الأخوان، ثنيان ومشاري، جهدهما في إقناع الأمير بمقابلة الشيخ. وتروى قصة، مفادها، أن موضي بنت أبي وطبان، زوجة الأمير محمد بن سعود، كانت ذات عقل ومعرفة، سعت لدى زوجها، ليقف إلى جانب الشيخ ويعاضده، بعد ما علمت من أخباره، وما يأمر به وينهى عنه، قائلة: "إن هذا الرجل، أتى إليك، وهو غنيمة ساقها الله لك. فأكرمْه، وعظمْه، واغتنم نصرته". فاقتنع الأمير بقولها، ودعا أخاه، مشاري، وطلب منه أن يدعو الشيخ لمقابلته. ولكن مشاري، استعطف أخاه الأمير، أن يسير بنفسه لمقابلة الشيخ، وقال له: "سرْ إليه برجلك، وأظهر تعظيمه وتوقيره، ليسلم من أذى الناس".

٣. ميثاق الدرعية، وقيام الدولة السعودية الأولى (سؤال اختبار)

سار الأمير محمد بن سعود، إلى الشيخ محمد بن عبدالوهاب، في بيت ابن سويلم. ورحب به قائلاً: "أبشر ببلاد خير من بلادك. وأبشر بالعز والمنعة". فقال الشيخ: "وأنا أبشرك بالعز والتمكين. وهذه كلمة لا إله إلا الله، من تمسك بها، وعمل بها، ونصرها، ملك بها البلاد والعباد. وهي كلمة التوحيد، وأول ما دعت إليه الرسل، من أولهم إلى آخرهم".

ولا تذكر المصادر تاريخاً لهذه المقابلة المهمة. ولكنها كانت بعد قدوم الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى الدرعية، بفترة قصيرة.

ولقد خشي الأمير محمد بن سعود أمرَين، إن قام بنصرة دعوة الشيخ:

أولهما: أن يهجره الشيخ إلى مكان آخر، ويستبدل به غيره.

ثانيهما: أن يقف الشيخ في وجه ما يأخذه من مال، من أهل الدرعية.

لذلك، أراد الأمير، أن يكون بينه وبين صاحب الدعوة، عهد وميثاق، فقال له:

"يا شيخ، إن هذا دين الله ورسوله، الذي لا شك فيه. وأبشر بالنصرة لك، ولما أمرت به، والجهاد لمن خالف التوحيد. ولكن أريد أن أشرط عليك شرطين اثنَين:

الأول: نحن إذا قمنا بنصرتك، والجهاد في سبيل الله، وفتح الله لنا ولك البلدان، أخاف أن ترحل عنا وتستبدل بنا غيرنا.

الثاني: إن لي على الدرعية قانوناً (أي ما يدفعه الضعيف إلى القوي، ليحميه ويدافع عنه) آخذه منهم، في وقت الثمار، وأخاف أن تقول، لا تأخذ منهم شيئاً".

فأجاب الشيخ: "أيها الأمير، أما الأول، فابسط يدك. الدم بالدم والهدم بالهدم.

وأما الثاني، فلعل الله أن يفتح لك الفتوحات، فيعوضك الله من الغنائم ما هو خير منها".

ثم بسط محمد بن سعود يده، وبايع الشيخ محمد بن عبدالوهاب على نصرة دين الله ورسوله، والجهاد في سبيل الله، وإقامة شرائع الإسلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

يقول المؤرخ حسين بن غنام: "وقد بقي الشيخ، بيده الحلّ والعقد، والأخذ والإعطاء، والتقديم والتأخير. ولايركب جيش، ولا يصدر رأي من محمد بن سعود، ولا من ابنه، عبدالعزيز، إلا عن قوله ورأيه. فلما فتح الله الرياض، واتسعت ناحية الإسلام، وأمنت السبل، وانقاد كل صعب، من باد وحاضر، جعل الشيخ الأمر بيد عبدالعزيز بن محمد بن سعود، وفوض أمور المسلمين وبيت المال إليه...".

وصارت الدرعية مركزاً لنشر دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب الإصلاحية، تقاطر إليها طلاب العلم في الدين، الذين صاروا، فيما بعد، أنصاراً للدعوة، وللدولة. وبدأ الشيخ يبعث برسائله إلى أمراء البلاد المجاورة، وزعماء القبائل، يبلغهم ما يدعو إليه، من إحياء للدين، ومحاربة للبدع. ولقد تكاثر مؤيدو الدعوة، وتوافدوا على الدرعية، حتى ضاقت بهم. ولكن الله، فتح لها، من أبواب الخير والرزق، الكثير من الزكاة والغنائم، مما أدى إلى تحسن أوضاع الناس المعيشية.

المعارضات التي واجهت الشيخ محمد بن عبد الوهاب في نشر دعوته: (سؤال اختبار)

ظلت الدرعية قطبا للعلم والتعليم غير أن المبادئ التي دعي إليها الشيخ لم ترض مشايخ نجد ،وكبار قادتها، وخشوا تأثيرها في الناس واندفاعهم في تأيدها لأن ذلك أمر يهدد زعامتهم ،ويذهب بنفوذهم، ويقلل أو يحد من سلطانهم ، فانبروا في محاربها، وانضم الي جانبهم بعض رجال الدين الجامدين، لمقاومة الدعوة، والقضاء عليها قبل استفحالها.

وكان من أشهر رجال الدين الذين ناصبوا العداء للشيخ ودعوته، وتصدوا للطعن في المبادئ التي يدعو إليها:

ـ سليمان بن عبد الوهاب: كان قاضيا علي حريملاء،ورفض دعوة أخيه،وحرض أهلها علي العصيان،ونقض العهد الذي قطعوه علي أنفسهم للشيخ محمد بن عبد الوهاب ومناهضة نفوذ الدولة الجديدة ونظمها.

وبدأ في مراسلة أنصار أخيه الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كل بلد ليرجعهم عن معتقداتهم،

والتخلي عن دعوة أخيه، وأرسل الدعاة إلي رؤساء وشيوخ البلدان ليشهروا بأخيه، ويطعنوا فيه وفي دعوته. وألف كتاب الصواعق الإلهية في الرد علي الوهابية، يهاجم فيه أخيه ودعوته.

ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد، بل قام بإخراج كل من يستجيب لدعوته من الإمارة، فقصد هؤلاء المطرودين الدرعية ونزلوا ضيوفا علي أميرها.

غير أن سليمان بن عبد الوهاب اهتدي في أواخر حياته، فأقر بخطئه وقال أن كتابه لم يكتب لوجه الله.

- معارضة قاضي الرياض محمد بن سحيم وابنه سليمان:

أول من ضلل الشيخ وكفره، وسعي إلي العلماء في البصرة والأحساء والحرمين في مقاومته وقتله، وأشاع أنه خارجي، ومن أقبح المضللين والكفار، وأنه ينكر كرامة الأولياء، وهو لا ينكر غير الدعوة لهم، واتهمه بأنه يحرم زيارة القبور. غير أن الشيخ لم يحرم غير عبادتها والتشفع بها.

وكان قاضي الرياض وابنه قد اعترفا في بداية الأمر بأن ماجاء به الشيخ أو بعضه حق، لكنه غير متوافق مع مرور الزمن.

- معارضة مربد بن أحمد بن عمر التميمي:

سافر إلي الحجاز واليمن للتحريض ضد الدعوة والتصدي لها، اعتقادا منه أنها تهدد زعامته، وتذهب بنفوذه، وتحد من سلطانه.

غير أن نشاط المعارضة النجدية للدعوة السلفية، كان مختلف الجوانب ، وفي مقدمة أوجه ذلك النشاط الكتابه ضدها، ويأتي في طليعة هؤلاء "عبد الله المويس"، و"عبد الله بن عيسى"، وتوضح الرسائل أن النجديين المعارضين اعطوا أسماء مختلفة لما تضمنته الدعوة، قالوا عنها دين أهل العارض، وقالوا انها مذهب خامس .

ويعطي الشيخ محمد بن عبد الوهاب سببين أساسيين لتغيير موقف بعض العلماء من الاعتراف بصحة الدعوة الي مناوأتها:

الأول: خوف هؤلاء المعارضين أن يفقدوا مكانتهم الاجتماعية.

الثاني: إنكاره عليهم أكل السحت والرشوة.

- مقاومة أهل البصرة:

كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب يري ويسمع عن بعض الجهال من الخرافات الكثيرة، فساءه ما رأي وما سمع من انتشار البدع ، والافراط في تقديس قبور الأولياء والصالحين ، والتوسل بهم لدرجة العبادة. وصرف الحقوق الربانية لغير الله، فبدأ بانكار ذلك ن وانطلق يدعوا الي تركها . وقد كبر وعز علي بعض أهالي البصرة أن يسفه الشيخ آراءهم، ويرجعهم عما وجدوا عليه آباءهم، وبين لهم أن العبادة لاتصلح كلها الا لله وحده دون سواه، وأن قداسة الأولياء واحترامهم هو باتباع هديهم، وسلوك منهجهم، لا بتقديس قبورهم .

ولكن سكان البصرة تآمروا عليه، وعقدوا العزم علي الإيقاع به، وهددوه بالقتل أو الرحيل، من البصرة. فآثر الشيخ السلامة والنجاة بنفسه فغادر البصرة عائدا إلي نجد.

أثر الدعوة السلفية في بلاد نجد: (سؤال اختبار)

- قضت علي ما كان شائعا في نجد من الخرافات، ومن تعظيم القبور وتقديم النذور والاعتقاد في بعض الأشجار.
- رجوع أهل نجد إلي التوحيد الخالص من شوائب الشرك والوثنية إلي القرآن الكريم والسنة المطهرة.
- وحدت هذه الدعوة كلمة أهل نجد، وجمعت شملهم وجعلتهم تحت راية واحدة، وأخضعتهم لسلطان واحد.
- نشرت الدعوة في نجد علوم الشريعة، من تفسير وحديث وتوحيد وفقه وسيرة وما إلي ذلك من العلوم.
- قضت علي ما كان سائدا في نجد من الخرافات، ومن تعظيم القبور، وتقديم النذور والاعتقاد في بعض الأشجار. (تكرار للفقرة الاولى)
- أصبحت الدرعية كعبة العلوم والمعارف، يفد إليها طلاب العلم من أرجاء نجد واليمن والحجاز والخليج العربي، وانتشر العلم بين جميع الطبقات .
- انتشار الأمن في جميع أنحاء نجد.
- لم تكون نجد معروفة لدي الأمم، فأصبحت موحدة ووضعت في مصاف الأمم.

توفي الشيخ محمد بن عبد الوهاب، يوم الاثنين، آخر شوال سنة ١٢٠٦هـ/ يونيه ١٧٩٢م. وله من العمر نحو اثنين وتسعين عاماً. وترك أربعة من الأبناء، كلهم أخذ العلم عنه، وهم حسين وعبد الله وعلي وإبراهيم. وكانت لهم مجالس ومحافل للتدريس، في الدرعية. وقد تولى ابنه، الشيخ حسين مكانه، كما كان قاضياً في الدرعية. وتوفي في ربيع الثاني عام ١٢٢٤هـ/ مايو ١٨٠٩م.

المحاضرة الثالثة

عنوان المحاضرة

قيام الدولة السعودية الأولي وتوحيد نجد

١. أصل أسرة آل سعود، ونشأة إمارة الدرعية

تنسب بعض المصادر آل سعود إلى قبيلة عنزة، المعروفة بهذا الاسم، في الوقت الحاضر. وهذا شائع، أيضاً، لدى الناس. وذكر بعض المؤرخين أن آل سعود، هم من بني حنيفة. ومن المعلوم أن عنزة، وبني حنيفة، هم من وائل. ومن ثَم، فآل سعود وائليون.

وكانت الأسرة السعودية، تدعى آل مقرن، نسبة إلى مقرن بن مرخان، جد محمد بن سعود، مؤسس الدولة السعودية الأولى.

وكان أحد أجداد آل سعود، يسمى مانع بن ربيعة المريدي، يقيم بمكان، يقال له الدرعية، قرب بلدة القطيف، على ساحل الخليج العربي، وذلك في النصف الأول من القرن التاسع الهجري.

وكان لمانع المريدي هذا، قريب، يسمى ابن درع، يقيم بمنطقة حجر اليمامة، قريباً من موقع مدينة الرياض الحالية. وكان ابن درع صاحب نفوذ في تلك الجهة. فقدم إليه مانع المريدي، من القطيف، في عام ٨٥٠هـ/١٤٤٦م. ومنحه موضعَي غصيبة والمليبيد، في وادي حنيفة.

وأطلق مانع المريدي، وأتباعه، اسم "الدرعية" على موطنهم الجديد؛ إما إحياء لاسم بلدتهم القديمة، التي هاجروا منها، أو نسبة لقريبه ابن درع، الذي منحهم هذا الموطن، اعترافاً بفضله، وتخليداً لذكره.

وقد قويت هذه الأسرة، وازداد نفوذها في المنطقة، وتوسعت على حساب جيرانها، من آل يزيد، الحنفيين. وكان أمير الدرعية، محمد بن مقرن بن مرخان، جد آل سعود، قد توفي عام ١١٠٦هـ/ ١٦٩٤م.

وفي عام ١١٢١هـ/ ١٧٠٩م، أصبح موسى بن ربيعة بن وطبان، أميراً على البلدة. ثم خلع، فتوجه إلى العيينة. وتولى الإمارة سعود بن محمد بن مقرن، الذي توفي عام ١١٣٧هـ/ ١٧٢٤م. ولم يتول، من بعده، ابنه، محمد بن سعود بن محمد أمارة الدرعية، بل تولاها زيد بن مرخان بن وطبان، لكن محمد بن سعود كان له تأثير قوي على سير الأحداث في البلدة.

وفي عام ١١٣٨هـ/١٧٢٥م، حاول أمير الدرعية، زيد بن مرخان، الاستفادة من ظهور الوباء في العيينة، الذى مات فيه أمير العيينة المشهور، عبدالله بن معمر، وعدد كبير من رجالها. فبدأ يخطط، مع فريق من قبيلة سُبيع، لمهاجمة هذه البلدة المزدهرة. ولكن أمير العيينة الجديد، محمد بن حمد بن عبدالله بن معمر، المعروف بلقب خرفاش، اتخذ خطة، أنقذته مما يخطَّط ضده؛ إذ دعا أمير الدرعية، زيد بن مرخان إلى التفاوض واعداً إياه، أن يستجيب ما أراده منه. وحينما قدم زيد إليه مع أربعين من رجاله، ومنهم محمد بن سعود، غدر به محمد بن معمر وقتله. وقد تحصن محمد بن سعود، بمن معه، بموضع، ولم يخرجوا، إلا بأمان من الجوهرة بنت عبدالله بن معمر، وكان ذلك عام ١١٣٩هـ/١٧٢٦م. وكان أمير الدرعية المخلوع، موسى بن ربيعة حاضراً تلك الواقعة، في منزل خرفاش، فأصيب برصاصة، توفي على أثرها.

وعاد محمد بن سعود وجماعته إلى الدرعية. واستقل بإدارتها. وأصبح أميراً لها. وبذلك، مضى أكثر من مائتَين وثمانين عاماً، على تأسيس مانع المريدي للدرعية، ولإمارة آل سعود فيها.

واستمرت إمارة محمد بن سعود قرابة أربعين عاماً، من عام ١١٣٩ هـ/١٧٢٦م إلى وفاته، في عام ١١٧٩هـ/١٧٦٥م.

وكانت إمارة الدرعية، قد اكتسبت موقعاً مهماً، بين إمارات العارض، بدليل أنها تعرضت لهجوم من حكام الأحساء، بنى خالد، عام ١١٣٣هـ/ ١٧٢٠م. وتمكنت من صده.

وشهدت استقراراً داخلياً، بعد تولي محمد بن سعود إمرتها. وفي العقود التالية، نمت أحياء البلدة، واتسعت في جنبات وادي حنيفة وصارت تمتد من المَلْقى، شمالاً، إلى حدود بلدة عِرقة، جنوباً. وشملت حدودها مناطق من الوادي مثل: العلب، وسمحة، وغبيراء، وقليلقل، وكتلة، والرفايع، وخيس نصرالله، والسهل، والقرين.

وضمت البلدة أحياء عديدة مثل: الطريف، حيث مساكن آل سعود، والبجيري، والبليدة، والطوالع، والسهل، وملوي، وغيرها.

وأسست حصون وقلاع وأبراج على سورها، مثل: حصن الرفايع في قرى عمران، وحصن سمحة، وحصن شمالي الطريف، وحصن شُديّد اللوح في ظهرة ناظرة، وحصن المغترة.

وشيدت، في الدرعية، قصور لآل سعود، مثل قصر الطريف، وقصر البليدة، وقصر الشعراء. وقصر ابن طوق في السريحة.

وبعد قيام الدولة السعودية، وتوليها مهمة الدعوة الإصلاحية، التي دعا إليها الشيخ محمد بن عبدالوهاب - أطلق أمراء الدرعية على أنفسهم لقب إمام، وهو لقب الحاكم، السياسي والديني، للدولة.

وخلف الإمامَ محمد بن سعود، ابنُه، الأمير عبدالعزيز، الذي ولد عام ١١٣٣هـ/١٧٢٠م. واغتيل في أواخر رجب من عام ١٢١٨هـ/نوفمبر١٨٠٣م. بعد حكم دام ٣٨ سنة، ما بين عامَي ١١٧٩هـ - ١٢١٨هـ/١٧٦٥-١٨٠٣م . وكان يقود الغزوات والحملات، في عهد والده. وفتح غير بلدة، بعد معارك فاصلة. وواصل سيرة والده، في التوسع وفتح البلدان، حتى العراق. وصد الغزوات، الموجهة ضد الدرعية. واغتاله، في مسجد الطريف، في الدرعية، رجل كردي، قدم لهذه الغاية، من العمادية، في الموصل. ولقد تزوج الإمام عبدالعزيز بن محمد من ابنة الشيخ محمد بن عبدالوهاب.

وبعد الإمام عبدالعزيز، جاء ابنه، الإمام سعود بن عبدالعزيز. ولقب، بعد وفاته، بسعود الكبير. وحكم قرابة ١١ سنة، ما بين عامَي ١٢١٨ - ١٢٢٩هـ/ ١٨٠٣ - ١٨١٣م، إذ توفي ليلة الإثنين ١١ من جمادى الأولى ١٢٢٩هـ/مايو ١٨١٤م. وكان والده، والشيخ محمد بن عبدالوهاب، قد أخذا البيعة له من أهل نجد، بولاية العهد، في عام ١٢٠٢هـ/ ١٧٨٧م. وكان هذا الأمير، أيضاً، يقود الحملات، في عهد والده. فسار في أول غزوة له، عام ١١٨١هـ/ ١٧٦٧م، فهاجم بلدة العودة، من أعمال منطقة سدير.

ثم خلفه ابنه، الأمير عبدالله بن سعود. وحكم ٥ سنوات، بدأت عام ١٢٢٩هـ/١٨١٤م. وفي عهده، سقطت الدولة السعودية الأولى، باستسلامه لقوات إبراهيم باشا، في ٨ ذي القعدة عام ١٢٣٣هـ/٩ سبتمبر ١٨١٨م. وأعدم، في الآستانة، في صفر عام ١٢٣٤هـ/ديسمبر ١٨١٨م.

٢- توسع الدولة السعودية في أرجاء نجد، وانتشار الدعوة الإصلاحية

قضت الدولة السعودية الأولى قرابة أربعين عاماً، تعمل من أجل نشر الدعوة الإصلاحية، وتوحيد نجد. وخاضت في هذا السبيل، حروباً طويلة، مع القوى السياسية المحلية، المجاورة للدرعية، في نجد. وهي القوى التي رفضت مبادئ الدعوة الإصلاحية، وقاومت الدخول في طاعة إمارة الدرعية. وقد أعلن معظم البلدان، في إقليم العارض، طاعتها، لما علمت بأن الجهاد، هو السبيل إلى إرغام من صد عن الدين. ومنها العيينة ومنفوحة، وضرما، وحريملاء، والعمارية، والقويعية، والحوطة، والجنوبية، والمحمل، وثادق، والقصب، والفرعة.

ولكن هذه البلدان، كانت دائمة التردد في ولائها للدرعية ومعاداتها. وبعضها كان في حالة مناهضة دائمة للنفوذ السعودي. فما تكاد الجيوش السعودية تغادر تلك البلدة، حتى تفاجأ بارتدادها. وكانت الغزوات السعودية مستمرة ضد جهات متعددة، في آن واحد. فهي اليوم ضد الرياض، وبعده ضد الخرج، وفي وقت ثالث، ضد القصيم أو الأحساء. ونرى حملات سعودية، تشن على العراق، في أقصى الشمال الشرقي. وفي السنة نفسها، تعد حملات، للتوجه نحو الحجاز، في الغرب. ولذلك، من الصعب ترتيب هذه الغزوات، في مراحل. ولكن يمكن القول، إن الدولة السعودية، بدأت بضم مناطق إقليم نجد، وسطه وشماليه وجنوبيه، ثم الأحساء، ثم الحجاز والجنوب، إلى حدود اليمن.

ولم تكن القوى المعادية للدرعية مؤتلفة؛إنما كان يفرقها تقاسم المصالح، وبروز النزاعات بينها، بين حين وآخر.

١. ضم الرياض

كان دهام بن دواس بن عبدالله الشعلان[1]، هو أكبر خصم للدعوة الإصلاحية، وللنفوذ السعودي. فلما استولى على إمارة الرياض، بحجة النيابة عن ابن أخته الصغير، ابن الأمير السابق، زيد بن موسى أبا زرعة، وأجلاه عن البلدة ـ ثار عليه أهل الرياض، فطلب النجدة من الأمير محمد بن سعود، الذي أنجده بجند، بقيادة أخيه، مشاري بن سعود. فتمكن من تثبيت حكمه. ومكث مشاري بن سعود بجانبه عدة أشهر. ولم يتركه، حتى استتب الأمر لدهام، في الرياض.

إلا أن دهام بن دواس، لم يعتنق مبادئ الدعوة السلفية، بل استنكرها. وخاضت الدرعية سبع عشرة موقعة، مع الرياض، على مدى سبعة وعشرين عاماً. وكان دهام، يلجأ في الحرب إلى سلاح الدسائس والفتن، حيناً، والمصالحة أحياناً. فعاهد إمارة الدرعية أربع مرات، ولكنه نكث عهده فيها جميعاً.

لقد كانت بداية الصراع العسكري، بين الدرعية والرياض، بعد انضمام منفوحة إلى الدعوة، عام ١١٥٩هـ/١٧٤٦م. إذ قام دهام بن دواس بالهجوم عليها، وضمها إلى الرياض، وربما كان دافعه، أنه كان، هو وإخوته، في منفوحة، وأجلوا عنها، وأنه شعر بقوة مركزه في الرياض مما يتيح له استردادها وضمها إلى حكمه. لكنه فشل بسبب المقاومة العنيدة من أمير منفوحة، علي بن مزروع، ومن سكانها. وأصيب دهام بجرحَين، أثناء الاشتباكات بينه وبين أهاليها.

وعلى أثر هذه الحادثة، جهز الإمام محمد بن سعود حملة صغيرة على دهام، استطاعت الوصول داخل الرياض، ومهاجمة قصره فيها، وعادت إلى الدرعية.

وهاجم دهام العمارية، وقتل أميرها، عبدالله بن علي، وعقر إبله. فلما بلغ ذلك الإمام محمد بن سعود، جمع أهل الدرعية وعرقة، وأراد أن يرصد عودة جيش دهام من العمارية، ويكمن له. وكان دهام بن دواس قد كمن في الموضع نفسه. فالتقى الفريقان، واقتتلوا قتالاً شديداً، انهزم فيه دهام، وأهل الدرعية في أثره. ولكنهم فوجئوا بخروج فرقة لابن دواس، من جهة العمارية، فوقع القتل، وانكسر جيش آل سعود.

وأخذت الدرعية بثأرها، حينما قام الإمام محمد بن سعود بحملة على دهام، وجرت موقعة في مكان، يقال له الوشام. انهزمت فيها قوات الرياض. ودعيت بوقعة "الشياب"؛ لأنه قتل فيها شابيان من آل شمس، من أهل الرياض.

أراد الإمام محمد بن سعود، أن يلاحق دهاماً، ويلحق به هزيمة منكرة. فقام بحملة أخرى على الرياض. كانت نتيجتها هزيمة دهام، مرة أخرى، وسميت هذه الوقعة "وقعة العبيد"؛ لأن معظم من قتل من رجال دهام، كانوا من العبيد.

جهز دهام جيشاً، وهاجم الدرعية. ولما اندفعت نحوه قواتها، تظاهر بالتقهقر. فظن جيش الدرعية، أن جيش دهام قد انهزم. إلا أن جيش الرياض كان قد نصب كميناً لجيش الدرعية. فكانت الهزيمة لجيش الدرعية. وقتل فيها الأميران فيصل وسعود، ابنا الإمام محمد بن سعود. وكل هذه الحروب، كانت في عام ١١٥٩هـ/١٧٤٦م.

ورداً على هذه الأحداث، جهزت الدرعية جيشاً قوياً، للهجوم على الرياض. إلا أن أحد أهالي بلدة حريملاء، من آل داود، يدعى أبو شيبة، كان قد أفشى للرياض سر المعلومات، التي هيأتها الدرعية لمهاجمة الرياض. فكانت النتيجة متكافئة بين الجيشَين. وعرفت هذه الوقعة باسم "وقعة الشراك"، وكانت في عام ١١٦٠هـ/١٧٤٧م.

وفي عام ١١٦١هـ/١٧٤٨م، حدثت معركة أخرى، تدعى بوقعة "البنية". قاد فيها جيش الدرعية، عثمان بن معمر، أمير العيينة، الذي عاهد الأمير محمد بن سعود، على الحرب معه. وانهزمت فيها قوات الدرعية، بعد قتال شديد، قتل فيه أناس كثيرون.

ثم حدثت وقعة أخرى، سار فيها عبدالعزيز بن محمد بن سعود، بأهل الدرعية وضرما. وتولى عثمان بن معمر قيادة قوات العيينة وحريملاء. كما أنه كان الأمير عليهم جميعاً. واشتبك مع جيش الرياض في مكان، يدعى "الخريزة"، قرب الرياض. وكانت النتيجة متكافئة. وتلت ذلك معارك كثيرة، بين الدرعية والرياض، كان أسلوب الكر والفر، ونصب الكمائن، هو الفن القتالي فيها، مثل وقعة الحبونية، عام ١١٦٢هـ/١٧٤٩م، ووقعة البطحاء، عام ١١٦٣هـ/ ١٧٤٩م.

وفي عام ١١٦٧هـ/١٧٥٤م، اجتمع، في الدرعية، الشيخ محمد بن عبدالوهاب والإمام محمد بن سعود، إلى كبار أنصار الدعوة، الذين قدموا من مختلف البلدان، للتباحث في شؤون الدعوة، والمواقف اللازم اتخاذها ضد أعدائها. وكان دهام بن دواس، قد تضجر من الحرب مع آل سعود. فلما سمع بهذا التجمع، مال إلى المهادنة. وطلب من الشيخ محمد بن عبدالوهاب، والإمام محمد بن سعود، عقد صلح بينه وبين الدرعية. وتعهد باعتناق مبادئ الدعوة السلفية. إلا أنه نكث هذا العهد، في العام التالي، سنة ١١٦٨هـ/١٧٥٥م، وسانده على ذلك محمد بن فارس، رئيس منفوحة.

وهكذا، تجددت الاشتباكات بين الدرعية والرياض. ولم تخل سنة من غزوة بينهما. وأخيراً، طلب دهام الصلح من الشيخ، والإمام محمد بن سعود، عام ١١٧٧هـ/١٧٦٣م. ومع علمهما بأنه لا يفي بوعده، فقد وافقت الدرعية، بشروط، منها:

أ. أن يقبل دهام بعودة أنصار الدعوة إلى الرياض، بعد أن كان قد اضطرهم إلى الهجرة منها.

ب. أن يرد دهام إلى المهاجرين، الأموال التي صادرها منهم، في الرياض، حين هاجروا منها.

ج. أن يسوق إلى الدرعية ألفي (ريال) أحمر معجلة.

والتزم دهام بهذا الصلح، إلى وفاة الإمام محمد بن سعود، عام ١١٧٩هـ/١٧٦٥م. وحضر مع الإمام عبدالعزيز بن محمد، الحرب التي شنتها الدرعية ضد عشائر الظفير، في وقعة "جراب"، بالقرب من سدير. وكانت هذه أول غزوة، ينضم فيها دهام إلى لواء الدرعية.

واستغل دهام فرصة وفاة الإمام محمد بن سعود، ليجرب سياسة الأحلاف، ضد الدرعية. فعقد حلفاً مع زيد بن زامل، حاكم الدِلَم والخرج. فسارع الإمام عبدالعزيز بن محمد إلى مهاجمة الرياض. وغزا أخوه، الأمير عبدالله بن محمد، قبيلة سبيع، المتحالفة مع دهام. إلا أن هذا العمل، لم يضعف جانب أمير الرياض.

وبادرت حكومة الدرعية إلى تقوية وضعها العسكري، فأقام الإمام عبدالعزيز بن محمد حصناً، يدعى حصن "الغذوانة"، في وادي حنيفة، غربي الرياض، عام ١١٧١هـ/١٧٥٧م. ورابطت فيه حامية سعودية قوية، ليكون نقطة انطلاق ضد الرياض. وكثفت الدرعية من غزواتها ضد دهام بن دواس، بخاصة في الفترة الواقعة ما بين عامَي ١١٨١هـ - ١١٨٧هـ/١٧٦٧م - ١٧٧٣م، مما تسبب بإضعاف قواته.

ففي عام ١١٨٥هـ/١٧٧١م، قاد الإمام عبدالعزيز بن محمد الجيوش بنفسه، نحو الرياض. وإذا لم يحقق مراده منها، قفل راجعاً بجيشه. فلما بلغوا بلدة "عرقة"، أسفل الدرعية، فوجئوا بأن دهاماً، قد سار إليها، غازياً، من دون علمهم، ومهدداً عاصمة آل سعود. إلا أن القوات السعودية، استطاعت أن تحول الموقف في مصلحتها، فطاردت قوات دهام، واشتبكت معها في قتال، سقط فيه دواس وسعدون، ابنا دهام، صريعَين.

وفي سنة ١١٨٦هـ/ ١٧٧٢م، واصل الإمام عبدالعزيز هجماته الشديدة، ضد دهام. وغزا الرياض مرتَين.

واستطاع الإمام عبدالعزيز، في صفر ١١٨٧هـ/١٧٧٣م، أن يستولي على بعض بروج بلدة الرياض، فهدمها وهدم برج المرقب الشامخ فيها.

وما أن حل شهر ربيع الآخر عام ١١٨٧هـ/١٧٧٣م، حتى كان دهام قد ضج من القتال، وعزم على الفرار من الرياض، مع أتباعه، إلى الخرج. وفي منتصف الشهر، غزا الإمام عبدالعزيز، بجيشه، يريد حرب الرياض وتدميرها. فلما وصلوا قرب عرقة، جاءهم البشير بانهزام دهام وهربه إلى الدلم. واستسلمت الرياض، ودخلها الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود. وانتهى القتال الذي استمر سبعاً وعشرين سنة، بينها وبين الدرعية. وقدرت خسائر الجانبَين بأربعة آلاف قتيل. كانت خسائر دهام ألفين وثلاثمائة، من أهل الرياض. وخسائر الجانب السعودي ألفاً وسبعمائة. وبهذا، انتشرت مبادئ الدعوة الإصلاحية في الرياض، وتخلصت الدولة من أكبر مناهض، كان يقف في وجه توسعها في نجد.

٢. ضم العيينة

رحب أمير العيينة، عثمان بن حمد بن معمر، بالشيخ محمد بن عبدالوهاب، واعتنق دعوته، في بدايتها. وشارك في هدم كثير من القباب، وقطع الأشجار، التي كان الناس يتبركون بها. ومن العيينة أذيعت، أول مرة، مبادئ الدعوة السلفية. لكنه بضغط من حاكم الأحساء، سليمان بن محمد، زعيم بني خالد، أخرج الشيخَ من بلدته. وبعد خروج الشيخ محمد من العيينة، إلى الدرعية، ندم عثمان على فعلته، حينما رأى ما اكتسبته الدرعية من عزة وسمعة، بعد انتقال الشيخ إليها، واتفاقه مع أميرها على نشر الدعوة، ذهب عثمان بن معمر إلى الدرعية، وحاول إقناع الشيخ بالعودة إلى العيينة. لكن الشيخ رفض مطلبه. ولم يجد ابن معمر بداً، في بداية الأمر، من إعلان خضوعه للدرعية. وعلى الرغم من أنه شارك في حروب الدولة، ضد دهام بن دواس، حاكم الرياض، وتولى قيادة الجيش السعودي غير مرة ـ إلا أن أحداثاً بدرت منه، أثبتت أنه لم يكن صادقاً، ولا مخلصاً في ولائه للدعوة والدولة. ومن ذلك تقاعسه عن المشاركة في غزوة "دلقة"، عام ١١٦٠هـ/١٧٤٧م، ضد دهام بن دواس. فجعل يكيد لها، ثم رأى أن هذه المحاولة، لم تفلح. فعاد نادماً، وطلب الصفح من الشيخ، والإمام محمد بن سعود. فصفحا عنه، واستجابا إلى طلبه. ومع ذلك، استمر عثمان بن معمر في عدائه للدولة، لأنه شعر بفقد مركزه وسلطته. فعقد اتفاقاً سرياً مع أمير ثرمداء، وأمير الرياض، دهام بن دواس، ضد الدولة. ولما تزايد مكر عثمان، وتأكد ذلك، بالقرائن، قام بعض المؤيدين للدعوة، من أهل العيينة، بقتله، في رجب عام ١١٦٣هـ/يونيه ١٧٥٠م، بعد خروجه من صلاة الجمعة.

وبعدها، توجه الشيخ محمد بن عبدالوهاب بنفسه إلى العيينة. وعيّن مشاري بن معمر أميراً عليها. وبعد عشر سنوات من حكم مشاري للعيينة، عزل عنها بسبب عدم ولائه، وعُيّن بدلاً منه سلطان بن محيسن المعمري. وهكذا، استطاعت الدولة أن تنجح في القضاء على مقاومة أمير العيينة، التي انضمت، بعد ذلك، إلى الدعوة، وأصبحت ضمن سيادة الدولة. ففقدت أسرة آل معمر الزعامة السياسية في العيينة، واختفى دورها السياسي في نجد.

٣. ضم حريملاء

أما حريملاء، الواقعة إلى الشمال من العيينة، فقد أعلنت خضوعها للدولة السعودية، في أول الأمر. ولكن، في عام ١١٦٥هـ/١٧٥١م، قام بعض أهلها، بتحريض من قاضيها، سليمان بن عبدالوهاب، شقيق الشيخ محمد بن عبدالوهاب، الذي كان معارضاً لآراء أخيه ـ بنقض عهدهم للدعوة والدولة. وأخرجوا من البلدة من لم يستجب دعواهم، ومن بينهم الأمير محمد بن عبدالله، وأخوه، عثمان. فقصد هؤلاء المطرودون بلدة الدرعية، ونزلوا ضيوفاً على أميرها. ولما خشي المتمردون من رد الدرعية عليهم، أرسلوا وفداً، لاسترضاء المطرودين وإرجاعهم إلى بلدتهم. ولما عادوا إليها، إذا بقبيلة آل راشد، من أهل حريملاء، تهجم على هؤلاء العائدين، وتفتك ببعضهم. فقتل الأمير محمد بن عبدالله، وثمانية من أتباعه. وكان من الناجين مبارك بن عدوان، الذي فر، وطلب النجدة من الدرعية. فسيّر الإمام محمد بن سعود جيشاً، بقيادة ابنه، الأمير عبدالعزيز، تمكن من الاستيلاء على حريملاء، وأعلن الأمان لسكانها. وعين مبارك بن عدوان أميراً عليها، من قبل آل سعود. وبذلك، توسعت حدود الدولة السعودية، إلى حريملاء.

وحينما أراد أمير الرياض، دهام بن دواس، وحلفاؤه، الهجوم على حريملاء، بادرت جيوش آل سعود إلى انقاذ البلدة، وهزيمة الحلف، في موقعة "الدار"، في ذي القعدة عام ١١٦٨هـ/ أغسطس ١٧٥٥م.

ولكن الأمر، لم يستتب للدولة السعودية في حريملاء. إذ سرعان ما تنكر أميرها، مبارك بن عدوان، لأمير الدرعية، ونسي ما قدم إليه من عون ونصرة. وقام بمناصبة الدولة العداء. فأمر الإمام محمد بن سعود بعزله، وعين بدلاً منه أحمد بن ناصر بن عدوان. وحاول مبارك أن يستعيد إمارته على حريملاء مستنجداً بأهل المجمعة، وأهل سدير والوشم وثرمداء، فجمع منهم جيشاً كبيراً. إلا أن قوات الأمير عبدالعزيز بن محمد بن سعود، تصدت لهم، وأفسدت عليهم تحالفهم، وشتتهم. وظل مبارك بن عدوان طريداً، حتى توفي، مفلوجاً (أي مشلولاً)، في المجمعة، عام ١١٧٤هـ/ ١٧٦٠م. وهكذا تخلصت الدولة من كل مناهض، وقف في وجه الدعوة والدولة، في إقليم العارض.

٤. ضم منطقة الوشم

قررت الدولة نشر مبادئ الدعوة، في منطقة الوشم. فكانت بلدة شقراء من أولى المدن والبلدات، التي دخلت في الدعوة، وانضمت إلى الدرعية. أمّا بلدة القويعية، فقد انضمت إلى الدعوة والدولة، في عام ١١٦٩هـ/١٧٥٥م، بعد أن أعلن أهلها الطاعة، وبايعوا الشيخ، والإمام محمد بن سعود.

وأرسلت إمارة الدرعية عدة غزوات، بقيادة الأمير عبدالعزيز بن محمد بن سعود، إلى بلاد المنطقة. ومنها غزوة عام ١١٦١هـ/١٧٤٨م، بقيادة عثمان بن معمر، والأمير عبدالعزيز بن محمد، إلى ثرمداء، لنشر الدعوة، وإخضاع البلدة للدولة السعودية الناشئة. ومع أن الجيش السعودي، انتصر على جيش ثرمداء، إلا أنه لم يستول عليها. وفي عام ١١٦٣هـ/١٧٥٠م، حاولت الدولة إقناع أهالي ثرمداء بالدخول في الدعوة، والانضمام إليها، إلا أنهم رفضوا ذلك. وظلت الغزوات مستمرة بين الدرعية وثرمداء، إلى ما بعد عام ١١٧٣هـ/١٧٥٩م، حين انضمت ثرمداء إلى الدولة، بعد أن قاد الأمير عبدالعزيز بن محمد، عدة حملات عسكرية ضدها.

أما بلدة أشيقر، فقد انضمت إلى الدعوة والدولة، بعد حملات عسكرية ضدها، بين عامَي ١١٧٠هـ - ١١٨٢هـ / ١٧٥٦ - ١٧٦٨م.

وكذلك، بلدة القصب. فقد بايعت الشيخ، والإمام محمد بن سعود، بعد غزوة قام بها الأمير عبدالعزيز ضدها، عام ١١٧٢هـ/١٧٥٨م. وبعدها انضمت بلدة مراة (وتنطق مرات)، وبلدة الفرعة، إلى الدعوة والدولة، بعد قيام الأمير عبدالعزيز بغزوات ضدهما، في عام ١١٧٥هـ/١٧٦١م.

٥. ضم منطقة سدير

قامت الدولة بعدة غزوات، ضد بلدان منطقة سدير، التي رفضت الدعوة، ورفضت الانضواء تحت لواء الدولة السعودية الناشئة. وقد بدأت الدولة غزواتها للمنطقة، ابتداء من عام ١١٦٤هـ/١٧٥١م، واستمرت حتى عام ١١٧٧هـ/١٧٦٤م. وفي هذه الفترة استطاعت الدولة نشر مبادئ الدعوة، في كل من الزلفي وجلاجل والحوطة والجنوبية والروضة والتويم والغاط والداخلة والعودة وحرمة، وغيرها من المدن والبلدان، في هذه المنطقة.

وفي عام ١١٩٦هـ/١٧٨٢م، رأى أهل الروضة، من أعمال سدير، حاكم الأحساء، سعدون بن عريعر، عائداً، بجيشه، من القصيم؛ وقد فشل في حصاره لبريدة، فأعلنوا خروجهم على نفوذ آل سعود. وانضم إليهم زعماء سدير، المنفيون إلى الزبير. كذلك، انضم أمير الخرج، زيد بن زامل، الذي كان، في ذلك الوقت، مناهضاً للحكم السعودي، إلى قوات سعدون. وتحصنت القوات السعودية الموجودة فيها بالقلعة. وقرر هذا التحالف

الهجوم على بلدة الروضة، فاستولوا عليها ومعهم آل ماضي، زعماء المقاومة في الروضة. واستسلمت القوات السعودية.

وكان الجيش، الذي أعدته الدرعية، للقضاء على عصيان أهل القصيم، معسكراً في بلدة ثادق، يرقب الأحداث عن كثب. ولما واتت الأوضاع ذلك الجيش، تقدم نحو الروضة، واشتبك مع قوات آل ماضي، التي بقيت، بعد ارتحال جيش سعدون بن عريعر. وفي تلك الأثناء، وصل الأمير سعود بن عبدالعزيز، بجيشه، من الدرعية. فاشتد القتال. واستسلمت القوات المقاومة، بشروط، منها دفع مبالغ مالية، تعويضاً عن الضرر الذي أصاب البلدة، وطرد آل ماضي من الروضة، ومؤيديهم وأتباعهم. وأمّر عليها عبدالله بن عمر.

٦. ضم منطقة الخرج

قادت الدولة عدة غزوات، ضد منطقة الخرج، التي كانت شديدة المقاومة للنفوذ السعودي، بزعامة أميرها، زيد بن زامل الديلمي. وكان يتولى قيادة الجيوش السعودية، الأمير عبدالعزيز بن محمد بن سعود. ففي عام ١١٦٥هـ/١٧٥٢م، أرسلت الدولة غزوة، بقيادة مشاري بن معمر إلى الدلم. وفي عام ١١٧٣هـ/١٧٥٩م، أرسلت غزوة أخرى، بقيادة الأمير عبدالعزيز بن محمد. وظل الأمر كذلك، حتى بعد دخول السعوديين الرياض. بعدها، انقادت الدلم للدعوة والدولة. وفي عام ١١٧٥هـ/١٧٦١م، دخلت نعجان ضمن نطاق الدولة السعودية.

لقد ظل هذا الولاء في عهد الإمام محمد بن سعود. ولكن، بعد وفاته، نقض زيد بن زامل، أمير الدلم، العهد، وعقد الأحلاف ضد الدرعية. فتحالف مع حويل الوداعين الدوسري. زعيم وادي الدواسر، ومع آخرين، من زعماء جنوبي نجد. وطلب المتحالفون العون من أهل نجران وقبائلها، نظير مبلغ من المال، قدم لزعماء نجران. وحشد زيد بن زامل جيشاً كبيراً، سار به نحو العارض، للقضاء على الدرعية وتقليص

نفوذها. واشتبكت القوات المتحالفة، وهي في طريقها، مع أهالي بلدة الحائر، ثم أهالي بلدة ضرما. ولما اشتبكت مع القوات السعودية، منيت بخسائر فادحة؛ لأن القتال دار بين النخيل، مما جعل الزعماء النجرانيين يعودون إلى بلادهم. وبهذا الأسلوب، انفض عقد الحلف. ونتيجة لهذا كله، أدرك زيد بن زامل عدم جدوى مواصلة القتال ضد السعوديين. فاضطر إلىعقد صلح مع الدرعية، عام ١١٨٩هـ/١٧٧٥م، أعلن فيه خضوعه لها. إلا أن هذا الصلح لم يدم أمده طويلاً؛ لأن زيداً، خرج على شروط الصلح، في العام التالي. فأصدر الإمام عبدالعزيز بن محمد، حاكم الدولة، آنذاك، أمره بتنحية زيد عن إمارة الدلم، وعين بدلاً منه سليمان بن إبراهيم بن عفيصان، أميراً من قبل آل سعود.

وظل زيد بن زامل يعقد التحالفات، مع زعماء اليمامة، ضد الدولة، ويؤلب أهالي الجنوب عليها. وتمكن من إجبار سليمان بن عفيصان، والحامية السعودية، على الانسحاب من الدلم. فقادت الدولة ضده، وضد حلفائه عدة حملات تأديبية. وعبأت الدرعية قواتها، بقيادة الإمام عبدالعزيز بن محمد، وابنه، الأمير سعود بن عبدالعزيز. وأمرت ببناء "حصن البدع"، الواقع إلى الشرق من الدلم، والقريب من بلدة السلمية. وقد وضعت في هذا الحصن حامية سعودية، ظلت تراقب الوضع العسكري في الجنوب. فأدرك أهل الدلم خطر هذا الحصن، فاستنجدوا بسعدون بن عريعر، زعيم بني خالد، في الأحساء، وقاموا بهجومَين على الحصن، من دون جدوى.

وفي عام ١١٩٨هـ/١٧٨٤م، تمكنت فرقة دورية سعودية، من قتل زيد بن زامل، أثناء عودته من غزو قبيلة سبيع. وخلفه ابنه، براك بن زيد، في قيادة أهل الخرج.

وأرسلت الدرعية، في سنة ١١٩٩هـ/١٧٨٥م، حملة، بقيادة الأمير سعود بن عبدالعزيز، إلى الخرج. وسلبت قافلة، كانت متجهة إلى الحوطة. وقتلت زامل بن زيد، الابن الثاني لزيد بن زامل.

وحدث حادث أفاد الدولة السعودية، هو قيام نزاع أسري بين أفراد الأسرة الحاكمة في الخرج، حين قُتل براك بن زيد بن زامل، حاكم الخرج، على يد أبناء عمه، الذين لجأوا إلى الدرعية. فواصل الأمير سعود بن عبدالعزيز حملاته على الخرج.

وفي عام ١٢٠٠هـ/١٧٨٥م، شنت القوات السعودية هجوماً كاسحاً على الدلم. واستولت عليها، وأخضعتها للدولة السعودية. وأعلنت بلدان الخرج الانضمام إلى الدولة ومبايعتها للدعوة. وامتدت حدود الدولة السعودية إلى الجنوب والشرق.

ومع أن معظم البلدان، نقضت عهدها مع الدولة، بعد وفاة الإمام محمد بن سعود، عام ١١٧٩هـ/ ١٧٦٥م، إلا أن الإمام عبدالعزيز، استطاع أن يعيد هذه البلدان إلى سلطة الدولة السعودية، بعد أن عاهدت وبايعت، من جديد.

٧. ضم منطقة القصيم

تطلعت إمارة الدرعية إلى بسط سلطانها على شمالي نجد، بعد أن تمكنت من قرى وبلدان نجد، الوسطى والجنوبية والشرقية.

وكانت بريدة أعلنت ولاءها للدعوة وللدولة، عام ١١٨٢هـ/١٧٦٨م، حين دعمت حكومة الدرعية أمير بريدة، حمود الدريبي، ضد أمير عنيزة، عبدالله بن أحمد بن زامل، بقوات، قادها الأمير سعود بن عبدالعزيز.

إلا أن راشد الدريبي، الذي تولى إمارة بريدة، بعد حمود الدريبي، بدعم من حاكم الأحساء، تنكر للدرعية، وغيّر موقفه منها. فثار أبناء عمومته عليه، وأخرجوه من بريدة. وأعلنوا انضمامهم إلى الدرعية. ومع هذا، عادت بريدة فانتفضت ضد الدرعية، التي أرسلت قوات سعودية، بقيادة الأمير سعود بن عبدالعزيز. فحاصرها حتى استسلمت، عام ١١٨٩هـ/١٧٧٥م. وفي عام ١١٩٠هـ/١٧٧٦م، أسندت الدرعيةُ إمارةَ بريدة، إلى حجيلان بن حمد العُليان.

وفي عام ١١٩٦هـ/١٧٨٢م، أجمع أهل القصيم على نقض عهدهم للدرعية. وأعلنوا الحرب ضدها. ولكن أهل بريدة والرس والتنومة، رفضوا الاشتراك في هذا العصيان . وقتل المناهضون الدعاة، الذين كلفتهم الدولة بنشر الدعوة بينهم. وأرسل أهل القصيم إلى حاكم الأحساء، سعدون بن عريعر، يطلبون منه النجدة. فأجابهم، وسار بقواته، ومن حالفها من قبائل الظفير وبادية شمر وعنزة، إلى القصيم.

حاصرت قوات سعدون بن عريعر وحلفائه مدينة بريدة، مركز الثقل للنفوذ السعودي، وعلى رأسها حجيلان بن حمد آل عليان. وظلت بريدة محاصرة لعدة أشهر، حتى إن سليمان الحجيلاني، قريب الأمير،

وابن حصين، أخذا يتعاونان مع سعدون، ويفاوضانه، سراً. إلا أن حجيلان بن حمد قتلهما. وثبتت المدينة في صمودها أمام حصار سعدون. ودام الحصار أربعة أشهر، جرى خلاله قتال ومعارك، لاقتحام أسوارها. ولما اقتنع سعدون بعدم جدوى الحصار، ارتحل عن بريدة، وسار بقواته إلى المبيض، لينظم جيشه، واتجه نحو الروضة، في منطقة سدير، واستولى عليها.

أما مدينة عنيزة، فقد أعلنت ولاءها للدولة، بعد أن قاد الأمير سعود بن عبدالعزيز حملات عسكرية ضدها، واستطاع قتل أميرها، عبدالله بن أحمد بن زامل، عام ١١٨٢هـ/١٧٦٨م.

وفي عام ١١٩٦هـ/١٧٨٢م، تزعمت عنيزة عصياناً كبيراً على الدرعية. وقتلت الدعاة والمعلمين، الذين أوفدتهم الدولة للإرشاد. وأمدها صاحب الأحساء، سعدون بن عريعر، بنجدة منه. ولكن الثورة فشلت، واضطرت عنيزة أن تعلن ولاءها للدولة.

وفي عام ١٢٠٢هـ/١٧٨٨م، قاد الإمام سعود بن عبدالعزيز، جيشاً من الدرعية، واتجه به إلى عنيزة. ودار قتال مع أهلها، دخلت فيه قواته البلدة، وخضعت له. وأبعد رؤساءها من آل رشيد، وأسند إمارتها إلى عبدالله بن يحيى.

٨. ضم منطقة جبل شمر

أدرك الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود، الذي نجحت جيوشه في القضاء على ثورات الخرج والقصيم، أهمية منطقة جبل شمر، لتأمين حدود دولته، من الشمال. وأدرك، أيضاً، أهميتها الاقتصادية، حيث تزدهر فيها الزراعة، وعلاقتها التجارية بالعراق والبلاد المجاورة. ولذا، عزم على إخضاع أمرائها، آل علي، للنفوذ السعودي. وأمر حجيلان بن حمد، أمير بريدة بالسير، بحملة إلى منطقة جبل شمر، في عام ١٢٠٠هـ/١٧٨٥م. ولكن حملة حجيلان تلك، صادفت قافلة تجارية، قادمة من العراق إلى حائل. فسلبوها وقتلوا بعض رجالها. وعادوا مسرعين، من دون تحقيق هدف الدرعية من الحملة. ونتيجة لذلك، قرر زعيم المنتفق، ثويني بن عبدالله بن محمد آل شبيب، في محرم عام ١٢٠١هـ/نوفمبر ١٧٨٦م، الانتقام من حجيلان، لنهبه القافلة العراقية. فسار بجيشه، ومعه جموع من قبائل أخرى، من الزبير، نحو بريدة. وبعد عدة عمليات عسكرية، اضطر ثويني للانسحاب، راجعاً إلى المنتفق، بسبب قيام اضطرابات فيها. ولم تتمكن النجدة، التي أرسلها له حاكم الأحساء

عبد المحسن بن سرداح، زعيم بني خالد، من الوصول إلى القصيم، بسبب سماعها بانسحاب ثويني، فعادت أدراجها. وانتهز حجيلان هذه الفرصة، فجدد هجومه على منطقة جبل شمر، بأمر من الإمام عبدالعزيز. ونجح، بعد قتال مع أهلها، أن يخضعها للنفوذ السعودي، في عام ١٢٠١هـ.

ولم تستقر الأمور للدولة السعودية، في منطقة جبل شمر، بسبب معارضة بعض قبائل شمر لها، خاصة بعد تحالفها مع قبائل مطير وحرب. وبعد العمليات العسكرية، التي استمرت حتى عام ١٢٠٧هـ / ١٧٩٢م، خضعت المنطقة للدولة السعودية.

وبعد دخول جبل شمر ضمن النفوذ السعودي، بدأت أنشطة آل سعود، نحو شمالي شبه الجزيرة العربية. فشن أمير جبل شمر، محمد بن عبد المحسن بن علي، غارة على فئات من قبيلة الشرارات، حول دومة الجندل، أي منطقة الجوف. وفي عام ١٢٠٨هـ، اتجهت قوات سعودية نحو تلك المنطقة. وبعد قتال عنيف، أخضعتها للدولة السعودية وأصبحت الجيوش السعودية قادرة على الوصول إلى أطراف الشام.

وبذلك، تمكنت الدولة السعودية من بسط سلطانها على منطقة نجد، في الفترة الواقعة بين عامَي ١١٥٨ ـ ١٢٠٧/ ١٧٤٥ ـ ١٧٩٢م. واستطاعت أن تنشر مبادئ الدعوة الإصلاحية فيها. وأصبح هدف الدولة، في المرحلة التالية، أن تعمل على نشر الدعوة، في خارج حدود نجد، في مناطق شبه الجزيرة العربية الأخرى،

كالأحساء والحجاز وعسير واليمن وعُمان، ما أدى بها إلى خوض العديد من الغزوات مع حكام الأحساء، من بني خالد، ومع الأشراف في الحجاز، وغيرهم.

وكان على الدولة أن تعد نفسها لعمل أكبر؛ لأنها سوف تواجه، في المرحلة اللاحقة، قوى سياسية أكبر من القوى السياسية، التي عادتها في نجد. وستخوض حروباً أكثر ضراوة، وأشد بأساً، مما واجهته في البلدان النجدية. وستواجهها أوضاع، تكاد تكون مختلفة عن الأوضاع التي واجهتها في إقليم نجد. يضاف إلى ذلك، أنها ستلقى، في بعض المناطق، مواجهة مذهبية، كانت تزيد من شدة الموقف وضراوته، ومن ثمّ، تقوي حدّة الصراعات والحروب.

==========

المحاضرة الرابعة

توسع الدولة السعودية الأولي، خارج منطقة نجد

١. ضم الأحساء

كان نفوذ الدولة العثمانية وقوتها، في الأحساء، ضعيفاً مما شجع بني خالد على العصيان ضدها، واستطاع زعيمهم براك بن عريعر آل حميد، أن يخرج الحامية العثمانية من الأحساء، ويستولي عليها، سنة ١٠٨٠هـ، فأخذ بنو خالد يتوسعون، ويمدون نفوذهم إلى الأقاليم المجاورة للأحساء، كلما سنحت لهم الفرصة. وقد وصل نفوذهم إلى إقليم العارض، في وسط نجد، في مطلع القرن الثاني عشر الهجري.

وواجهت دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، معارضة من بني خالد، في الأحساء. ورأوا في قوة إمارة آل سعود، التي برزت بعد اتفاق الدرعية، قوة جديدة، تضر بمصالح بني خالد، في نجد، وبخاصة المصالح الاقتصادية، القائمة على التجارة وأنها ستسعى إلى توسيع نفوذها وسلطانها إلى الأحساء.

ولعل أهم عوامل الصراع، بين الدولة السعودية ونجد والأحساء، يكمن في ما يلي: (سؤال اختبار)

أ. الخلاف المذهبي بين الدرعية، التي تدعو إلى السلفية، والأحساء التي ينتشر فيها المذهب الشيعي. وانعكس هذا في أمر حاكم الأحساء، سليمان بن محمد بن عريعر، أمير الدرعية، بالتخلص من الشيخ محمد بن عبدالوهاب. وقد زاد هذا العامل من حدّة الصراع، بمرور الوقت، حينما اكتسبت الدعوة الإصلاحية للشيخ محمد بن عبدالوهاب مزيداً من الأنصار والقوة.

ب. هروب بعض القبائل النجدية، المقاومة للنفوذ السعودي، نحو الأحساء، وسعي إمارة الدرعية إلى تأديبهم ومطاردتهم في ملجئهم. وكذلك العون والمساعدة، اللذين كان يقدمهما حكام الأحساء، بين الفترة والأخرى، إلى القوى المناهضة للنفوذ السعودي؛ كما حدث في مساعدتهم أمراء الوشم وبريدة والخرج والرياض وسدير.

ج. العامل الاقتصادي، كان محركاً أساسياً للحملات السعودية على الأحساء، نظراً إلى توسع رقعة الدولة، وزيادة الأعباء على بيت المال، وحاجتها إلى زيادة مواردها، للإنفاق على مقاتليها، وعلى أوجه عديدة. فالأحساء، الغنية بالمياه وبالمزارع وبساتين النخيل، وبحركة تجارية واسعة، عبر موانيها على الخليج ـ كانت مطمحاً لكل القبائل النجدية، والقوى السياسية فيها.

لذا، بدأ التصادم بين النفوذ السعودي وحكم بني خالد، مبكراً. فأول اصطدام وقع بين إمارة الدرعية وبني خالد، بدأ في عهد الإمام محمد بن سعود، وفي عهد حاكم الأحساء، سليمان بن محمد. وكان سليمان بن محمد، وقتذاك، من أصحاب النفوذ الواسع في المنطقة. وكان في مقدوره أن يؤثر في الأحداث فيها. إلا أن سليمان، كان له منافسون أقوياء، في الداخل، من زعماء بني خالد، مثل دجين بن سعدون ومنيع بن سعدون. وانتهت هذه المنافسة بطرد سليمان من الأحساء، إلى الخرج، حيث توفي، وخلفه في الحكم عريعر بن دجين.

ولم تكن للحكم السعودي، في بدايته، القدرة على شن غارات على الأحساء؛ فسيطرته غير كاملة على نجد. لذا، اكتفى بصد حملات بني خالد وحلفائهم على البلدان، الواقعة تحت السيطرة السعودية.

ففي سنة ١١٧٢هـ/١٧٥٩م، بدأ زعيم بني خالد، عريعر بن دجين، يعد العدة لحرب الدرعية، والقضاء على نفوذها، الديني والسياسي. فتحالف مع عدد كبير من أمراء مناطق نجد. فأخذت الدرعية أهبتها، لصد هجماتهم. واتجه عريعر بقواته وحلفائه، صوب الدرعية. ووصل إلى بلدة الجبيلة، في شمال وادي حنيفة. لكن بعض الحلفاء، تخلى عنه، وطلب الصلح مع الدرعية، والخضوع لها. فتصدع الحلف، واضطر عريعر إلى العودة إلى الأحساء، من دون تحقيق أي هدف.

وعلى الرغم من هذا الفشل، الذي مُنِيَ به عريعر، فإنه استنفر بني خالد، في عام ١١٧٨هـ/١٧٦٥م، لحرب الدرعية. وراسل حسن بن هبة الله المكرمي، زعيم نجران، الذي يجمعه هدف مشترك معه، ضد الدرعية.

وكذلك دهام بن دواس، أمير الرياض، خصم الدرعية العنيد. وشاركت في هذا الحلف عناصر أخرى، من نجد. واستطاع أمير نجران، أن يوجه ضربة قوية إلى قوات الدرعية، ويلحق بها هزيمة، هددت الدولة الناشئة بالسقوط. ولكن الإمام محمد بن سعود، والشيخ محمد بن عبدالوهاب، استطاعا تلافي الخسارة، بعقد صلح مع أمير نجران، ومنعاه من مواصلة هجماته على الدرعية. ولما وصلت قوات عريعر بن دجين قريباً من الدرعية، كان الصلح قد تم بين الدرعية وصاحب نجران. وعلى الرغم من استياء عريعر من عمل حسن بن هبة الله، فإنه حاصر الدرعية، بقواته وبالقوات المتحالفة معه، لمدة شهر. واضطر إلى فك الحصار، بعد خروج القوات السعودية، بقيادة عبدالعزيز بن محمد بن سعود، إلى خارج البلدة، والاشتباك مع قواته. ورحل عريعر إلى الأحساء، مخلفاً أربعين قتيلاً من رجاله.

ولما تولى الحكم عبدالعزيز بن محمد بن سعود، سير الحملات، بقيادة ابنه، سعود، نحو الحدود النجدية مع العراق والأحساء. وأدرك عريعر بن دجين، أن الخطر يحيق بإقليم الأحساء. فقرر أن يقوم بعمليات عسكرية، ضد الدرعية، محاولة منه لإبعاد هذا الخطر عن بلاده.

ففي ربيع ١١٨٨هـ/١٧٧٤م، شن عريعر هجوماً عاصفاً على منطقة القصيم، وركز هجومه في بلدة بريدة. ونجح في إقصاء أميرها، عبدالله بن حسن، وأسرته، الموالين للدرعية. وعين عليها راشد الدريبي، المناهض لآل سعود. وتشجع عريعر على مهاجمة الدرعية نفسها. إلا أنه توفي في الخابية، قرب النبقية، بعد شهرَين من انسحابه من بريدة.

ويعتبر موت هذا الزعيم من زعماء بني خالد، الحد الفاصل بين فترتَي القوة والضعف، في تاريخ بني خالد. إذ دب النزاع، بعده، بين أفراد الأسرة الحاكمة، وأدى إلى ضعف أمرائها وعدم سيطرتهم على أمور الجند والحكم في بلادهم.

وتولى، بعده، ابنه الأكبر، بطين، ولقي حتفه، مخنوقاً، في بيته، على يد أخوَيه، دجين وسعدون، ليخلفه دجين. وما لبث سعدون أن دس له السم، ليخلص له الحكم.

وكثف سعدون بن عريعر، في الأعوام التالية، من نشاطه ضد الدولة السعودية، ليحول دون قيام دولة قوية في نجد، ومؤملاً، من وراء ذلك، أيضاً، استعادة مكانة أسرته، أمام سكان الأحساء، بعد الضعف الذي حل بها، خاصة مع كثرة الفتن التي انتابتها.

ففي عام ١١٩٢هـ/١٧٧٨م، تحالف مع زيد بن زامل الديلمي، أمير الخرج، للقيام بأعمال عسكرية ضد الدرعية. وفي عام ١١٩٣هـ/١٧٧٩م، حاول سعدون، أن يحرض بعض البلدان النجدية، ضد نفوذ الدرعية، بالتحالف مع حرمة والزلفي. وهاجموا بلدة المجمعة، التي كانت تمثل مركز الحماسة للحكم السعودي. ولكن هذه الحملة، فشلت.

وفي عام ١١٩٥هـ/ ١٧٨١م، قدّم سعدون مساعداته العسكرية إلى أهل الدلم، ضد الحامية السعودية، الموجودة في حصن "البدع" السعودي. كما سار، في عام ١١٩٧هـ/١٧٨٣م، بقواته، إلى منطقة القصيم، لمساعدة أهلها، ضد بريدة، الموالية لآل سعود. إلا أن جميع هذه المحاولات، لم تنجح في تحقيق أهدافها.

ورداً على العداء السافر من بني خالد لآل سعود، بدأت العمليات العسكرية السعودية، ضد الأحساء، على يد الإمام سعود بن عبدالعزيز، حينما سار، بقواته، في عام ١١٩٨هـ/١٧٨٤م، حتى وصل قرية العيون، في الأحساء. فغنم جيشه الغنائم الكثيرة، وقفل راجعاً إلى بلاده.

وفي عام ١١٩٩هـ/١٧٨٥م، واصل الإمام سعود عملياته الاستفزازية، ضد الأحساء. فاعترض قافلة لأهل الخرج، قادمة من الأحساء، فسلبها، وقتل رجالها. وكل هذه العمليات، كانت من قبيل الاستطلاع العسكري لقوة العدو.

ولما تفاقم الصراع داخل أسرة بني خالد، هُزم سعدون بن عريعر. هزمه زعماء أسرته، الذين استنجدوا بشيخ المنتفق، ثويني بن عبدالله. فلجأ سعدون إلى الدرعية. واستفاد الإمام عبدالعزيز بن محمد من الوضع المتردي في الأحساء، وأصدر أمره إلى قائده، سليمان بن عفيصان، بمهاجمتهما. فغزا بلدة الجشة، ثم ميناء العقير، وأشعل النيران فيه، بعد أن استولى على ما فيه من أموال.

وفي عام ١٢٠٤هـ/ ١٧٨٩م، جرت موقعة غريميل (جبل صغير، تحته ماء، قرب الأحساء) حيث التقت القوات السعودية، بقيادة الإمام سعود بن عبدالعزيز، قوات بني خالد، بقيادة عبد المحسن بن سرداح، وابن أخته، دويحس بن عريعر. وبعد نزال، استمر ثلاثة أيام، انهزم جيش بني خالد. وهرب عبد المحسن إلى المنتفق، وغنم الجيش السعودي غنائم كثيرة. واستعمل الإمام سعود زيد بن عريعر، أميراً على بني خالد.

وفي عام ١٢٠٦هـ/ ١٧٩١م، تحرك الإمام سعود، بقواته، غازياً القطيف. وحاصر "سيهات"، وأخذها عنوة. ثم احتل بلدة "عنك". وقتل زيد بن عريعر، وإخوته، ورئيسَ بني خالد، عبد المحسن بن سرداح، بعد أن وعدوه بالأمان، فعاد إلى الأحساء من المنتفق، التي فرّ إليها، بعد وقعة "الغريميل"، فقتلوه في مجلسهم.

وظل الوضع العسكري كذلك، حتى عام ١٢٠٧هـ/١٧٩٢م. وقد توحدت أغلب بلدان نجد، تحت الحكم السعودي. فقويت شوكته وتعززت. وفي المقابل، ساءت الأحوال في الأحساء، التي آلت الأمور فيها إلى براك بن عبد المحسن بن سرداح. فسار الجيس السعودي نحو الأحساء، واشتبك مع أهلها في معارك عدة. وانكسر براك بن عبد المحسن، وجيشه، في معركة "الشيط"، شرقي "اللصافة". ودخل، على إثرها، الإمام سعود بن عبدالعزيز، بقواته، الأحساء. وبايعه أهلها على السمع والطاعة. وافتتح المساجد، وأقام العلماء لتدريس التوحيد وأصول الإسلام وشروطه. وفي الأحساء، أمر الإمام سعود بهدم القباب والأضرحة، ومظاهر الشرك. وعين محمد بن سليمان أميراً على القوات السعودية في الأحساء، ومحمد الحملي أميراً إدارياً في المنطقة. وعين حسين أبو سبيت مسؤولاً عن بيت المال في الإقليم.

لكن الأهالي في الأحساء، نقضوا العهد بعد عودة الإمام سعود إلى الدرعية. وقتلوا الأمير الإداري، محمد الحملي، وكذلك مدير بيت المال والوعاظ. وقدم زيد بن عريعر، وتزعم ثورتهم ضد الحكم السعودي.

وأرسلت الدولة، رداً على هذا العصيان، قوات ضخمة، بقيادة الإمام سعود، عام ١٢٠٨هـ/١٧٩٣م. فهاجم بلدة الشقيق واحتلها. ثم دخل بلدة القرين، ثم المبرز، وألحق الهزيمة بزيد بن عريعر. ثم نازل أهل الجبيل. وفي هذه الأثناء، عاد برّاك بن عبد المحسن، من المنتفق، وانضم إلى الإمام سعود، مناوئاً لخصمه زيد بن عريعر. وتوجه برّاك بنفسه إلى الدرعية، ليطلب من الإمام عبدالعزيز بن محمد الأمان لأهل الأحساء، فأجيب إلى طلبه، وانسحب الجيش السعودي، بعد أن بايعوا على السمع والطاعة.

وعلى الرغم من انقسام أهل المنطقة، بين مؤيد للدولة ومعارض، فقد تمكن برّاك بن عبد المحسن من فرض سيطرته على البلاد، بمساعدة النجدة السعودية، التي وصلته، بقيادة إبراهيم بن عفيصان. وانهزم أولاد عريعر من الأحساء. وصار برّاك نائباً فيها عن الأمير عبدالعزيز بن محمد. وزالت عنها ولاية آل حُميد، زعماء بني خالد عام ١٢٠٨هـ، بزوال ولاية زيد بن عريعر.

وقد ثار أهل الأحساء، بتحريض من براك بن عبد المحسن نفسه. ولكن قضت على ثورتهم نجدة، قادها إبراهيم بن عفيصان، ثم قوات كبيرة، بقيادة الإمام سعود بن عبدالعزيز، الذي أخضعهم للحكم السعودي. وسميت بغزوة الرقيّقة، محلة بالهفوف، وذلك في أواخر عام ١٢١٠هـ/١٧٩٦م. وعاد إلى الدرعية، ومعه عدد من زعماء بني خالد. وولى على المنطقة أميراً من عامة أهلها، يدعى ناجم بن دهينيم.

وكان لاستيلاء آل سعود على الأحساء نتائج مهمة منها: (سؤال اختبار)

أ. وصول حدود الدولة السعودية إلى الخليج العربي، وامتلاكها موانئ بحرية، مما يمكنها من الاتصال التجاري بالعالم الخارجي، وفتح باب للعمل لأنصارها.

ب. تحقيق ثروة من المحاصيل الزراعية والمواد الغذائية، التي تنتجها مزارع الأحساء الواسعة.

ج. انتشار الدعوة الإصلاحية بين سكان الأحساء، واكتساب أنصار جدد للدعوة، على حساب المذهب الشيعي، الذي كانت له السيادة هناك.

د. مجاورة حدود الدولة السعودية، لحدود الدولة العثمانية، التي تمثلها باشوية بغداد، وما يستتبع ذلك من احتكاك، سياسي وعسكري. وبداية علاقاتها بإمارات الخليج، مثل قطر وعُمان والبحرين والكويت.

هـ. إثارة اهتمام الدول الكبرى، ذات المصالح، التجارية والعسكرية، في الخليج العربي، مثل بريطانيا وإيران

٢. التوسع في الحجاز

لم يكن موقف أشراف الحجاز بأفضل من غيره، بالنسبة إلى الدولة السعودية الأولى، ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، لما كان لأشراف مكة من نفوذ في بعض الأقاليم النجدية. وبرزت نقاط احتكاك بينهم وبين السعوديين.

وتمثل أول موقف عدائي، من قبل أشراف مكة، لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، في منع الشريف مسعود بن سعيد، أنصار دعوة الشيخ، من أداء فريضة الحج.

وسار خليفته، أخوه، الشريف مساعد، على نهجه. ولكن، في عام ١١٨٣هـ/ ١٧٦٩م، عثرت كتيبة سعودية، في عالية نجد، على جماعة من الحجازيين، بقيادة الشريف منصور. وحين أحضروا إلى الدرعية، أكرمهم الإمام عبدالعزيز بن محمد، وأطلقهم، من دون فدية. وبعد ذلك، قدم الشريف منصور، ومعه إذن من شريف مكة للسعوديين، بالحج.

وفي عام ١١٨٥هـ/١٧٧١م، طلب الشريف أحمد بن سعيد، من قادة الدرعية، أن يرسلوا عالماً دينياً، ليوضح لعلماء الحجاز حقيقة ما يدعون إليه. فأرسلت الدرعية الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله الحُصّين، ومعه رسالة من الشيخ محمد بن عبدالوهاب، توضح مبادئ الدعوة

ويمكن القول، إن الموقف، بدأ يسير إلى التحسن، حينما اقتنع الشريف، وعلماء مكة، بمبادئ الدعوة. ولم يدم ذلك طويلاً. فقد أبعد الشريف أحمد عن الحكم، وحل محله ابن أخيه، الشريف سرور بن مساعد. وفي عهده أرسلت الدرعية طلباً للشريف، كي يسمح للحجاج السعوديين بزيارة مكة، لأداء فريضة الحج. إلا أنه اشترط دفع ضريبة، مقابل هذه الزيارة، ما دعا السعوديين إلى رفض مطلبه. وبعد سنتَين، أي عام ١١٩٧هـ/ ١٧٨٢م، دخل الحجاج السعوديون مكة، بعد أن تودد قادة الدرعية إلى الشريف سرور، بالهدايا الثمينة.

وحين توفي الشريف سرور، عام ١٢٠٢هـ/ ١٧٨٧م، خلفه أخوه، الشريف غالب بن مساعد بن سعيد. وبعد سنتَين، أراد الشريف أن يحدد سياسته تجاه الدولة السعودية، التي تحقق انتصارات في كل اتجاه، فطلب من الإمام عبدالعزيز، والشيخ محمد بن عبدالوهاب، أن يرسلا إليه عالماً، ليطلعه على حقيقة ما يدعوان إليه. فأرسلت الدرعية، مرة أخرى، العالم عبدالعزيز بن عبدالله الحُصّين، إلى مكة المكرمة، ومعه رسالة من الشيخ محمد بن عبدالوهاب. إلا أن المناظرات والمناقشات، لم تصل إلى حدّ إقناع الشريف غالب، وعلماء مكة المكرمة، بمبادئ الدعوة. فعاد إلى سيرة من قبله، فمنع الحجاج السعوديين من دخول مكة المكرمة، خوفاً من تسرب مبادئ دعوتهم. وبهذا، فإن حدّة التوتر، أخذت تزداد بين السعوديين والأشراف.

وكانت أول حملة عسكرية، جهزها الشريف غالب، عام ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م، ضد الدولة السعودية، بقيادة أخيه، الشريف عبدالعزيز بن مساعد، وقوامها عشرة آلاف رجل، في طريقها إلى الدرعية. ووصلت إلى منطقة "السر"، وانضمت إليها قبيلتا شمر ومطير. وحاصرت حصن "قصر بسام"، الذي كانت فيه حامية سعودية قليلة العدد. ولم تستطع تلك الحملة اقتحام الحصن. وأقامت أربعة أشهر على هذا الحال.

وعلى الرغم من أن الدولة السعودية، كانت، في ذلك الوقت، ترمي بكل ثقلها، ضد بني خالد، في الأحساء، في الشرق ـ إلا أن الإمام عبدالعزيز بن محمد، أرسل قوة عسكرية، بقيادة الإمام سعود، وتحت إمرته مجموعة من أمراء المناطق، إلى رمحين. وأخذت هذه القوة تلاحق القوات الحجازية، التي انتقلت من منطقة "السر" إلى بلدة "الشعراء"، في عالية نجد، مما جعل الشريف عبدالعزيز، يطلب النجدة من أخيه، الشريف غالب، الذي جاء على رأس جيش حجازي، في رمضان ١٢٠٥هـ / مايو ١٧٩١م، وحاصر بلدة الشعراء، لمدة شهر. ولكن مجيء هذا الجيش، لم يحرز أي نصر. فعادت القوات الحجازية إلى بلادها، خاصة أن موسم الحج، قد اقترب، ووجود الشريف في مكة، أمر ضروري. وقام الإمام سعود بن عبدالعزيز، عقب ذلك، بتأديب القبيلتَين، اللتَين انضمتا إلى حملة الشريف، مما أثار الفزع في نفوس القبائل الأخرى.

وقد نتج من فشل الغزوة الحجازية على الدولة السعودية، والانتصارات التي تحققت، وقتئذ، في الأحساء ـ ازدياد هيبة الدولة السعودية بين القبائل، التابعة للأشراف، فانضمت إليها.

وحاول الشريف غالب، أن يعيد إلى طاعته القبائل الحجازية، التي انضمت إلى الدرعية. فأخذ يرسل الحملات العسكرية ضدها، مما أدى إلى إضعاف جبهته.

وجمع الشريف قوات كبيرة، عام ١٢١٠هـ/١٧٩٥م، بقيادة الشريف فهيد، وهاجم عشائر قحطان، الموالية للدولة السعودية، وعلى رأسها هادي بن قرملة، عند ماء ماسل، في عالية نجد. وأحدث فيهم مقتلة عظيمة.

وهذا الانتصار، جعل الشريف يرسل حملة أخرى، في العام نفسه، بقيادة الشريف ناصر بن يحيى، ضد هادي بن قرملة، وقبيلته، قحطان، في مكان قرب ماء الجمانية، في عالية نجد. ولما علم الإمام عبدالعزيز بن محمد بذلك، أرسل تعزيزات من بوادي نجد، عتيبة ومطير والسهول وسبيع والعجمان، ومن الدواسر، لمساندة قحطان، ضد هجوم الأشراف عليها. وجرى قتال عنيف بين الفريقين، حققت فيه القوات السعودية، والمتحالفة معها، نصراً كبيراً.

لقد اغتنم الشريف غالب فرصة انشغال الدولة، في الشمال. فجهز حملة كبيرة، في شوال عام ١٢١٢هـ/ مارس ١٧٩٨م، ضد القبائل، التي اعتنقت الدعوة، وأيدت الدولة السعودية، في مناطق رنية وبيشة وتربة. ونزل بقواته في بلدة "الخرمة". وقد حقق جيش الشريف، في بداية الأمر، انتصاراً على القبائل المؤيدة للدعوة. فأرسلت الدولة مدداً، تقابل مع جيش الشريف، في الخرمة. وبعد قتال شرس، انهزم جيش الشريف، تاركاً غنائم كثيرة.

وعلى إثر هذه الواقعة، طلب الشريف غالب الصلح مع الدولة السعودية. واتفق الطرفان على عقد هدنة، مدتها ستة أعوام، يسمح، خلالها، للسعوديين بالحج. واتفقا على تحديد القبائل التابعة لكل منهما.

وخرق هذا الصلح، عام ١٢١٧هـ / ١٨٠٢م، بسبب انضمام بعض القبائل، الموالية للشريف، إلى الدولة السعودية. فأرسل الشريف وفداً مفاوضاً إلى الدرعية، برئاسة صهره، ووزيره، عثمان بن عبدالرحمن المضايفي. وبعد عودة عثمان المضايفي إلى الحجاز، شق عصا الطاعة على الشريف، وأعلن الانضمام إلى الدولة السعودية. وكان هذا كسباً للدولة، وعامل ضعف في قوة الشريف غالب. واتخذ عثمان المضايفي من بلدة العبيلاء، بين تربة والطائف، مركزاً له، وانضمت إليه القبائل الحجازية التي لا تميل إلى شريف مكة. ولما هاجمه الشريف غالب، تمكن من صده. وسارعت إليه نجدة من القبائل الموالية للسعوديين. فزحف على

الطائف، واستولى عليها، بعد انسحاب الشريف غالب إلى مكة المكرمة، عام ١٢١٧هـ / ١٨٠٢ م. وعينت الدرعية المضايفي أميراً، من قبلها، على الطائف والمناطق التابعة لها.

وبعد الاستيلاء على الطائف، قرر الإمام سعود وضع حد للصراع مع الشريف. ولهذا اتجهت قوات الدرعية، بقيادته نحو الحجاز. وانضم إليها عثمان المضايفي، بقواته، في الطائف. وزحفت الجيوش السعودية نحو مكة، وكان ذلك قبيل موسم الحج، عام ١٢١٧هـ/١٨٠٣م. وكاتب الشريف غالب الدولة العثمانية، يستنجدها. ولكنه، لم يجد له مجيباً. وحاول إغراء الحجاج، ودفعهم إلى محاربة السعوديين معه. وقد انتظر الإمام سعود، بجيشه، حتى انقضى الحج، وانصرف الحجاج إلى بلادهم. ولما شعر الشريف غالب بعدم قدرته على مقابلة هذا الجيش، ترك مكة، وتوجه إلى جدة، تاركاً الأمر في مكة لأخيه، الشريف عبدالمعين بن مساعد، الذي أعلن طاعته، واستعداده لتسليم مكة، على أن يبقى في شرافتها. فقبل الإمام سعود، الذي كان يعسكر في وادي السيل، بين مكة والطائف. وهكذا، دخل السعوديون مكة، في محرم ١٢١٨هـ/١٨٠٣م. وقرئ على منبر الحرم الشريف، كتاب الأمان العام لأهل مكة .

وأمر بتطبيق مبادىء الدعوة الإصلاحية، وتدريسها في حلقات الدرس، في الحرم. وهدمت القباب والشواهد على القبور.

وزحف الإمام سعود إلى جدة، وحاصرها. ولكنه عجز عن دخولها، لمناعة أسوارها. فرفع عنها الحصار، وعاد إلى الدرعية، بعد أن رتب حامية سعودية في مكة. وبعد رحيل القوات السعودية، هاجم الشريف غالب مكة، فدخلها، من دون مقاومة، عام ١٢١٨هـ/١٨٠٣م. وأعطى الأمان للحامية السعودية. ثم تقدم إلى الطائف، فحاصرها، وكان فيها عثمان المضايفي وأتباعه.

وأثناء ذلك، اغتيل الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود، على يد أحد الأكراد، في الدرعية، عام ١٢١٨هـ/١٨٠٣م. وبويع ابنه، سعود، أميراً للدولة السعودية.

ولما وصل نبأ استعادة الشريف غالب مكة، أمر الإمام سعود بن عبدالعزيز ببناء قلعة عسكرية، في وادي فاطمة، لتكون نقطة رصد ومراقبة لتحركات الشريف غالب، اكتملت في عام ١٢٢٠هـ/١٨٠٥م . وأصدر أوامره إلى عبدالوهاب أبو نقطة، أمير ألمع وعسير ونواحي تهامة، الموالين للدولة السعودية، بأن يسير إلى جدة، ليكون قائداً عاماً للجيوش السعودية، المعدة لحرب الشريف. ثم أرسلت الدرعية قوات كبيرة، صوب مكة، فحاصرتها، وسدت على الشريف جميع الطرق، مما أثر في الوضع الاقتصادي فيها. فأدرك الشريف غالب، أنه لا طاقة له بالصمود. واضطر إلى طلب الصلح، على أن يبقى في إمارته على مكة، تابعاً للدرعية. وبهذا، دخلت مكة تحت الحكم السعودي. وفي العام نفسه، تقدمت القوات السعودية نحو المدينة المنورة، فدخلتها. وتم، بذلك، للسعوديين، الاستيلاء على الحجاز.

وبدأت الدولة السعودية بممارسة سلطتها في الحجاز. فأصدرت أوامرها بمنع دخول المحمل الشامي، القادم للحج، بقيادة عبدالله باشا العظم، في عام ١٢٢١هـ/١٨٠٦م.

ولأن الدولة العثمانية، لم تكن راضية عن الشريف غالب، فلم تلتفت إلى طلبه العون منها، ضد الهجمات السعودية. ولم تأخذ تحذيراته لها مأخذ الجد.

يقول أحمد زيني، المؤرخ الحجازي المعاصر، في كتابه، "خلاصة الكلام في أمراء البيت الحرام"، الصفحة ٢٦٦ ما يلي:

"أرسل مولانا الشريف غالب، للدولة العليا، يخبرهم بظهور أمر الوهابية. وأرسل، لذلك، السيد محسن بن عبدالله الحمود، والسيد حسيناً، مفتي الملكية. فلم تكترث الدولة لهذا، ولم تلتفت إليه".

ومن نتائج ضم الحجاز إلى الدولة السعودية:

أ. امتداد حدود الدولة، من الخليج العربي حتى ساحل البحر الأحمر، مما أعطاها، بعداً جغرافياً وسياسياً، كبيراً.

ب. توقف حملات الحج، القادمة من بعض الدول الإسلامية، لعدم رضا زعمائها عن الإجراءات السعودية في الحج، مثل منع الطبول والمزامير، والاحتفالات المصاحبة لتلك المحامل.

ج. اتخاذ الدولة العثمانية موقفاً حازماً من النفوذ السعودي، بعد دخول الدولة السعودية الطائف ومكة والمدينة، وتبعية جدة لها. ومن هنا، بدأ احتكاك الدولة العثمانية بالدولة السعودية، من طريق ولاتها في الشام، في محاولة للقضاء عليها. ولما أيقنت الدولة العثمانية، أن ولاة الشام، لا يستطيعون عمل أي شيء، كما حصل مع ولاة بغداد، من قبل، قررت الاتصال بواليها، محمد علي باشا، في مصر.

ويمكن القول، إن الدولة العثمانية، ظلت تواجه الدولة السعودية الأولى، مواجهة غير جادة، بل ظلت تركز في حصر الدولة السعودية في إقليم نجد. إلا أن هذا الموقف تغير تماماً، بعد وصول القوات السعودية إقليم الحجاز. وعدّت هذا التوسع السعودي خطراً وتحدياً، دينياً وسياسياً، لزعامتها. فقد فقدت تبعية المناطق، التي دخلتها الدولة السعودية، من جهة. وبذلك خسر السلطان العثماني لقب "الحرمَين الشريفين"، الذي كان يمنحه مركزاً دينياً مهماً، في جميع أنحاء العالم الإسلامي، من جهة ثانية. ولذا، فإن رد الفعل العثماني، تجاه هذا الموقف، اتصف بالعنف. ويختلف في مرحلته هذه، عن مراحل النزاع العثماني ـ السعودي السابق، الذي جرى في أطراف العراق.

. ٣- التوسع في جهات عسير وجازان ونجران

أ. عسير

بدأ نشاط السعوديين في عسير، في عام ١٢١١هـ/١٧٩٦م، حينما أرسلوا جيشاً، بقيادة ربيع بن زيد الدوسري، فأغار على جماعات من شهران. وسار في العام التالي(١٢١٢هـ) إلى بيشة، وحاصرها، حتى بايع أهلها على السمع والطاعة للدولة السعودية. مما حدا بالشريف غالب، أن يجهز حملة كبيرة، في العام نفسه. واستعاد البلدة. وفي طريق عودة الشريف من بيشة، واجهته القوات السعودية، في الخرمة، فهزمته.

وفي عام ١٢١٣هـ/ ١٧٩٨م، أعاد ربيع بن زيد الدوسري الكرة، مهاجماً بيشة، واستولى عليها. وصارت تابعة للحكم السعودي. وعين الإمام عبدالعزيز بن محمد أحد زعماء تلك المنطقة، وهو سالم سكبان، أميراً عليها. وصار الطريق ممهداً، أمام الدولة السعودية، لنشر نفوذها نحو الجنوب. وقد أدى اقتناع عبدالوهاب أبي نقطة، وأخيه، محمد، من زعماء عسير، بالدعوة الإصلاحية للشيخ محمد بن عبدالوهاب، إلى انضمام منطقة عسير إلى الدولة السعودية.

ولقد أسهم عبدالوهاب أبو نقطة بجهود عظيمة، في دخول القوات السعودية الحجاز، وامتدادها في الجهات الجنوبية الغربية من شبه الجزيرة العربية.

ب. المخلاف السليماني (جازان)

وصلت أخبار الدعوة الإصلاحية للشيخ محمد بن عبدالوهاب، إلى منطقة المخلاف السليماني، في الفترة التي وصلت فيها إلى اليمن. ولكن بداية انتشارها الفعلي، كان في عام ١٢١٥هـ/١٨٠٠م، على يد أحمد بن حسين الفلقي، من أهالي صبيا، وعلى يد عرار بن شار، أمير بني شعبة. ولقد التقى الفلقي أتباع الدعوة السلفية، في موسم الحج، عام ١٢١٤هـ/١٧٩٩م. وأعجب بما يدعون الناس إليه. ثم وفد إلى الدرعية، لمزيد من العلم، وللاتصال بزعمائها. وعينه الإمام عبدالعزيز بن محمد داعية له في بلاده. ووفق الفلقي في نشر الدعوة بين السكان. ولكن، ظهر بين الزعماء المحليين من عارض هذه الدعوة. فنشب القتال بين المؤيدين والمعارضين، مما دعا الدولة السعودية إلى إرسال تعزيزات لمؤيديها.

. وكان هناك تنافس في إمارة أبي عريش، بين الأمير على بن حيدر، وعمه، الشريف حمود بن محمد، المعروف بأبي مسمار، الذي دعم معارضي الدعوة الإصلاحية، بما حقق لها النصر. ولما رحلت التعزيزات السعودية عن منطقة المخلاف السليماني، تغلب الشريف حمود على أخيه، وتولى إمارة أبي عريش. فبدأ بمقاومة النفوذ السعودي، في منطقته، بمحاربة أتباع الدعوة حتى أضعفهم.

فهبت الدولة السعودية، ترسل نجدات من عسير، بقيادة عبدالوهاب أبي نقطة. ولإدراك الشريف حمود عدم قدرته على الصمود أمام هذه القوات، طلب العون من إمام صنعاء، الذي فضل البقاء خارج هذا الصراع. وأمام هذا الخذلان له، من إمام صنعاء، اضطر الشريف حمود إلى إعلان طاعته للدولة، وتمسكه بمباديء الدعوة، وأبقي أميراً على منطقته، مع ربطه، إدارياً، بأمير عسير وتهامة، عبدالوهاب أبي نقطة.

ولكن الشريف حمود، وجه قواته نحو الأراضي اليمنية، رداً على خذلان إمام صنعاء له. واستولى، في حملته تلك، على مور واللحيّة. وبعد هذا النجاح العسكري، أرسل إلى زعماء الدرعية، يطلب منهم استقلاله، إدارياً، عن إمارة عسير، فأجيب إلى طلبه.

هذا الانفصال الإداري، أدى إلى نشوب صراع بين أمير عسير، أبي نقطة وأمير أبي عريش، الشريف حمود. وعلى الرغم من محاولة الدرعية للصلح بينهما، إلا أن ذلك التنافس استمر، وبقي الوضع الإداري للأميرَين كما هو.

واستطاع الشريف حمود، أن يضم مناطق من الأراضي اليمنية إلى النفوذ السعودي، مثل الحديدة وزبيد. وتوغلت قواته إلى قرب عدن، في الجنوب.

وطلب الإمام سعود بن عبدالعزيز، من الشريف حمود، مهاجمة صنعاء. ولكنه تقاعس، بحجة صعوبة الهجوم عليها، وخشيته من هجوم أمير عسير عليه، من الخلف.

هنا، قام الإمام سعود بالإيعاز إلى عبدالوهاب أبي نقطة، بمهاجمة الشريف حمود. فزحف بقواته إلى المخلاف السليماني. ودارت بينهما معركة عنيفة، عام ١٢٢٤هـ/ ١٨٠٩م، قتل فيها أبو نقطة. وبعد أن حققت قواته النصر، انسحب الشريف حمود إلى قلعة أبي عريش.

وتولى إمارة عسير طامي بن شعيب. وتمكن من انتزاع اللحية والحديدة، من الشريف حمود، الذي طلب الصفح من الإمام سعود، على أن يتنازل له عن بعض المناطق التابعة له، ويدفع خراجاً سنوياً إلى خزينة الدولة السعودية. فوافق الإمام سعود على ذلك الطلب، عام ١٢٢٦هـ/ ١٨١١م.

وعلى الرغم من أن النفوذ السعودي، امتد إلى المخلاف السليماني، إلا أن الوضع هناك، ظل قلقاً، ومضطرباً، بين مد وجزر.

ج. العلاقة بنجران

ساءت العلاقة بين الدولة السعودية وزعماء نجران، المكارمة، في وقت مبكر، بسبب دعمهم للمعارضين للدعوة، وللحكم السعودي. وشكلت القوات النجرانية تهديداً للدولة السعودية، في أكثر من موقعة. فلما اتجه الإمام عبدالعزيز بن محمد، بقوات الدرعية، في رمضان ١١٧٧هـ/ مارس ١٧٦٤م، إلى "قذلة"، لتأديب العجمان على مهاجمتهم قبيلة سبيع، الموالية للدولة، وانتصر عليهم، اتصلوا بحاكم نجران، حسن بن هبة الله المكرمي، الشيعي المذهب، وطلبوا منه مساعدته ضد الدرعية. وجمع حاكم نجران جيشاً كبيراً، وسار به إلى الحائر، جنوب وادي حنيفة. وشدد الحصار عليها. ولما علمت الدرعية بهذا الهجوم، أرسلت جيشاً كبيراً، قاده الإمام عبدالعزيز بن محمد. فانهزم جيش الدرعية، وقتل منه حوالي أربعمائة محارب. ووقع من رجاله في الأسر ثلاثمائة، وكان ذلك في ربيع الآخر عام ١١٧٨هـ/ سبتمبر ١٧٦٤م. ولقد استطاع السعوديون عقد صلح مع حاكم نجران، استعادوا بموجبه الأسرى.

وفي سنة ١٢٠٢هـ/١٧٨٧م، استنجد المعارضون للدولة السعودية، في وادي الدواسر، برئيس نجران، فأمدهم بنجدة، هو على رأسها. ولكنه انسحب أمام صمود مؤيدي الدولة.

وفي عام ١٢١٠هـ / ١٧٩٥م، غزا مبارك بن هادي بن قرملة، نواحي نجران، وقاتل باديتها، وانتصر عليهم.

وفي عام ١٢٢٠هـ/١٨٠٥م، غزت نجران قواتٌ سعودية ضخمة، بقيادة عبدالوهاب أبي نقطة، أمير عسير، وفهاد بن شكبان، زعيم بيشة، وإبراهيم بن مبارك، رئيس الوداعين، من الدواسر. ووقع قتال شديد من جيش السعوديين. وعادت القوات إلى بلادها، بعد أن بنى عبدالوهاب أبو نقطة، هناك، قصراً، ووضع فيه مرابطين، لمضايقة النجرانيين، عسكرياً واقتصادياً.

وفي عام ١٢٢٤هـ/١٨٠٩م، حارب النجرانيون مع الشريف حمود أبي مسمار، ضد عبدالوهاب أبي نقطة.

وعلى الرغم من أن زعماء نجران، أرسلوا ممثلاً عنهم إلى الإمام سعود بن عبدالعزيز، وأن الإمام أرسل إليهم رسالة مع ممثلهم، شرح لهم فيها مبادئ الدعوة، وما تسير عليه الدولة السعودية ـ إلا أن منطقة نجران، لم تخضع للحكم السعودي خضوعاً تاماً.

==========

المحاضرة الخامسة

عنوان المحاضرة

العلاقات السعودية –الإقليمية، في الجزيرة العربية

المحاضرةالخامسة

أولاً: العلاقات السعودية ـ الإقليمية، في الجزيرة العربية

. أصبحت الدولة السعودية، بعد دخولها الأحساء، قوة وطنية محلية، تصارع القوى السياسية الأخرى في المنطقة. وقد اتجهت أنظار الدولة، **أولاً، نحو قطر**، بإيعاز من القائد السعودي، ابراهيم بن عفيصان

١. العلاقات السعودية بقطر

يسكن قطر ثلاث قبائل عربية، هي آل مسلم، ويسكنون في قرى فريحة والقويرط؛ وآل أبي حسن، ويقيمون باليوسفية؛ والمعاضيد، ويسكنون في الرويضة والطبيخ. ثم استقر المقام بآل خليفة، من العتوب، في الزبارة، على الساحل، تجاه البحرين، بعد أن انفصلوا عن التحالف، الذي كان قائماً بينهم وبين آل صباح والجلاهمة، عام ١١٢٨هـ/١٧١٦م.

وكان إبراهيم بن عفيصان، هو القائد السعودي الأول، الذي غزا قطر، في أواخر عام ١٢٠٧هـ/١٧٩٣م. واستطاع إخضاع معظم قراها: فريحة والحويلة واليوسفية والرويضة، وغيرها.

وطلب السماح له بمهاجمة الزبارة، فجاءته الموافقة من **الإمام عبدا لعزيز بن محمد.**

وحاصر إبراهيم بن عفيصان فيها العتوب (آل خليفة وجماعتهم). وشدد هجماته عليها، حتى استولى على قلعتها. فاضطر العتوب إلى الرحيل، وساروا إلى البحرين، بوساطة البحر،، دخل السعوديون قطر، التي أصبحت جزءاً من الدولة السعودية الأولى، التي أخذت تنشر فيها مبادئ دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

٢. **العلاقات السعودية بالبحرين** **(سؤال اختبار)**

كانت جزيرة البحرين تحت سيادة آل خليفة، الذين كانوا يقيمون بالزبارة، في قطر. ومنها كانوا يديرون شؤون الجزيرة، منذ عام ١١٩٦هـ/١٧٨٢م.

وقد تركوا الزبارة، على أثر دخول القائد السعودي، إبراهيم بن عفيصان إليها، وتوجهوا إلى البحرين. وسكن سليمان آل خليفة وأسرته، في قرية جوا، في البحرين، عام ١٢١٢هـ /١٧٩٧م.

ولم تدم إقامتهم بها؛ لأن البحرين، خضعت لحكم السيد سلطان بن أحمد، حاكم مسقط، عام ١٢١٥ هـ/١٨٠٠م. وعين أخاه، سعيداً، حاكماً عليها من قبله. واضطر آل خليفة إلى العودة إلى بلدتهم القديمة، "الزبارة"، بعد أن أعطاهم آل سعود الأمان.

وقد طلب آل خليفة من الإمام سعود بن عبدالعزيز، مساعدتهم على استرجاع البحرين من حاكم مسقط. فسارع إلى إرسال جيش، بقيادة القائد إبراهيم بن عفيصان، استولى على البحرين، وطرد قوات حاكم مسقط منها، عام ١٢٢٤هـ/١٨٠٩م.

لكن إبراهيم بن عفيصان، لم يسلم زمام الأمور فيها لآل خليفة، بل أعلن ضمها إلى آل سعودوعين . وحينما حاول آل خليفة إجلاء القوات السعودية عن البحرين، ردت هذه القوات بمهاجمة الزبارة، وساقت رؤساء آل خليفة، كرهاً، إلى الدرعية. وعُين فهد بن سليمان بن عفيصان، قائداً للحامية السعودية في البحرين، وعُين إبراهيم بن عفيصان أميراً عليها.

ولم يستسلم آل خليفة، وطلبوا المساعدة من سعيد، حاكم مسقط، ومن الفرس، وأقاربهم من العتوب. وهاجموا الحامية السعودية في البحرين، وطردوا أميرها، إبراهيم بن عفيصان ورجاله. واعتقلوا قائد الحامية، فهد بن سليمان بن عفيصان، ومعه ستة عشر رجلاً من السعوديين، واتخذوهم رهينة حتى تطلق الدرعية آل خليفة المعتقلين فيها.

وقد حاول إبراهيم بن عفيصان، بمساعدة رحمة بن جابر الجلاهمة (من العتوب)، استرداد البحرين. إلا أنه فشل في ذلك، وحلت الهزيمة بقواته، في واقعة **خكيكيرة**، عام ١٢٢٥هـ/١٨١٠م. واضطر **الإمام سعود بن عبدالعزيز** إلى إطلاق زعماء آل خليفة، وعادوا إلى البحرين. ولم يعاود السعوديون محاولاتهم غزو البحرين، لانشغالهم بالحروب، ضد قوات محمد علي باشا، في الحجاز.

ولهذا، فإن الحكم السعودي في البحرين، لم يكن حكماً مستقراً. كما أن قبضة الدولة السعودية على البحرين، لم تكن كقبضتها على قطر. وهذا له من الأسباب ما يبرره. منها صعوبة المواصلات البحرية، وقتذاك، وبخاصة أن الدولة السعودية، لم يكن لديها أسطول بحري عسكري؛ وإنما كانت تستخدم مراكب الغوص، إذا دعت الضرورة إليها. أما قطر، فهي امتداد طبيعي للأحساء. ولا توجد بينهما حواجز طبيعية، كما هو الحال مع البحرين. إضافة إلى الخلاف المذهبي.

٣. العلاقات السعودية بالكويت

تتمتع الكويت بأهمية تجارية ممتازة. وكانت الكويت تتبع حكم بني خالد، وتسمى كوت بني عريعر، قبل قدوم آل صباح، العتوب، إليها. وتختلف المراجع في تحديد عام التأسيس. ومن التواريخ التي تذكرها المصادر، الأعوام التالية: ١٧٠١، ١٧٠٢، ١٧١٢، ١٧١٣، ١٧١٦. وقد ظل العتوب تابعين لبني خالد، حتى ضعفت سيادة بني خالد على الأحساء والمنطقة التابعة لها.

وقام الشيخ صباح بسفارة إلى الباشا العثماني، في بغداد، وهكذا، نجح جد آل صباح في إقناع والي بغداد، بقبول سيادتهم على الكويت، تحت تبعية الدولة العثمانية.

وكان هناك حلف ثلاثي بين آل صباح وأقاربهم، آل خليفة، والجلاهمة، عام ١١٥٩هـ/١٧٤٦م، أساسه أن يُعهد بشؤون الحكم إلى آل صباح، وشؤون التجارة والمال إلى آل خليفة، وشؤون العمل في البحر إلى الجلاهمة. على أن توزع الأرباح والواردات على المتحالفين، بالتساوي.

وأدركت الدولة السعودية أهمية الكويت، التي تعد ميناء لتموين نجد.

_فقاد القائد **إبراهيم بن عفيصان، في عام ١٢٠٨ هـ/١٧٩٣م**، حملة عسكرية، يبدو أنها بسبب إيوائها **زعماء بني خالد، الفارين من آل سعود**. وقد غنم إبراهيم بن عفيصان الغنائم الكثيرة في هذه الحملة. لكنه لم يكن في مقدوره، أن يخضع الكويت للسيادة السعودية.

وقد ردت الكويت على الحملة بإرسال سرية، للانتقام من آل سعود، بمهاجمة القبائل النجدية، المتاخمة لحدودها. إلا أن هذه الحملة، لم تعط النتائج، التي أرادتها الكويت، وعادت دون أن تفعل شيئاً. كما تعاون الكويتيون مع حملة رئيس المنتفق، ثويني بن عبدالله، ضد الدولة السعودية، عام ١٢١٢هـ/١٧٩٧م.

وقاد الإمام **سعود بن عبدالعزيز** حملة عسكرية ضد الكويت، عام ١٢١٩ هـ/١٨٠٤ م. وعسكر بقواته في قرية الجهراء. ولكنه انسحب، قبل أن يشتبك مع أهالي الكويت.

٤. العلاقات السعودية بعُمان

إقليم عُمان، يحتل قسماً كبيراً من شبه جزيرة العرب. يقع بين ساحل خليج عُمان وساحل شبه الجزيرة العربية الشرقي وساحلها الجنوبي، في اتجاه جزيرة مصيرة. وينقسم إلى ثلاث مناطق رئيسية، هي: الظاهرة، وأهم مدنها نزوى وبهلى وبلدان جعلان؛ والحجر، وفيه مدن وقرى كثيرة، مثل رستاق والجبل الأخضر وسمائل وأزكى؛ وما يلي البحر، يسمى الباطنة، وفيه بلدان صحار وشناص ومضلعة، ومسقط، عاصمة أئمة عُمان.

وتقطن في عُمان مجموعة قبائل، هي: بنو ياس،المناصير، العوامر، النعيم، العجمان، بنو كتب، بنو كعب، الدروع، آل وهيب، بنو مهير، المطاريش. وانقسم هؤلاء السكان إلى طائفتَين، هما:

- القبائل الهناوية، وتنتمي إلى مذهب الإباضية.
- القبائل الغفارية، وتنتمي إلى أهل السُّنة.

ولما وصل نفوذ الدولة السعودية الأولى منطقة الأحساء، بدأت تتطلع إلى نشر مبادئ دعوتها في عُمان. فأمر **الإمام عبدالعزيز بن محمد قائده، مطلق المطيري**، بغزو عُمان الصير، حيث تقطن قبيلة بني ياس. إلا أن مطلق المطيري، لم يوفق في الاستيلاء على المنطقة. عندها، رأى الإمام السعودي، أن يكل الأمر إلى قائده، **إبراهيم بن عفيصان**، الذي قاد معظم الحملات السعودية، في نواحي شرقي شبه الجزيرة. فقاد جيشاً كبيراً إلى منطقة عُمان الصير، ضد **بني ياس**. وقاتلهم، حتى طلبوا الأمان من الدرعية. ثم تبعتهم قبيلة **نعيم**، التي تقطن في البريمي.

وكانت هاتان القبيلتان من القبائل الغفارية، السُّنية، التي قد ترى في قوة آل سعود ما يعينها على صراعها ضد القبائل الهناوية الإباضية.

تقدم **إبراهيم بن عفيصان** إلى واحة البريمي، عام ١٢١٠ هـ/١٧٩٥ م. وبنى فيها قصر **الصبارة**، في منتصف الطريق، الواصل بين البريمي وحماسا، ليكون قاعدة للقوات السعودية في المنطقة.

وأرسلت سلطات الدرعية **القائد سالم بن بلال الحرق**، إلى منطقة البريمي، عام ١٢١٤هـ/١٨٠٠م، أميراً عليها، **بدلاً من ابن عفيصان.** وسيطرعلى واحة البريمي، وبدأ يوسع نفوذ الدولة السعودية في عُمان، بين القبائل القريبة من البريمي، في اتجاه الساحل. ومن ثم، فإن جميع قبائل، النعيم والظواهر وبني قتب، خضعت للدولة السعودية، ودفعت إليها الزكاة. وحذت حذوها قبيلتا بني علي وبني راسب.

هكذا، امتد نفوذ الدولة السعودية الأولى إلى عُمان والساحل، مما أثار القبائل الهناوية ضد القبائل الغفارية، المؤيدة لآل سعود، والمدعومة من قبلهم.

وتحت ضغط العمليات العسكرية السعودية المتواصلة، في عُمان، وبخاصة تلك الحملات، التي وصلت إلى سهل الباطنة ـ اضطر السيد سلطان بن أحمد، حاكم عُمان، إلى أن يطلب الصلح من **الإمام عبدالعزيز بن محمد. وعقدت هدنة، مدتها ثلاث سنوات**. وقُدِّرت الإتاوة السنوية، التي سيدفعها السيد سلطان، بخمسة آلاف ريال، سنوياً، وذلك نظير حماية أراضيه.

استمر السلطان سعيد بن سلطان، في مواجهة القوات السعودية. وكان يساعده على موقفه، ابن عمه، قيس بن أحمد. وكان هم سعيد أن يخرج القوات السعودية من عُمان، وأن لا يدفع الزكاة إلى الدولة السعودية. لكن قوات الأمير مطلق المطيري، ردت الهجوم، وهزمت قوات حاكم عُمان. وقتل قيس بن أحمد، في موقعة **خور**، على ساحل خليج عُمان. وبعد فشل حاكم مسقط في هذه الموقعة، صارت الطريق **مفتوحة أمام القوات السعودية، لدخول جميع عُمان والسيطرة عليها.**

وقد استفاد مطلق المطيري من هزيمة حاكم مسقط وأتباعه، فتقدم ودخل مطرح، وواصل زحفه، حتى وصل مدينة مسقط نفسها. وأعلن معظم مدن عُمان وقراها وبلدانها، الخضوع للسيادة السعودية.

وقد عاد حاكم عُمان، السلطان سعيد بن سلطان، إلى دفع الإتاوة إلى الدولة السعودية، في عهد الإمام سعود بن عبدالعزيز.

وقد أثارت هذه الأحداث مخاوف **بريطانيا** على مصالحها في الخليج العربي. فأرسلت قوة بحرية، جاءت من الهند، واستولت **على رأس الخيمة، عام ١٢٢٤هـ/١٨٠٩م** . وتحت إلحاح من حاكم مسقط، قامت هذه القوة البحرية الإنجليزية ببعض أعمال التهديد العسكرية، في ميناء شناص، ثم عادت إلى الهند.(مناقشة ٧)

وقد تحدى القائد السعودي، مطلق المطيري، هذه الإجراءات. فهاجم قوات حاكم مسقط، وأنزل بها هزيمة، قرب شناص. ثم قام ببعض الأعمال العسكرية الخاطفة، في سهل الباطنة. وعاد، بعدها، إلى قاعدته، في البريمي.

وتواصلت الأعمال العسكرية السعودية، في إقليم عُمان. **فأرسل الإمام سعود قائده، مطلق المطيري**، مرة أخرى، إلى عُمان، وأنزل الهزيمة بقوات سعيد بن سلطان. واستمر هذا القائد في عملياته الحربية، لإخماد الاضطرابات، إلى أن قتل، **في جعلان، عام ١٢٢٨هـ/١٨١٣م**. وشغلت الدولة السعودية، عند ذاك، بقدوم قوات محمد علي باشا إلى الحجاز، مما دفع قواتها إلى التمركز في البريمي.

وعلى أي حال، فقد أسفرت هذه الجهود السعودية، عن اعتناق القبائل العُمانية، السُّنية، الدعوة الإصلاحية. وهي قبائل: النعيم وبني ياس وآل علي والعوامر وبني قتب وبني كعب والهشم والجنبة وبني راسب والقواسم. ونالت الدولة مكاسب مادية كبيرة، من الزكاة وغيرها. وأقامت في المنطقة القرى والقصور والمساجد، وغير ذلك من المعالم، التي ما زالت باقية إلى يومنا هذا، في المنطقة

علاقة الدولة السعودية ببقية بلدان ساحل الخليج العربي

لقد عزز النفوذ السعودي في ساحل عُمان وتطبيق مبادئ الدعوة الإصلاحية دخول **قبيلة النعيم العُمانية** في طاعة الدولة السعودية

. فأرسلت الدولة السعودية قوات عسكرية، بقيادة مطلق المطيري، حاصرت رأس الخيمة، وقطعت الطريق بين المدينة ومزارع نخيلها، فصار كالحصار الاقتصادي عليها. وظل المطيري يشدد في حصاره، حتى اضطرت المدينة إلى طلب الصلح منه، من طريق رئيس القواسم، **الشيخ صقر بن راشد، عام ١٢١٢ هـ/١٧٩٧م.** وكان من بين بنود هذا الصلح، أن يقبل القواسم تعاليم الدعوة، وأن يدفعوا الزكاة إلى الدولة السعودية. وأعلن سلطان بن صقر القاسمي خضوعه للدرعية، واعتناق مبادئ الدعوة الإصلاحية، وتعهد بدفع الزكاة المقررة ، ما دامت الحكومة، لا تغير من وضعه، بوصفه زعيماً للقبيلة.

٦. العلاقات السعودية بالعراق

اختلفت نظرة الدولة العثمانية إلى الدعوة الإصلاحية، والدولة السعودية الأولى، باختلاف المكان الذي تمتدان إليه. فنظرت الدول العثمانية إلى الدولة السعودية ودعوتها، في نجد، على أنهما انتفاضة بدوية. **وحينما امتدتا إلى جبل شمر والأحساء**، أحست بأن الدعوة والدولة السعودية، **تحدٍ، ديني وسياسي،لها**، فاتخذت موقفاً معادياً لهما.

أ. حملة ثويني بن عبدالله

لقد أصبح جنوب العراق مركزاً لتجمع القوى المعارضة للدولة السعودية ودعوتها الإصلاحية. وبرزت عوامل الاحتكاك بين الطرفَين، بعد حملة قام **بها ثويني بن عبدالله، رئيس قبائل المنتفق، على القصيم، عام ١٢٠١ هـ/١٧٨٦م**، ومعه حشود كبيرة من قبائل المنتفق وأهل المجرة والزبير وبوادي شمّر وغالب وطيء . وشن هجوماً على بلدة التنومة، واستولى عليها عنوة، وقتل الكثير من أهلها. ثم حاصر بريدة، ولكنه اضطر إلى رفع الحصار عنها، حينما سمع بوقوع الاضطرابات في بلاده.

وأرسل الإمام **عبدالعزيز بن محمد رسالة، إلى سليمان باشا الكبير**، والي بغداد، مصحوبة بنسخة من كتاب الشيخ محمد بن عبدالوهاب، **"التوحيد الذي هو حق الله على العبيد"**، وطلب منه أن يجمع علماء بغداد، للنظر في الكتاب، والإيمان بما جاء فيه. إلا أن الوالي، استخف بهذه الدعوة، وكان رده سلبياً، مقللاً من شأن الدعوة الإصلاحية. وبذلك، عدّت أرض العراق دار حرب، في نظر أتباع دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب

قاد الإمام سعود بن عبدالعزيز، في عام ١٢٠٣ هـ/١٧٨٨م، جيشاً فاجأ قبائل المنتفق، في الموضع المعروف بالروضتَين، بين المطلاع وسفوان. فكانت هذه الحملة الاستطلاعية **هي أول حملة سعودية تدخل حدود العراق**. وظلت عشائر المنتفق تؤوي الهاربين من آل سعود

وفي عمل عسكري فعال، قاد الإمام سعود عام ١٢٠٩ هـ/١٧٩٤م الغزو ضد قبائل الظفير في مقاطعة الحجرة، على الحدود العراقية. وتمكنت الدولة السعودية من نقل ميدان الهجوم، إلى الأراضي العراقية الجنوبية. وأصبحت في مركز قوة، تستطيع منه تحدي ولاة العراق العثمانيين، وبخاصة بعد أن تمكنت من تثبيت حكمها في الأحساء. وكانت فرصة سانحة للدولة السعودية، لأن تؤدب قبائل المنتفق والظفير، والقوى المعارضة، التي هربت إلى هذه المنطقة.

وبعد هذا الغزو المتلاحق لجنوبي العراق، دارت مكاتبات بين السلطان العثماني ووالي بغداد، سليمان باشا الكبير، من أجل تسيير حملات عثمانية قوية، ضد الدرعية. إلا أن سليمان باشا، كان يقدر صعوبة قيام جيشه المنظم بحروب في الصحراء، لم يَعْتَدْ عليها، وليس لديه الخبرة الكافية بطبيعتها. كما قدر ما ستقوم به القبائل، الساكنة في جنوب البصرة، من انتفاضات وقلاقل، ضد الدولة.

رأى والي بغداد، سليمان باشا، أن يعمل على ضرب السعوديين بعرب العراق. فأفرج عن ثويني بن عبدالله، أمير المنتفق السابق، المعتقل، وأعاد إليه إمارة المنتفق، بدلاً من حمود بن ثامر، وعقد له لواء حرب آل سعود. وجدّ ثويني في جمع جيش كبير، يتكون من أهل المنتفق والزبير والبصرة، والعناصر الساخطة من بني خالد.

انطلق ثويني بحملته نحو الأحساء.

ومع هذا، فإن حملة ثويني، لم يقدر لها أن تحقق هدفها، واضطرت إلى التراجع. فتعقبتها القوات السعودية، وأخذت تطارد فلولها حتى حدود الكويت. واستولت على الكثير من معداتها ومدافعها وعتادها، وغنمت الكثير من الغنائم. وانضم براك بن عبد المحسن إلى القوات السعودية.

وقام الإمام سعود بهجوم على جنوبي العراق، رداً على حملة ثويني. وغزا سوق الشيوخ والسماوة. ووصل قرية أم العباس. وشن، أثناء غارته، هجوماً على قبائل شمر والظفير وغيرهما من العربان، وقتل مطلق الجربا، رئيس بوادي شمر.

وجاءت أوامر مشددة من الباب العالي، إلى سليمان باشا، بأن يعد حملة قوية من الجنود النظاميين، ضد الخطر السعودي.

ب. حملة الكيخيا علي باشا

بذل والي بغداد، سليمان باشا، ووكيله (أي الكيخيا)، علي بك، جهداً كبيراً في إعداد حملة على الأحساء، ضمت الجند المدربين، وقوة من العشائر، الكردية والعربية، وقبائل الخزاعل، الشيعية، عام ١٢١٣هـ/١٧٩٨م.

انقسمت الحملة، في البصرة، إلى قسمَين: فريق الفرسان، بقيادة **علي باشا**، الذي سار بهم، براً، نحو الأحساء. وفريق من المشاة والمدفعية، ومعه المعدات الثقيلة، أبحر على السفن، التي استأجرتها الدولة العثمانية، من مناطق الخليج. وساهم العتوب، في الكويت والبحرين، في إعداد هذه الحملة.

وصلت الحملة إلى المبرز والهفوف، وحاصرت الحصنَين السعوديَّين فيهما. وكان على رأس حامية حصن المبرز، سليمان بن محمد بن ماجد. وكان على رأس حامية حصن الهفوف، إبراهيم بن سليمان بن عفيصان. وقد صمد الموجودون في الحصنين أمام هذا الحصار، فاضطر اخيرا إلي العودة الي بغداد من دون أن يحرز نصراً. وأثناء عودته، كانت القوات السعودية، القادمة من الدرعية، قد وصلت إلى الأحساء،

يقودها الإمام سعود. ولما علم الإمام سعود بانسحاب قوات علي باشا، قرر أن يتعقبها. وسبقها، فنزل بقواته على ماء "ثاج". وكان علي باشا قد عسكر في مكان، يدعى "الشباك"، بالقرب من ثاج. وقامت مناوشات بين الطرفَين، كانت دون جدوى، ولم يكتب النصر لأي من الفريقَين.

رأى علي باشا ضرورة مفاوضة الإمام سعود، بعد أن فشل في تحقيق انتصار على السعوديين

وقد أثبت فشل حملة علي باشا على الأحساء، أنه ليس في مقدور ولاة بغداد عمل أي شيء، يمكن به القضاء على الدولة السعودية الأولى، أو على الأقل، إضعافها بشكل، لا تقوى معه على الامتداد خارج نجد. وقد أدى هذا الأمر إلى اقتناع السلطات العثمانية، في الآستانة، بأن العراق العثماني، لا يصلح، بحال من الأحوال، أن

يقود الحركة الهجومية العثمانية، ضد السعوديين. وهذا، بدوره، أدى إلى استعانة السلطات العثمانية بالولايات العثمانية الأخرى، غير العراق، وإسناد مهمة القضاء على الدولة السعودية إليها.

(ج. *وقعة كربلاء*

ولم يدم الصلح، الذي جرى بين الإمام سعود وعلي باشا، طويلاً. فقد تصدت قبيلة الخزاعل، الشيعة، لبعض أتباع الدولة السعودية، **وقتلت حوالي ثلاثمائة رجل منهم**، عام ١٢١٤هـ/ ١٧٩٩م قرب النجف.

ولم يكن من السهل على آل سعود، **نسيان قتلاهم**. فهاجمت القوات السعودية، **بقيادة الإمام سعود، في عام ١٢١٦هـ/١٨٠١م، جنوبي العراق، وهدمت القباب والأضرحة والمزارات الشيعية، وهدمت قبة قبر** الحسين، في كربلاء، انتقاماً من الشيعة. وعادت القوات السعودية، بسرعة، إلى الدرعية، ولم تلحق بها قوات علي باشا.

أما الشاه الفارسي، الذي استاء مما حدث في الأماكن المقدسة عند الشيعة، أخذ يضغط على والي بغداد، ويطلب منه أن يسمح لقواته بعبور العراق، لمحاربة السعوديين.

واستمرت الحملات السعودية على مناطق جنوبي العراق. وقد وصلت، مرة ثانية، في عام ١٢٢٣هـ/١٨٠٨م، إلى كربلاء، ولم تتمكن من دخولها.

وتوقفت حملات الدولة السعودية على جنوبي العراق، لانشغالها بالإعداد لمواجهة خطر الزحف العسكري، القادم من ولاية مصر، من طريق واليها، محمد علي باشا، الذي نفذ أوامر السلطان. (مناقشة ٨)

وعلى الرغم من أن التحركات السعودية ضد العراق، استمرت فترة طويلة، استغرقت حوالي ربع قرن (١٢٠٢ ـ ١٢٢٦هـ / ١٧٨٨ ـ ١٨١١م)، فإن النفوذ السعودي، لم يستطع أن يوطد قدمه في أي جزء من الأراضي العراقية، ولم تستطع الدرعية أن تعين لها عمالاً، في أي بلدة عراقية.

(٧. علاقات الدولة السعودية بالشام

تشير المصادر النجدية، إلى أن الإمام عبدالعزيز بن محمد، أمر بعض قواته، سنة ١٢٠٨هـ/١٧٩٣م، بالتوجه إلى دومة الجندل، على أطراف الشام، ومنازلة أهلها؛ وقد يكون ذلك من قبيل الاستطلاع لقوة الولاة العثمانيين في الشام. وفي عام١٢١٢ هـ/١٧٩٧م، **قاد حجيلان بن حمد**، أمير القصيم، جيشاً من أهل القصيم، فأغار على بوادي الشرارات، وقتل عدداً من رجالهم، وسلب كثيراً من أموالهم ومتاعهم.

وتمكنت هذه الحملات من نشر مبادئ الدعوة الإصلاحية، في المنطقة، وأخذ الزكاة من سكانها. ووصلت، من بوادي أهل الشام، في عام ١٢١٨هـ، ست نجائب، محملة بالريالات. ويفهم من ذلك أن أهل بوادي الشام أصبح ولاؤهم السياسي والديني للدرعية، وليس لولاة الشام.

وعندما شمل النفوذ السعودي بلاد الحجاز، أصبحت في وضع، جعلها على احتكاك مباشر بالسلطة العثمانية. وكانت بداية تحدي الدولة السعودية لوالي الشام، عام ١٢٢١هـ/١٨٠٦م، **حينما منع الإمام سعود بن عبدالعزيز.** أمير الحج الشامي، عبدالله باشا العظم، من الوصول إلى الحرمَين، للحج، بالمحمل، ترافقه الطبول والمزامير. وكادت تقع اصطدامات بين الجند السعوديين وجند عبدالله باشا

العظم، الذي لم يكن في موقف عسكري، يسمح له بمقابلة السعوديين. وعلى أثر ذلك، عزل السلطان سليم الثالث، عبدالله باشا العظم، عن منصبه، بسبب تقاعسه عن مواجهة القوات السعودية، ورجوعه بالحجاج، بناء على أمر من الإمام سعود. وعين بدلاً منه يوسف باشا كنج. وأصدر السلطان أوامره المشددة إلى يوسف باشا كنج، بضرورة محاربة السعوديين. إلا أنه اقترح أن تشترك معه ولايتا مصر وبغداد، في إعداد الحملات، للقيام بالمهمة الموكلة إليه.

وفي تلك الأثناء، قام الإمام سعود بحملة عسكرية ضد الشام. وتمكن من الوصول إلى ما وراء جبل الشيخ. وتنقلت قوات السعوديين في سهل حوران، وهاجمت حصن المزيريب وبصرى.

كاتب الإمام سعود ولاة الشام، ودعا سكانها إلى الدخول في الطاعة، واعتناق مبادئ الدعوة السلفية .

وانسحبت قواته من الشام محملة بالغنائم. وأصدر السلطان محمود الثاني أوامره بعزل يوسف كنج، لعدم كفاءته. وعين سليمان باشا، والياً على الشام. وطلب منه الاتصال بوالي مصر، محمد علي باشا، لتنسيق جهودهما ضد الدرعية.

إلا أن سليمان باشا، ومحمد علي باشا، لم يكونا على وفاق. لذا، اتجهت الدولة بأنظارها إلى والي مصر لتحقيق هدفها.

المحاضرة السادسة

عنوان المحاضرة

العلاقات الخارجية للدولة السعودية الأولي

المحاضرة السادسة

العلاقات الخارجية للدولة السعودية الأولى

كان لا بدّ من قيام اتصالات بين الدولة السعودية الأولى، والدول الكبيرة في منطقة الخليج العربي. وقد أدت العلاقة القائمة بين الدولة السعودية الأولى والقوى المحلية في الخليج العربي، خاصة تلك القوى المعارضة للدولة السعودية ـ دوراً بارزاً في حدوث مثل هذه الاتصالات، وذلك حينما قام بعض القوى المحلية في الخليج، بالاستنجاد ببريطانيا، وطلب المساعدة منها ضد الدولة السعودية . وقد حدث ذلك، حين **طلبت سلطنة مسقط من بريطانيا**، دعمها ضد الغزو السعودي. وفي بعض المناسبات، كانت تطلب العون من فرنسا. وأحياناً كانت تطلبه من دولة العجم، في إيران. وكانت البحرين، أحياناً، تطلب العون من دولة العجم، ضد الدولة السعودية.

وقد أسهمت حدة الصراع، القائم بين بريطانيا وفرنسا، في الشرق، في عهد الثورة الفرنسية وحروب نابليون ـ في حدوث مثل هذه الاتصالات، بين الدولة السعودية وكلٍّ من بريطانيا وفرنسا؛ لأن كلاً من الدولتَين الأجنبيتَين، كانت ترى ضرورة الاتصال بالقوى المحلية، ذات التأثير في أحداث الخليج. **وقد أسهم التشابك المذهبي، في منطقة الخليج العربي، وما كان له من سلبيات، في إيجاد نوع من العلاقة السلبية، بين الدولة السعودية ودولة العجم.**

العلاقة السعودية ـ البريطانية

لم تصل العلاقة بين الدولة السعودية الأولى وبريطانيا، إلى مستوى العلاقات الخارجية بين الدول، تلك العلاقات ذات المفهوم الدبلوماسي المعروف؛ وإنما كانت عبارة عن **اتصالات بسيطة، جرت بين الدولتَين، في مناسبات وظروف معينة.**

كان ثمة أحداث في المنطقة، أدت إلى الاتصال بين بريطانيا والدولة السعودية الأولى، كالتحالف القائم بين السعوديين والقواسم، الذين أصبحوا في عداء تقليدي، مع كلٍّ من حكام مسقط وبريطانيا. وكان العداء بين القواسم ومسقط وبريطانيا، قد جر الدولة السعودية الأولى، إلى خلافات مع بريطانيا، التي تتصرف من خلال مصالحها الاستعمارية في المنطقة، تلك المصالح المتركزة في مناطق الساحل، لا في المناطق الداخلية من شبه الجزيرة العربية.

وقد رأت بريطانيا ضرورة اتخاذ موقف لين، تجاه الدولة السعودية الأولى، حينما شعرت أن مصالحها الإستراتيجية، في الكويت وجنوب العراق، أصبحت معرضة للتأثير السعودي وضغطه، وبخاصة بعد وصول الحملات السعودية إلى تلك المناطق، وبعد نقل المراكز التجارية البريطانية، التابعة لشركة الهند الشرقية، من البصرة إلى الكويت.

لقد جامل رجال شركة الهند الشرقية البريطانية، المسؤولين السعوديين، حين قدموا إليهم الهدايا، وتقربوا منهم، حفاظاً على سلامة سير بريد الشركة الصحراوي، بين البصرة وحلب، المار في المناطق الشمالية الشرقية، من حدود الدولة السعودية الأولى.

وأرسلت بريطانيا رينود Reinaud، وهو أحد مساعدي الوكيل البريطاني، المستر مانيستي Manisty عام ١٢١٤هـ/١٧٩٩م، إلى الدرعية رئيساً للبعثة البريطانية الرسمية إلى العاصمة السعودية، لإجراء محادثات مع المسؤولين السعوديين، حول إيجاد نوع من العلاقات الودية وحسن المعاملة بين الدولتَين، بعد ما اعترى هذه العلاقات من الخلافات، كان مردها اشتراك عدد من حراس الوكالة الإنجليزية في الكويت، مع القوات الكويتية، في رد هجوم سعودي ضد الكويت.

ولم يكن موقف بريطانيا هذا، هو الموقف الوحيد المعادي للدولة السعودية؛ وإنما كان هناك مواقف بريطانية مماثلة. فكانت بريطانيا تساند موقف مسقط، وموقف البحرين، ضد السعوديين، في عدة مناسبات. أضف إلى هذا كله موقفها العدائي ضد القواسم، حلفاء الدولة السعودية، في منطقة ساحل عُمان. (مناقشة ٩)

غادر رينود Reinaud الكويت إلي الدرعية، ماراً بالقطيف والهفوف. وقد استقبله السعوديون، في الدرعية، استقبالاً حسناً. وحاول، في محادثاته، الحصول من الإمام عبدالعزيز بن محمد، على وعد بتأمين سلامة بريد الشركة، الذي يمر من البصرة إلى حلب، عبر الطريق الصحرواي الذي تقطن فيه قبائل سعودية.

ويبدو أن بعثة رينود Reinaud لم تحقق نجاحاً ملموساً، في هذا الصدد. وكانت الحساسية التي تتميز بها الدولة السعودية الأولى، ضد الأجانب النصارى، كفيلة بأن تفشل مهمة البعثة البريطانية. كما أن موضوع الدبلوماسية بين الدولة السعودية الأولى، والدول الأجنبية النصرانية، لم يكن مفتوحاً، بل كانت الدولة السعودية، تحاول تجنبه، قدر المستطاع. وهذا أمر يفرضه عليها الموقف الداخلي، من جهة، والبنية، السياسية والدينية، التي قامت عليها الدولة السعودية، من جهة ثانية. ومما يفسر صحة هذا الاتجاه.

أن الجانب البريطاني، كان، دائماً، هو البادئ بقيام عمليات الاتصالات بالجانب السعودي. وقد عبرت بعثة رينود Reinaud عن هذا الأمر. وكان الجانب البريطاني، هو البادىء، أيضاً، بقيام نوع من المراسلات بين الدولتَين. وقد عبرت عن ذلك الرسائل، التي كان يرسلها المعتمد البريطاني في بوشهر، إلى الحاكم السعودي في الدرعية، في مناسبة حدوث أمور طارئة، في العلاقات بين الدولتَين. وقد تمثل هذا النمط من المعاملة، في الرسالة، التي أرسلها المعتمد البريطاني في الخليج، إلى المسؤولين في الدرعية، بعد اشتراك بريطانيا، إلى جنب حاكم مسقط، ضد القواسم، في الساحل العماني. فأشارت الرسالة إلى سبب الموقف البريطاني، أن القواسم، نقضوا شروط معاهدة عام ١٢٢٠ هـ/١٨٠٦م، المعقودة بينهم وبين شركة الهند الشرقية. ومن هنا فإن بريطانيا تحمل القواسم مسؤولية تدهور الموقف. لذلك، كان على حلفائهم السعوديين، أن لا يظهروا استياءهم تجاه ما قامت به بريطانيا ومسقط، من عمل حربي ضدهم. كما أن على السعوديين أن لا يؤازروهم؛ لأنهم هم الذين نقضوا شروط الاتفاق، المبرم بينهم وبين بريطانيا.

ويبدو أن بريطانيا، كانت تتخذ مثل هذه الإجراءات اللينة، تجاه الدولة السعودية الأولى، لعدة اعتبارات. من أهمها:

- أن بريطانيا، كانت تتخذ مثل هذه المواقف اللينة، بعد أن تكون قد نفذت هدفها، وضربت ضربتها. وعندئذ، لا داعي للمواقف المتشددة، أو الموقف العنيف.

- أن بريطانيا، كانت مقتنعة بأن الدولة السعودية الأولى، تشكل قوة محلية مؤثرة في الخليج. ومن هنا، لا بدّ من التعامل معها بشكل لا يغضبها .

- أن بريطانيا، كانت تهدف من وراء مواقفها هذه، أن تبعد الدولة السعودية عن مراكز نفوذها في المنطقة.

- أن بريطانيا، كانت تحاول أن تجعل نفسها قوة محايدة في المنطقة، وفي إمكانها أن تقوم بدور الوسيط في النزاع بين القوى المحلية في المنطقة. وكانت مقتنعة بأن مثل هذا الموقف، سيكون له إيجابياته الكثيرة، بالنسبة إلى مصالحها في الخليج العربي.

وكانت بريطانيا تفضل أن تكون علاقتها بالدولة السعودية، علاقة ود وسلام، على الرغم من أنها تساعد، خفية، وعلناً أحياناً، القوى الخليجية المحلية، المعادية للدولة السعودية الأولى.

كما أن بريطانيا، كان يهمها أن ترى بريدها الصحراوي، يمر بسلام، عبر الحدود الشمالية للدولة السعودية، من جهة، وأن يتوقف القواسم عن مهاجمة السفن البريطانية في الخليج العربي، من جهة ثانية، وأن تبقى مراكز نفوذها في المنطقة، بعيدة عن الصراعات المحلية، لأن مثل هذه الصراعات، يعرقل إستراتيجيتها، من جهة ثالثة.

إن موقف بريطانيا من الدولة السعودية، كان غامضاً، دائماً، إلى أن انهارت، على يد إبراهيم باشا، عام ١٢٣٣هـ/١٨١٨م.

وقد أفصحت بريطانيا عن كراهيتها للحكم السعودي، بعد سقوط الدرعية؛ وكانت لا ترغب أبداً، أن ترى دولة قوية محلية، تجاورها في الخليج العربي؛ لأن ذلك يشكل مصدر إزعاج لها ـ **حين أرسلت الحاكم البريطاني العام في الهند، سادلر (G.F.Sadlier)** .إلى الدرعية، ليهنئ إبراهيم باشا بنجاحه في القضاء على الدولة السعودية الأولى. كما اتضح هذا الموقف من السرور، الذي عبر عنه المسؤولون البريطانيون، بسبب سقوط الدولة السعودية الأولى، وما ألصقوه بها من تهم وصفات جارحة.

٢. العلاقة السعودية ـ الفرنسية

لم يكن هناك علاقة واضحة، بين الدولة السعودية الأولى وفرنسا، في بداية عهد الثورة الفرنسية. وقد بدأت ملامح العلاقة بالظهور، بعد حملة نابليون على الشرق، بوصفها جزءاً من الصراع الفرنسي ـ الإنجليزي فيه.

حاول نابليون بونابرت(Napoleon Bonaparte)، أن يخطب ودّ حكام الشرق، ليستفيد منهم في دعم موقف فرنسا، ضد منافستها بريطانيا. ومع أن هذه المحاولة، لم تكن محاولة جادة، وقوية، في هذه المرحلة بالذات، إلا أنها كانت نافذة، تنظر منها فرنسا إلى القوى المحلية في شبه الجزيرة العربية، وبخاصة تلك القوى الموجودة في الخليج العربي، وذات التأثير فيه.

وازداد اهتمام فرنسا بالخليج العربي، في فترة حروب نابليون. وصارت فرنسا تحاول، جادة، الاتصال بالقوى المحلية في المنطقة، ومن بينها الدولة السعودية الأولى. **فكلفت بعثة جاردان، عام ١٢٢٣هـ/١٨٠٨م،** بالقيام بنشاط واسع، في فارس والخليج، والمناطق المجاورة، ودراسة الطرق، التي يمكن استخدامها إلى الهند، لضرب خط المواصلات الإمبراطورية في الشرق. وتفيد المصادر، أن الفرنسيين، بذلوا جهداً كبيراً، للوقوف في

وجه المنافسة البريطانية؛ ومع هذا لم يكن في مقدورهم أن يفعلوا شيئاً ضدهم. ومن هنا، كانت كل محاولاتهم، قد باءت بالفشل.

هكذا، فإن العلاقات السعودية ـ الفرنسية، **لم تكن واضحة**، بالقدر الذي وصلت إليه العلاقات السعودية ـ البريطانية. ويعود ذلك إلى ضعف النفوذ الفرنسي في الخليج العربي، من جهة، وفي الشرق، من جهة أخرى. أضف إلى هذا كله، أن قوة فرنسا وعظمتها، بوصفها دولة أوروبية، ودولة استعمارية، كانتا قد تضررتا بشكل حاسم، بعد سقوط نابليون، وصارت فرنسا دولة ضعيفة، إذا ما قورنت ببريطانيا العظمى، التي ازدادت قوة، بعد سقوط نابليون.

٣. العلاقة السعودية ـ الإيرانية (مناقشة ٩)

لم تكن علاقة الدولة السعودية الأولى بدولة العجم، في إيران، علاقة حسنة، للخلاف المذهبي بينهما.

وقد ازدادت هذه العلاقة سوءاً، بعد غزو الدولة السعودية الأولى مناطق جنوبي العراق وهدم المزارات الشيعية، في كربلاء والنجف، عام ١٢١٦ هـ/١٨٠١م.

وبعد هذا الغزو، أبدى شاه العجم، استعداده **لغزو** السعوديين. وأخبر بذلك الوالي العثماني في العراق، بل هدد **بغزو العراق**، إذا لم تستجب الدولة العثمانية مطلبه، وهو الانتقام من الدولة السعودية، من طريق إرسال حملة عسكرية عثمانية قوية، من العراق، ضد السعوديين.

وساعد شاه إيران حاكم مسقط، عام ١٢١٧ هـ/١٨٠٢م، ضد آل خليفة في البحرين، الذين كان يدعمهم آل سعود لاسترداد البحرين. واستمرت إيران في تقديم المساعدات العسكرية إلى حاكم مسقط، وتمكنت قوات مسقط من هزيمة آل خليفة وحلفائهم السعوديين.

. **وساءت العلاقة بين الدولة السعودية وبين دولة الفرس، عام ١٢٢٥هـ/١٨١٠م**، حينما استعان آل خليفة بالفرس وحكام مسقط، على استرداد البحرين من القوات السعودية.

ويلاحظ أن الخلاف القائم بين السعودية ودولة العجم، كان قد استغله حكام مسقط.

. وقد عبرت البعثة الدبلوماسية، التي أرسلها السيد سعيد بن سلطان، **برئاسة السيد سالم**، إلى بلاط الشاه، عام ١٢٢٦ هـ/١٨١١م، عن هذا الوفاق؛ إذ كان هدفها إقامة معاهدة تحالف، بين مسقط وبين فارس.

وقد نجحت هذه البعثة في تحقيق هدفها. وكان من ثمار ذلك، أن ساعدت فارس حكومة مسقط، بقوات عسكرية، بقيادة **صادي خان**، فحاربت إلى جانب قواتها ضد السعوديين، في عمان، واستردت **حصون سمايل ونخل.**

وتذكر سجلات حكومة بومباي، **أن الإمام سعود بن عبدالعزيز**، خشي قيام تعاون فارسي ـ عماني، فأسرع بإرسال مبعوث خاص إلى شاه إيران، لإقامة علاقات ودية بين الدولتَين، الهدف منها تضييع الفرصة على حاكم مسقط. إلا أن هذه البعثة لم تلق قبولاً لدى الشاه. وانحازت فارس إلى مسقط، على الرغم من الخلافات، التي كانت تحدث بينهما، من حين لآخر.

وغلب شاه إيران السرور من نجاح والي مصر، محمد علي باشا، في القضاء على الدولة السعودية الأولى، فأرسل إليه رسالة، يهنئه فيها بجهوده .

المحاضرة السابعة

عنوان المحاضرة

حملات محمد علي للقضاء علي الدولة في طورها الأول

المحاضرة السابعة

لم يكن أمام الدولة العثمانية من خيار، سوى تكليف والي مصر، محمد علي باشا، القيام بمهمة القضاء على الدولة السعودية.

إن أول تكليف لمحمد علي باشا، كان من قبل السلطان العثماني، مصطفى الرابع، عام ١٢٢٢هـ/١٨٠٧م.

وقد أرسل محمد علي باشا إلى السلطان، يعتذر عن القيام بهذه المهمة الصعبة

- بسبب الظروف الاقتصادية السيئة في مصر، الناتجة من انخفاض فيضان النيل،

- استيلاء المماليك على الصعيد.

-الخشية من أطماع الدول الأوروبية في مصر.

ولما كرر السلطان تكليفه محمد علي باشا، خشي أن يكون هناك شرك تنصبه له الدولة. وأبدى، هذه المرة، عذره

بأن قوته العسكرية غير كافية للقضاء على السعوديين.

ولا بد من حشد طاقات عسكرية كبيرة، من ولايات العراق والشام، إلى جانب قوة مصر

. كما أنه، منذ عام ١٢٢٣هـ/١٨٠٨م، بدأ يثير مشكله تخوفه من والي الشام، سليمان باشا، الذي يتهمه بالتعاون مع خصومه، المماليك.

وفي الحقيقة، كان محمد علي باشا، يطمع في أن تسند إليه ولاية الشام، إضافة إلى ولاية مصر.

ولما وجد محمد علي باشا، أن محاولاته للتخلص من تلك المهمة العسيرة، لا تنجح ـ جنّد طاقاته، ودبّ النشاط في مرافق بناء السفن، في السويس والقاهرة، لتجهيز السفن اللازمة لإبحار الجنود.

١. الحملة الأولى، بقيادة أحمد طوسون، واسترداد الحجاز

بلغ عدد رجال الحملة ثمانية آلاف رجل. منهم خمسة آلاف من المشاة والمدفعية، أقلتهم ثلاث وستون سفينة. وثلاثة آلاف من الفرسان، انطلقوا، برأ، بقيادة أحمد طوسون، ابن محمد علي، عبر العقبة، نحو ينبع، حيث ستلتقى القوات جميعها.

كان محمد علي باشا، قد راسل **الشريف غالب بن مساعد**. ولمس منه الدعم له، مما سهل مهمته في الحجاز.

تهيأت في الحجاز عوامل نجاح الحملة؛

فالشريف غالب، يتطلع إلى الخلاص من الدولة السعودية،

وانقطاع الحجاج من الولايات العثمانية، الغنية، أضر بالتجار الحجازيين، كما أضر بزعماء القبائل، الذين كانوا يتقاضون إتاوات على قوافل الحج. ولهذا، فإن الفئات ذات النفوذ في المجتمع، كانت متوافقة مع زعامتها السياسية التقليدية، في المشاعر غير الودية، تجاه الحكم السعودي.

وبدأت قوات محمد علي باشا سفرها إلى الحجاز في ١٩ رجب ١٢٢٦هـ/٨ أغسطس ١٨١١م، ووصلت إلى ميناء ينبع، الواقع تحت حماية قبيلة **جهينة، المؤيدة للدرعية**. فأخذ طوسون يستميل القبائل، القاطنة قرب ميناءَي المويلح وينبع، لتكون سنداً لقواته، وذلك بإغرائها بالأموال والهدايا.

وجرى أول اشتباك بين فرقة من القوات السعودية، وقوات طوسون. وكانت الفرقة السعودية بقيادة جابر بن جبارة، وسعود بن مضيان، من قبيلة حرب. ونزلت الهزيمة بها، واستولت قوات محمد علي باشا على قريتَي السويقة وبدر.

وفي ممر وادي الصفراء، تواجهت القوات السعودية، بقيادة عبدالله بن سعود، وسعود بن مضيان، في قتال حقيقي، مع قوات طوسون. وكانت القوات السعودية، قد تمكنت من احتلال الروابي المرتفعة في الوادي. وأنزلت قوات السعوديين هزيمة قاسية بقوات محمد علي، التي استولى عليها الرعب، ولاذ أحمد طوسون باشا بالفرار إلى ينبع، مع من بقي حياً من قواته. وأحصى طوسون باشا الذين وصلوا سالمين إلى ينبع من قواته، فوجدهم ثلاثة آلاف جندي، فأسرع يطلب المدد من والده.

ووصلت الإمدادات، بقيادة أحمد بونابرت (الخازندار)، عام ١٢٢٧هـ/١٨١٢م. فتمكن طوسون، من نقل مركز قيادته إلى بدر، حيث نظم قواته ورتبها ترتيباً عسكرياً جيداً. وزحف بها إلى وادي الصفراء، فتمكن من احتلاله.

المدينة المنورة : حاصرتها قوات طوسون، وتمكنت من فتح ثغرات في سورها، بالمتفجرات. وبسبب طول مدة الحصار، وقطع الماء والطعام عن المدينة، وانتشار الأمراض، استسلمت القوات السعودية المتحصنة بالمدينة. ودخلتها قوات طوسون، في ذي القعدة ١٢٢٧هـ/نوفمبر١٨١٢م. وأرسل طوسون البشارة إلى والده مصحوبة بثلاثة آلاف من آذان القتلى، ومفاتيح الحرم النبوي الشريف.

وبدخول طوسون المدينة المنورة، صارت قواته مسيطرة على المنطقة الشمالية من الحجاز. وارتفعت معنويات طوسون وجيشه. وسرت فيهم الحماسة. وكثر عدد المنضمين إليهم، من رجال القبائل. وفي المقابل، أصبح جهد القوات السعودية منصباً على الاحتفاظ بمكة المكرمة وما جاورها.

راسل طوسون باشا الشريف غالباً، سراً، ليسمح لبعض قواته بدخول **مرفأ جدة**.

وافق الشريف غالب، وسمح لقوات طوسون بدخول جدة، على الرغم من العهد، الذي جدده مع السعوديين، وكان ذلك في ١٢محرم عام ١٢٢٨هـ /١٥ يناير عام ١٨١٣م. وأخذت القوات طريقها، نحو مكة المكرمة.

مكة المكرمة: بمساعدة الشريف غالب، وبعض البدو، تمكنت القوات المصرية من دخول مكة، من دون قتال، بعد أن كانت قوات عبدالله بن سعود، قد انسحبت إلى قرية العبيلاء، قرب الطائف، واتخذتها معسكراً عاماً لها.

وبعد أن استتب الأمر لطوسون في مكة، زحفت قواته، التي انضم إليها الأشراف، إلى العبيلاء، حيث كانت تعسكر القوات السعودية. وعلى أثر مناوشات بسيطة، أخلت القوات السعودية العبيلاء، وانسحبت إلى الخرمة، في ٢٥ محرم ١٢٢٨هـ/٢٨ يناير ١٨١٣م. وقد دب اليأس في نفوس بعض القادة السعوديين، إزاء الموقف في الحجاز. وكان **عثمان المضايفي،** أحد هؤلاء القادة. فلم يقر به المقام في الطائف، بعد انسحاب عبدالله بن سعود، فتوجه إلى رنية.

الطائف :أصبح فتح أمراً سهلاً، فدخلها طوسون، يصحبه الشريف غالب.

وهكذا، دخلت المدن الحجازية الكبيرة تحت سيطرة طوسون. وحققت الهدف الأساسي، وهو استعادة الحرمَين الشريفَين، من السعوديين. وإن كانت الدولة السعودية، قد فقدت الحجاز، فهي لا تزال قوية.

وأحدثت القوات السعودية تغييراً في خططها العسكرية، يقوم على إخلاء مواقعها، تدريجياً، وتركيز قواتها في الأراضي النجدية، ثم استدراج قوات طوسون إلى نجد، حيث الصحارى والوديان، التي تجهلها هذه القوات، ولم تعتد الحرب فيها. وتكون، بذلك، أبعدتها عن مراكز تموينها وخطوط مواصلاتها، وعن مراكز قيادتها الرئيسية، فيسهل الإيقاع بها وهزيمتها.

ولتنفيذ هذه الخطة القتالية، أعدت الدرعية جيشَين كبيرَين. **قاد الأول الإمام سعود بن عبدالعزيز نفسه،** وزحف به صوب الحناكية، إلى الشرق من المدينة المنورة، للسيطرة على الطريق الرئيسي بين المدينة والقصيم.

وانطلق الجيش السعودي الآخر، من نجد، بقيادة فيصل بن سعود، ليدعم الجبهة الجنوبية. واتخذ من بلدة تربة مركزاً له. وتمكن هذا الجيش، من إنزال هزيمة ساحقة بقوة من طلائع جيش طوسون، كانت بقيادة رئيس الفرسان، مصطفى بك، والشريف راجح.

وبدأ عثمان المضايفي، بعد هذا الظفر، بمهاجمة الطائف. واتخذ من بسل مركزاً له. ولكنه انهزم أمام الشريف غالب، بقواته الكبيرة. وقبض على عثمان وأرسله إلى مصر التي ساقته إلى الآستانة، حيث أعدم.

وأرسل طوسون إلى والده، يخبره بأمر هزيمة قواته في تربة،وألح على والده في سرعة إرسال نجدة إليه.

وكان للخسائر الكبيرة، التي منيت بها قوات طوسون، والأمراض التي فتكت بجنوده، والإرهاق الذي أصابهم من البيئة الصحراوية، التي لم يعتادوها، أثر في قرار طوسون، إنقاذ ما بقي من قواته، والاكتفاء بالحاميات، في كلٍّ من الطائف وجدة ومكة وينبع، إلى حين وصول إمدادات من مصر. وبخاصة أن الهدف من حملة طوسون وهو تخليص الحجاز من الحكم السعودي، قد تحقق.

وفي هذه الأثناء، برزت فكرة عقد الصلح بين الطرفَين. ولكنهما لم يتوصلا إلى تفاهم حول شروط الصلح، نظراً إلى إصرار محمد علي باشا، على أن يدفع سعود كل ما صرف على حملة الحجاز، وردّ النفائس، التي كانت في الحجرة النبوية الشريفة، وحضور سعود بنفسه لمقابلة محمد علي. وعدّ سعود بن عبدالعزيز هذه الشروط إهانة له. وانقطعت المباحثات، وقرر الطرفان مواصلة القتال.

أ. وصول محمد علي باشا إلى جدة

وصل محمد علي باشا جدة، في أول رمضان عام ١٢٢٨ هـ /٢٨ أغسطس ١٨١٣م. ووقف على حقيقة وضع قوات ابنه، طوسون. وبدأ بالتخطيط للمرحلة المقبلة من الحرب. فاتخذ عدداً من الإجراءات المهمة. فعمل على تخفيف الضرائب، المفروضة على العربان، ليقضي على أي تذمر بينهم، وصرف رواتب شهرية، لمن أسندت إليه منهم عمليات حفظ الأمن. وجعل ثغر جدة، هو المستودع الرئيسي للعتاد الحربي. ورتب وسائل نقل العتاد والمؤن، إلى الداخل. واتصل بسلطان مسقط، المعادي لآل سعود، واستأجر عشرين سفينة، لمدة سنة كاملة. وأقام مجموعة من الحاميات، في النقط المهمة، خشية عامل المفاجأة.

وبعد التخطيط للقتال، أرسل ابنه، طوسون، الذي اتخذ من الطائف مقراً لقيادته، على رأس جيش من المشاة والفرسان، ويصحبه الشريف راجح، أحد كبار الأشراف وشجعانهم. وتوجهوا نحو تربة، لملاقاة جيش الإمام سعود بن عبدالعزيز، الذي تحصن ببيشة ورنية. وتوجه محمد علي نفسه إلى مكة، لأداء فريضة الحج. **وألقى القبض على الشريف غالب،** لأنه ارتاب في مسلكه، ورأى أنه من أسباب تقدم السعوديين. وصادر أمواله، وبعث به إلى القاهرة، في ذي الحجة عام ١٢٢٨هـ /ديسمبر ١٨١٣م. ومن القاهرة، نقل الشريف غالب إلى الآستانة، ثم نفي إلى سلانيك Salonika، وظل فيها حتى توفي عام ١٢٣٢هـ/١٨١٦م. وعين مكانه ابن أخيه، يحيى بن سرور.

وعلى الرغم من التخطيط، الذي وضعه محمد علي، فإن قوات طوسون، فشلت في الاستيلاء على تربة. وانهزمت أمام الجيش السعودي، واضطرت إلى الانسحاب إلى الطائف، بعد أن تكبدت خسائر فادحة. ونتج ذلك الفشل من انشقاق الأشراف عن جانب محمد علي، بعد ما رأوا ما حل بالشريف غالب. وصاروا لا يثقون بمحمد علي، ولا يأمنون غدره. فانشق الشريف راجح، وانضم إلى القوات السعودية في تربة. ثم خرج **الشريف يحيي بن سرور** من مكة، مظهراً نيته غزو القبائل المعارضة له، وهرب إلى تهامة.

ولم تتمكن قوات محمد علي باشا، التي توجهت **إلى القنفذة،** من احتلالها، وهي مركز المقاومة السعودية في الجنوب، بسبب استبسال القائد السعودي، **طامي بن شعيب،** واستيلائه على آبار الماء، فاضطر قائد الحملة إلى إخلاء الثغر.

وفي تلك الأثناء، توفي الإمام سعود بن عبدالعزيز، في ١١ جمادى الأولى عام ١٢٢٩هـ/مايو ١٨١٤م. وقد خلفه في الحكم ابنه، الإمام عبدالله بن سعود، الذي لم تكن له صفات أبيه، الحربية أو الإدارية، ولم يكن مثله في سداد الرأي.

وفي ٢٨ محرم ١٢٣٠هـ/١١يناير ١٨١٥م، قامت بين قوات محمد علي باشا، الذي شارك في المعركة، وبين قوات السعوديين، بقيادة فيصل بن سعود، معركة حامية الوطيس، في **بسل،** الواقعة بين الطائف وتربة. وتمكنت قوات محمد علي باشا من احتلال هذا الموقع السعودي. وبعدها، زحفت هذه القوات المصرية، واحتلت تربة، التي أصبحت، فيما بعد، معسكراً عاماً لقوات محمد علي باشا.

وفي تلك الأثناء، صدرت الأوامر من الباب العالي إلى محمد علي باشا، تحثه على أن يتوجه إلى مقاتلة القبائل، الخاضعة لآل سعود، في عسير، ليسهل عليه مهاجمة الدرعية، وهو آمن الظهر. فزحفت قوات محمد علي باشا نحو الجنوب، فاحتلت **بيشة**، التي هي مفتاح الطريق إلى اليمن، من جهة الشمال الشرقي. وواصلت تقدمها في **عسير**، على الرغم من الصعوبات الجمة، التي واجهتها. وتمكنت من إلحاق الهزيمة بقوات سعودية، يقودها **طامي بن شعيب، في وادي زهران**، وأسرت قائدها، الذي أرسل إلى مصر، ومنها إلى الآستانة، حيث أعدم. ثم تقدمت القوات التابعة لمحمد علي في مناطق عسير وتهامة، فاحتلت ثغر القنفذة.

وبعد أن اطمأن محمد علي باشا إلى القضاء على القواعد السعودية، في الجنوب، عاد إلى مكة.

وجاءت الأنباء إلى محمد علي باشا عن حوادث عصيان، في مصر، من قبل المماليك. واضطربت الأحوال في أوروبا، بسبب إشاعة هروب نابليون من منفاه، في جزيرة هيلانة، واحتمال قيامه بحملة جديدة على مصر. وتحت ضغط هذه الظروف، الداخلية والخارجية، أسرع محمد علي باشا، في الرجوع إلى مصر. فأبحر من جدة في ٥ جمادى الآخرة عام ١٢٣٠هـ/١٦ مايو ١٨١٥م.

وفي تلك الأثناء، كان طوسون يتقدم في غربي نجد، ويحرز الانتصارات على القوات السعودية. ووصل بزحفه إلى بلدة الرس، في القصيم، وتمكن ،بمساعدة بعض عشائر حرب ومطير، من الاستيلاء علي عدد من بلدان منطقة القصيم،مثل الخبرا والشبيبة.

ب. الصلح بين عبدالله بن سعود وطوسون باشا

أدرك طوسون أنه أخطأ، حربياً، بتوغله في نجد، حيث تجهل قواته المنطقة، ولا تتقن حروب الصحراء، التي تتقنها القوات السعودية، وتعرف دروبها وبلدانها، ومناطق الماء فيها. وتشاور مع قواده، حول إمكانية الانسحاب إلى المدينة المنورة. وكان عبدالله بن سعود عاجزاً عن إدارة المعركة، لاسترداد القصيم، متردداً في الخروج إلى طوسون، على الرغم من كثرة قواته، وإلحاحها عليه.

فكر طوسون، أن يعقد صلحاً مع الإمام عبدالله بن سعود. وكانت شروط الصلح، التي جرى التباحث حولها، هي:

(١). احتلال جيش طوسون الدرعية.

(٢). إعادة آل سعود كل ما أخذوه من الحجرة النبوية الشريفة.

(٣). وضع عبدالله بن سعود نفسه تحت تصرف جيش طوسون، فيسافر إلى الجهة التي يحددها له، في الوقت المناسب.

(٤). خضوع عبدالله بن سعود لحاكم المدينة من قبل محمد علي باشا، إلى حين الموافقة على الصلح.

(٥). نفاذ هذه الشروط، لا يتم إلا بعد إقرارها من محمد علي باشا.

رفض عبدالله بن سعود هذه الشروط واعتبرها إهانة له. لذا، قرر إرسال وفد من قبله، للتفاوض مع محمد علي باشا مباشرة. فأرسل **القاضي عبدالعزيز بن حمد بن إبراهيم، وعبدالله بن محمد بن بنيان.** ووصل الوفد إلى القاهرة، في شوال عام ١٢٣٠هـ/ سبتمبر ١٨١٥م. كما أرسل عبدالله بن سعود رسائل إلى السلطان محمود الثاني، في الآستانة، وإلى محمد علي باشا، ليوضح وجهة نظره في الصلح. وألقى في هذه الرسائل تبعة ما

حدث على الشريف غالب، واتهمه بتزوير رسائل على لسان والده، الإمام سعود، إلى الباب العالي، بقصد إثارة الفتنة.وفشلت المفاوضات وجري الاستعداد لجولة أخري من الحرب.

وأثناء المفاوضات، توقف القتال، وأخلى طوسون منطقة القصيم، من دون سبب. وعاد إلى المدينة المنورة، ثم أرسل إلى أبيه، يطلب منه السماح له بالعودة إلى مصر، لسوء حالته الصحية . فاستأذن محمد علي باشا الباب العالي في ذلك، فوافق في شوال عام ١٢٣١هـ/١٨١٦م[1]، بعد تعهد والي مصر بالقضاء على قوة السعوديين.

٢. الحملة الثانية على نجد، بقيادة إبراهيم باشا

وفي هذا الوقت، كانت الاستعدادات تجري على قدم وساق، في مصر، للجولة التالية من الحرب، التي اختير لقيادتها ابن محمد علي، إبراهيم باشا. وعمل محمد علي باشا على تلافي الأخطاء، التي وقعت في الجولة السابقة. فزود الحملة بمجموعة من الأطباء الإيطاليين، للإشراف الصحي على جنودها. وأرفقها بمجموعة من الخبراء العسكريين الأجانب، وعلى رأسهم المسيو فاسيير(Vassière)، الذي كان أركان حرب لإبراهيم باشا. وهو ضابط فرنسي، خدم في جيش نابليون.

وبعد أن استكملت الحملة جميع معداتها ولوازمها، اتجهت **إلى ينبع، في الأول من ذي القعدة عام ١٢٣١هـ/٢٣ سبتمبر ١٨١٦م**

اتجه إبراهيم باشا بقوات إلى المدينة المنورة. وأخذ يضع خططه الحربية، متلافياً أخطاء الحملة السابقة. ثم بدأ زحفه نحو الأراضي النجدية. واستولى على بلدتَي الصويدرة والحناكية، إلى الشرق من المدينة المنورة. **وجعل من الحناكية مقراً لمعسكره**. ومنها بدأ بإرسال فرق استطلاعية، للتجسس.

وكانت القوات السعودية، قد بنت خطتها الحربية، على أساس استدراج قوات إبراهيم باشا إلى الصحراء، والقيام بعملية التفاف حولها، من الخلف، وقطع خطوط المواصلات بينها وبين مراكز تموينها، ومن ثم تطويقها والقضاء عليها. **فقد انطلق الإمام عبدالله بن سعود،** من الدرعية بجيشه، في ٢٠ جمادى الأولى عام ١٢٣٢هـ/أبريل ١٨١٧م، ونزل قرب بلدة الرس. ولحقت به **قوات أهل القصيم، بقيادة حجيلان بن حمد**. وسار الجيش إلى وادي الرُّمَة، حتى نزل بالماء، المعروف باسم "العلم"، ليهاجم البوادي المتعاونة مع إبراهيم باشا. فلما علموا بمقدم الإمام عبدالله بن سعود، رحلوا إلى بلدة الحناكية، والتحقوا بقوات إبراهيم باشا. ثم رجع الإمام عبدالله من "العلم"، ونزل قرية "مسكة"، في عالية نجد. وبعد أيام، ارتحل منها إلى نجخ القصر، المعروف في عالية نجد، وأقام به أياماً. وجاءته الأخبار، بأن علي أوزون، قائد القوات التركية، ومعه البوادي، نزل عند ماء "ماوية"، بالقرب من الحناكية.

وقام الجيش السعودي، المعد لعملية الاستدراج، بالاشتباك مع قوات إبراهيم باشا، عند ماء **"ماوية"، في منتصف جمادى الآخرة عام ١٢٣٢هـ/ أول مايو ١٨١٧م. ولكنه مني بخسارة فادحة، ووقع فيه القتل، وخسر كثيراً من السلاح، مما أدى إلى انهيار الخطة العسكرية السعودية**. وزاد في تصدع الجبهة السعودية، **انضمام فيصل الدويش، رئيس عربان مطير**، إلى جانب إبراهيم باشا. وتراجعت القوات السعودية إلى بلدة الخبراء، ومنها إلى بلدة عنيزة، حيث تحصنت بها.

الرس: وانطلق إبراهيم باشا، بقواته، من ماوية، في طريقه **إلى الرس**. ونزلها في ٥ شعبان١٢٣٢هـ/ ٢١يونية ١٨١٧م. وحاصرها لمدة **ثلاثة أشهر ونصف**. وانتهى الحصار، في ١٢ ذي الحجة ١٢٣٢هـ/٢٤ أكتوبر

١٨١٧م. واستماتت الحامية السعودية في الدفاع عنها، على الرغم من طول مدة الحصار، وقوة وسائل الهجوم. وأرسل الإمام عبدالله بن سعود، الموجود في عنيزة، نجدات عسكرية إلى الرس، بقيادة حسن بن مزروع، والهزاني، صاحب "حريق نعام".

وأنذر إبراهيم باشا **أمير الرس، محمد بن مزروع**، بأنه إن لم يسلم البلدة، فإن القتال سوف يستمر. وفعلاً استمر القتال والحصار، حتى طلب أمير الرس الصلح مع إبراهيم باشا، وزاد إبراهيم باشا من شدة حصاره ومضايقته للرس. ولكنه لمس سوء حالة جنوده، فاضطر إلى قبول عقد الصلح مع أمير الرس، على شروط، منها:

رفع الحصارعن الرس.

- وضع أهل الرس السلاح، والبقاء على الحياد.

- منع دخول جنود إبراهيم باشا وضباطه، إلى الرس.

- عدم إجبار أهل الرس على تقديم شيء من المؤن والذخيرة للجيش، أو على دفع **غرامة أو ضريبة.**

تسليم الرس لإبراهيم باشا، إذا استولى جيشه على عنيزة دون قتال. أما إذا لم ينجح في ذلك، فيعد القتال متجدداً بين الطرفين.

ولم يكن إبراهيم باشا ليقبل هذه الشروط، لو لم تمتنع عليه الرس والحامية السعودية فيها. .

عنيزة: تقدم إبراهيم باشا إلى **عنيزة**، وركز هجومه. ونجح في الاستيلاء عليها. واستسلمت الحامية السعودية الموجودة فيها، بقيادة الأمير **محمد بن حسن بن مشاري بن سعود**

- عدم أسر حاميتها.

- السماح للحامية بالذهاب أنّى شاءت.

- تسليم الحامية ما لديها من الأسلحة والذخائر والمؤن، لجيش إبراهيم باشا.

- **وطبقاً للشرط الأخير من شروط الصلح مع أمير الرس**، أرسل إبراهيم باشا فرقة من جيشه، لاستلام المدينة. ثم دخل **بريدة**، من دون قتال، بعد أن أمن حاميتها وأهلها، على أساس تسليمهم أسلحتهم، وقبل أميرها حجيلان بن حمد شرط إبراهيم باشا، فسلمها إياها.

وقد أدى سقوط مدن القصيم الرئيسية، الرس وعنيزة وبريدة، في يد إبراهيم باشا، وضياعها من السعوديين، إلى إذعان القبائل هناك لقيادته.

وكان الإمام عبدالله بن سعود، قد انسحب بجيشه، إلى شقراء، في الوشم. وتحصن بها للدفاع عن الدرعية.

وبعد شهرَين، قضاهما إبراهيم باشا في بريدة، انطلق إلى المذنب، ثم زحف، بقواته، إلى الوشم. ونزل بلدتَي أشيقر والفرعة، واستأمنه أهلهما فأعطاهم الأمان، ودخلوا في طاعته. وتحرك الباشا من أشيقر في ١٦ ربيع الأول عام ١٢٣٣هـ/ ٢٥يناير ١٨١٨م، وقصد بلدة شقراء، التي استعدت للقائه، بقيادة أميرها حمد بن يحيي. وهاجمها ودار قتال عنيف، لمدة ثلاثة أيام متواصلة، تهدمت فيه أسوار البلدة، مما اضطر أهلها إلى طلب الأمان، فخرج إلى الباشا عبدالعزيز بن إبراهيم بن عيسى، وغيهب بن زيد، نيابة عن عنهم. وعقد الصلح .

وكان سقوط شقراء تمهيداً لسقوط إقليم الوشم، وانحسار نفوذ آل سعود عنه. وقد نزل الرعب بأهل الأقاليم المجاورة. فتوافد على إبراهيم باشا شيوخ وادي الدواسر، يطلبون الأمان، مقابل خضوعها لطاعة محمد علي باشا، فأجابهم إلى طلبهم. وأرسل جنوده، بقيادة رشوان أغا، نحو إقليم سدير والمحمل ومنيخ، للسيطرة عليها. وأعلن أهلها طاعتهم.

وسارت قوات إبراهيم باشا، من شقراء نحو منطقة العارض، فوصلت ضرما، في ١٤ ربيع الثاني ١٢٣٣هـ/ ٢٢ فبراير ١٨١٨م، ونزلت في المزاحميات شرقي البلدة. واعترضتها الحامية السعودية فيها، بقيادة سعود بن عبدالله بن محمد بن سعود، وأوقعت بعض الخسائر بها. ولم تصمد تلك الحامية طويلاً، فانسحبت منها، متوجهة إلى الدرعية. واستسلمت البلدة، بعد ثلاثة أيام، بعد أن قدمت تضحيات كبيرة.

وفي الوقت، الذي كانت تتقدم فيه قوات إبراهيم باشا نحو الدرعية، كان هناك قوات أخرى لمحمد علي، يقودها حسن باشا، تقوم بالقضاء على الجيوب السعودية، في عسير وتهامة ونجران. وتوطد حكم محمد علي في تلك الجهات بتعيين رؤساء جدد للقبائل، موالين له.

٣. معارك الدرعية وسقوطها

غادرت قوات إبراهيم باشا ضرما، في طريقها إلى الدرعية، العاصمة السعودية. فاتبعت الطريق عبر الحيسية، ثم سلكت وادي حنيفة، ومرت بالعيينة والجبيلة.

وكان إبراهيم باشا، يدرك أن الدرعية محصنة، وقلاعها قوية، وهي المعقل الأخير للدولة السعودية. لذا، فإن مقاومتها ستكون قوية، وشديدة. فأرسل إلى والده، يطلب تزويده بالمال والمدافع والجنود.

كانت الدرعية تتألف من خمسة أحياء مستقلة، منها الطريف والبجيري والمغيصيبي والسهل. ولكل قسم منها أبواب، مثل باب سَمْحَان وباب الظَهَرَة. وتحيط بها أسوار، تتخللها الحصون والأبراج. وكان محيط البلدة حوالي اثني عشر كيلومتراً. وبنيت من الطين والآجرّ.

ولا مجال للمقارنة بين قوات الفريقَين. إذ كانت قوات إبراهيم باشا نحو ١٩٥٠ فارساً و٤٣٠٠ جندي، من المشاة الأرناؤوط (الألبان) والأتراك، و١٣٠٠ جندي من الأفارقة (المغاربة)؛ ولا يدخل في هذا الإحصاء البدو والرجال غير النظاميين. وكان يصحب هذه القوات ٤٠٠ من رجال المدفعية، وأربعة أطقم من المدفعية الثقيلة، وخمسة أطقم من المدفعية التركية. ويحمل مؤنهم عشرة آلاف بعير. وكانت تتّابع عليه القوافل، بالإمدادات والمؤن والعساكر والذخائر، بين وقت وآخر.

أما قوات عبدالله بن سعود، فكانت تنقصها المعدات، وفنية القتال. وكان عددها يقدر بثلاثة آلاف مقاتل في المتاريس الخارجية، خلاف المقاتلة، في داخل البلدة. وكان لديه عدد قليل من المدافع والمعدات الحربية.

اقتربت قوات إبراهيم من الدرعية، في غرة جمادى الأولى عام ١٢٣٣هـ/٩ مارس ١٨١٨م. ونزل إبراهيم باشا في "العِلب"، حيث نخيل فيصل بن سعود. وتمكن، بمعونة من الضابط الفرنسي، فاسيير، من ترتيب عساكره، وإعداد خطة الهجوم، وبدأت قواته تحفر الخنادق، وتقيم المتاريس.

ووقع أول هجوم على الدرعية، من الشمال. فصبت مدافع إبراهيم باشا نيرانها على أحياء البلدة، خاصة على مدخل شعيب المغيصيبي، وذلك لمدة عشرة أيام متواصلة، ولكن دون جدوى. ثم جرى القتال في جنوبي الوادي، جهة الحريقة. وأوقف إبراهيم باشا القتال، لكي يتخذ مواقع جديدة لهجومه. ووقع اختياره على غبيراء،

وفيها المتاريس في جنوبي الوادي. وبهجوم مباغت، تمكن القائد التركي، علي أوزون من زحزحة القوة السعودية إلى الوراء. وجرت عدة معارك، في كلٍّ من سمحة والسلماني والبليدة، في جنوبي البلدة. وبعد ذلك، جرى القتال في شعيب قليقل، في شماليها.

وطال حصار الدرعية مدة خمسة أشهر، مما أدى إلى قلة المؤن فيها، وجلب اليأس والسأم لنفوس الأهالي. فخرج بعضهم، وانضموا إلى جيش الباشا، ودلوه على الطرق والمسالك، وأفضوا إليه بمعلومات عن مواطن الضعف في متاريس الدرعية. وبناء على هذه المعلومات، دكت المدفعية حصون الدرعية ومتاريسها. وعلى الرغم من ذلك، فقد أبدى آل سعود، وسكان الدرعية، من البسالة في الدفاع، عنها ما يسجل لهم به الفخر.

وضعفت الجبهة الداخلية في الدرعية، بعد خروج أهلها منها، وتناقص عددهم، وطول الحصار، وارتفاع الأسعار، لقلة الوارد إليهم. وازداد الضعف بعد خروج رئيس الخيالة، غصاب العتيبي، وانضمامه إلى جيش إبراهيم باشا.

وتهيأت الظروف للهجوم الشامل من كل الجهات، بما لدى إبراهيم باشا من المعلومات والأعوان الفارين إليه. فكان الهجوم في معركة البجيري (حي من أحياء الدرعية، يسكنه آل الشيخ). نتج من هذا الهجوم الاستيلاء على السهل، واستسلام أهله، واضطر الإمام عبدالله بن سعود إلى نقل معسكره، من باب سمحان إلى الطريف (من أحياء الدرعية). ودكت مدفعية إبراهيم باشا مباني الطريف، لمدة يومين. وتفرق عن الإمام عبدالله أكثر من كان عنده. وتمكن بعض رجاله من الفرار، ومنهم ابن عمه، تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود.

فلما رأى عبدالله بن سعود ما وصل إليه القتال، بذل نفسه وفدى بها النساء والأطفال والأموال . فأرسل إلى إبراهيم باشا، يطلب الصلح، وخرج إلى معسكره، في ٨ ذي القعدة ١٢٣٣هـ/٩ سبتمبر ١٨١٨م.

واستقبل إبراهيم باشا الإمام عبدالله بن سعود، بالحفاوة. واتفقا على الشروط التالية: (مناقشة ١٠)(سؤال اختبار)

أن تُسلَّم الدرعية لجيش إبراهيم باشا.

أن يتعهد إبراهيم باشا بأن يبقي على البلدة وأن لا يوقع بأحد من سكانها.

أن يسافر عبدالله بن سعود إلى مصر، ومنها إلى الآستانة عملاً برغبة السلطان.

ووقع الاتفاق بين الطرفَين. وبه انتهى الدور الأول من حكم آل سعود.

ولم يكتف محمد علي باشا بهذا الانهيار، **بل رفض الشرط الثاني من الاتفاق. وأمر ابنه إبراهيم، بأن يهدم الدرعية وحصونها وأسوارها، ويخرب منازلها. وقد نفذ إبراهيم باشا هذه الأوامر، وخرب الدرعية، وأشعل فيها النيران. فأصبحت أثراً بعد عين.**

ووصل الإمام عبدالله بن سعود إلى مصر، في ١٧ محرم ١٢٣٤هـ/١٦ نوفمبر ١٨١٨م. واستقبله محمد علي باشا في قصره، في شبرا بالبشاشة. وقال له: "ما هذه المطاولة؟ فرد الإمام: الحرب سجال. فقال الباشا: وكيف رأيت إبراهيم؟ فرد الإمام: ما قصّر. وبذل همته. ونحن كذلك. حتى كان ما قدره المولى". فقال محمد علي: "أنا ـ إن شاء الله ـ أترجى فيك عند مولانا السلطان". فقال الإمام: **"المقدر يكون"**. فألبسه محمد علي خلعة. وقدم عبدالله بن سعود ما كان في حوزة أبيه، من نفائس الحجرة النبوية، وكان قد جلبها معه، في صندوق صغير. وفي

١٩ محرم ١٢٣٤هـ/١٨ نوفمبر ١٨١٨م، سافر عبدالله بن سعود إلى الآستانة، حيث أعدم في صفر ١٢٣٤هـ/نوفمبر ١٨١٨م، بعد محاكمة صورية .

وفي أثناء حصار الدرعية، وبعد سقوطها، أرسل إبراهيم باشا فرقاً من جيشه، إلى نواحي نجد، ليستكمل إخضاعها. فأرسل حسين جوخدار إلى حوطة الجنوب والدلم. وقتل آل عفيصان، من قادة آل سعود. وأرسل أغا آخر، مع العسكر، إلى جبل شمر، حيث قتل أمير المنطقة، محمد بن عبد المحسن بن علي.

أما إبراهيم باشا، فقد مكث بالدرعية، بقواته، أكثر من تسعة أشهر. ثم ارتحل عنها إلى عدة مواضع. وغزا بعض المناطق، وتابع سيره، عائداً، حتى وصل القصيم، وأخذ معه أميرها، حجيلان بن حمد، قاصداً المدينة المنورة. وعاد إلى القاهرة، في ٢٢ صفر ١٢٣٥هـ/١١ ديسمبر ١٨١٩م، بعد أن استكمل إخضاع المدن النجدية.

وترتب على سقوط الدرعية عدة نتائج: (سؤال اختبار)

انتهاء الدور السعودي السياسي، لفترة مؤقتة، وإنْ بقيت مبادىء الدعوة السلفية راسخة في نفوس أتباعها.

ازدياد نفوذ محمد علي، وامتداد سيطرته حتى شبه الجزيرة العربية، وإعلاء مكانته لدى الدولة العثمانية.

ازدياد الأطماع الاستعمارية في الخليج العربي، وسعي بريطانيا إلى توطيد نفوذها في السواحل العربية.

المحاضرة الثامنة

عنوان المحاضرة

ملامح نظام الحكم والإدارة في الدولة السعودية الأولي

المحاضرة الثامنة

أولاً: نظام الحكم

كان نظام الحكم في الدولة السعودية الأولى، يستند إلى أحكام الشرع، الواردة في القرآن الكريم والسُّنة النبوية. وقامت بتطبيق الحدود الشرعية على المخالفين.

١. الإمام (الحاكم)

وهو في قمة النظام السياسي. وهو الرئيس الأعلى للدولة، وصاحب السلطات الفعلية فيها. ولقب الإمام يشتمل علي الزعامتَين، الدينية والسياسية. والإمامة ليست منصباً حديث العهد، بل هي سلطة سياسية دينية، جرى عليها المسلمون، منذ عهد الخلفاء الراشدين، بعد النبي ـ ﷺ. فالإمام هو القائد العام للمسلمين. وهو رئيسهم في أمورهم الدينية.

والإمام هو المشرف العام على جميع شؤون الدولة. فهو يشرف على الأمور الحربية. وبيده حق إبرام معاهدات الصلح، وإعلان الحرب ضد العدو. ويشرف على شؤون الأمن في البلاد. وتحل عنده مسائل الخلافات المعقدة. ويشرف على شؤون البلاد المالية. وهو المتصرف والمسئول الأول عن بيت المال. ويشرف على شؤون التعليم. ويهتم بأمر الفقراء والمساكين.

ومما يدعم سلطان الإمام، اعتماد الإمامة، في حكمها، على مبادئ الشرع والدستور الإسلامي، الذي لا يجرؤ أحد على مخالفته. وهذا ما يعطي الإمام صلاحية مطلقة في العمل والإشراف، ما دام متماشياً مع الشرع وموافقاً لتعاليمه.

كان الإمام في الدولة السعودية الأولى، يقود الجيوش الغازية، في أكثر الأوقات، باستثناء حالات المرض أو السفر، أو الظروف التي تحول دون مشاركته في الغزو. وفي مثل هذه الحالات، كان ينوب عنه ولي عهده.

ويقيم الإمام، ويمارس مهام عمله، في الدرعية، عاصمة الدولة السعودية الأولى. وكان له ديوان في قصره، يجتمع فيه إلى مستشاريه وقضاته وأمرائه ورؤساء الأقاليم والشيوخ والعلماء.

٢. ولي العهد

كانت ولاية العهد، في الدولة السعودية الأولى، وراثية. ويعهد بها الإمام الحاكم إلى أكبر أبنائه . ويذكر ابن بشر، أن" الشيخ محمد (ابن عبدالوهاب) ـ رحمه الله تعالى ـ أمر أهل بلدان نجد، وغيرهم، أن يبايعوا سعود بن عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ وأن يكون ولي العهد، بعد أبيه، وذلك بأمر عبدالعزيز. فبايعه جميعهم". وكان ذلك في عام ١٢٠٢هـ/١٧٨٧م .

وعلى المنوال نفسه، جرت البيعة لعبد الله بن سعود، ولياً للعهد، في زمن أبيه، الإمام سعود.

ومن سلطات ولي العهد وواجباته، أنه ينوب عن الإمام، في القيام بمهام الدولة، أثناء غيابه، في حالات الغزو أو المرض أو العجز. وكان الإمام يعهد إلى ولي العهد بقيادة الجيوش الغازية، ويعده القائد العام لقواته. وكثيراً ما كان يمارس ولي العهد الأمور الحربية والإدارية، أثناء عهد أبيه، وذلك من أجل تدريبه، وإعداده للمستقبل، ولكي يتعرف بالناس ومشكلاتهم.

. أمراء الأقاليم

بعد توسع الدولة السعودية، وفرض سيطرتها على نواحي نجد، وغيرها من مناطق شبه الجزيرة، صار الإمام السعودي، يعين على أقاليم دولته أمراء، يطلق عليهم لقب أمراء الأقاليم، أو حكام الأقاليم. ولم يكن واحد منهم من أفراد الأسرة السعودية. وقد وجدت هذه المناصب العليا في المناطق، لتسد الحاجة الإدارية، بعد أن توسعت الدولة، فشملت العديد من المناطق.

وقد راعى الإمام، أن يكون حكام الأقاليم

ممن التزموا بتعاليم الدعوة السلفية، وأخلصوا ولاءهم للدولة السعودية ونظامها.

أضف إلى هذا، أن الإمام، كان يقدر الرؤساء المحليين، لما لهم من نفوذ قوي عند جماعتهم، وفي مناطقهم، من جهة، ولأنهم أدرى بمشكلات سكان مناطقهم من غيرهم، لأنهم على صلة قوية بهم، من جهة أخرى.

ومنصب الأمير أو حاكم الإقليم، منصب مهم وحساس؛ لأنه من أهم مراكز القيادة في الدولة. فالأمير هو الممثل الأول للإمام، في إقليمه، والمسؤول العام عن الإقليم، وهو المشرف على إدارته وماليته. وهو المسؤول الأول عن قيادة غزوه، وتجميعه عند الطلب، وتجهيز القوات. وهو المسؤول عن جمع الزكاة والأعشار، وعن توزيع ما يرسله الإمام، من عطايا، إلى إقليمه. فالأمير يتمتع بسلطات واسعة، في إقليمه.

وعلى الرغم من هذه السلطات الواسعة الممنوحة أمراء الأقاليم، إلا أن شخصيتهم، القيادية والاعتبارية، تظل في مستوى أقل بكثير من مستوى الإمام، أو ولي العهد.

ومهما يكن من نفوذ هؤلاء الأمراء (حكام الأقاليم)، إلا أن هذا لم يعصمهم من العزل أو النقل أو السجن أو المحاكمة أو النفي، في حال مخالفتهم لنظم الدولة، أو إذا ثبت تلاعبهم وغشهم في عملية جمع الزكاة. وإن فرض مثل هذا العقوبات على الأفراد وتطبيقها، يعد دلالة واضحة على مدى ما يتحلى به الإمام من سلطات قوية.

وقامت أسر معينة، في الدولة السعودية الأولى، بمد الدولة بحكام للأقاليم، مثل آل عفيصان،ومطلق المطيري.

. الشورى

بعد أن حالف الإمام محمد بن سعود الشيخ محمد بن عبد الوهاب، صار يستشيره في كل الأمور، ولا يأخذ بأمر، إلا عن إذنه. وظل الحال هكذا، في أول عهد الإمام عبدالعزيز بن محمد. فكان يستشير الشيخ محمد بن عبدالوهاب في كل أمور الدولة، وبخاصة القضايا الدينية منها. إلى جانب هذا، كان الإمامان يستشيران

العلماء، وأصحاب الرأي في البلاد، وبخاصة أولئك الذين يقيمون بالدرعية. ولكن، بعد اتساع الدولة، وتعقد شؤونها، فوض الشيخ محمد كل الأمور، السياسية والعسكرية، إلى الإمام عبدالعزيز. وتفرغ هو للأمور الدينية.

وقد تطور أمر الشورى في عهد الإمام سعود بن عبدالعزيز، الذي كان يستشير العلماء والأمراء، وأبناء الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وشيوخ القبائل، وأصحاب الرأي في البلاد. وعند الحرب، كان الإمام يشكل مجلس شورى الحرب، من القادة، ورؤساء القبائل، وأصحاب الخبرة العسكرية.

وتنقسم الشورى إلى شورى خاصة، وأخرى عامة.

فالشورى الخاصة، تضم عدداً من الأفراد والقضاة والفقهاء والقادة، وبعض أفراد الأسرة السعودية. وتجتمع هذه النخبة في العاصمة، حينما يأمر الإمام باجتماعها. ويكون لها دور كبير في حالات الحرب، أو عند تعيين ولي العهد، أخذاً بمبدأ الشورى.

والشورى العامة، كانت تعقد على شكل اجتماعات عامة، وفي مناسبات معينة، لدراسة بعض المشكلات، المتعلقة بالأقاليم، أو في حالة حدوث عصيان أو تمرد، من قبل بعض المناطق في الدولة.

ثانياً: النظام الحربي

لم يكن للدولة السعودية الأولى.

جيش منظم، بالمفهوم الذي نعرفه عن الجيوش المنظمة، المتخصصة بالشؤون الحربية

وإنما كان لها جيش جهاد، ينعقد لواؤه، لدى أمر الإمام بذلك، ويعلن النفير العام. وكانت تعبئة جيش الجهاد، كما ذكرها ابن بشر، في عهد الإمام سعود بن عبدالعزيز، تتم بالطرق الآتية:

١. كان الإمام يرسل رجالاً (حواويش) من عنده، إلى القرى والمدن، والقبائل الخاضعة له، يحوشون (يجمعون) رجالها للغزو. ويأمر مشايخ هذه المناطق وعمالها، بأن يعد كل منهم العدد، الذي كان الإمام يحدده لكل قرية أو قبيلة أو منطقة، ومعهم رواحلهم ومؤنهم وذخيرتهم.

٢. كان الإمام يحدد للجميع ميعاداً معيناً، في مكان معين. وعادة، يكون قرب ماء معروف لدى الجميع.

٣. كان الإمام يرد إلى أهل القرية أو القبيلة من يقدمونه، ويعيدهم إذا تقاعسوا عن الوفاء بالعدد المطلوب، أو كان العدد الذي قدموه ضعيفاً، أو غير مجهز باللازم من المؤن والرواحل، أو تأخر العساكر عن موعدهم المضروب لهم. وبعد الغزو يبدأ بتأديب تلك القرية أو القبيلة.

٤. كان الإمام يحدد للقرية أو القبيلة، المدة التي يستغرقها الغزو؛ ليعلم الجندي مقدار ما يكفيه من الزاد والذخيرة.

٥. كان الإمام يَكِلُ الأمور في الدولة، إلى ولي عهده، أو أحد أبنائه، إذا حان وقت الخروج، بعد اكتمال الجموع. وكان خروجه، غالباً ما يكون يوم الخميس أو الإثنين.

ويصف المؤرخ النجدي، عثمان بن بشر، تنظيم القوات وطريقة القتال، في عهد الإمام سعود بن عبدالعزيز، فيقول:

"كان الإمام يرسل إلى جميع البوادي حواويش، (رجال يحوشون الناس أي يجمعونهم) من أقطار شبه الجزيرة، للغزو معه، ويواعدهم يوماً معلوماً، على ماء معلوم. فلا يتخلف أحد منهم عن ذلك اليوم، ولا لذلك الموضوع. ويواعد، أيضاً، جميع المسلمين من أهل البلدان، موضعاً معلوماً. فيسارع الجميع إليه قبله. ثم يركب من الدرعية، إما يوم الخميس أو يوم الإثنين... فإذا سار، وجد جميع المسلمين على مواعيدهم. فيسير بجميع المسلمين، الحاضر والباد. وينزل في المنزل، قبل غروب الشمس. ويرحل، قبل شروقها. ويقيل الهاجرة. ولا يرحل حتى يصلي صلاتَي الجمع، الظهر والعصر. ويجتمع الناس، للدرس عنده، بين العشاءين (أي المغرب والعشاء)، كل يوم، إلا قليلاً، وعند كل ناحية من نواحي المسلمين. ويرتب في كل ناحية إماماً، يصلي بعد الإمام الأول، الذي يصلي بالعامة. فيصلي الثاني بالمتخلفين عند المتاع، والطباخين وغيرهم، من الموكلين بإصلاح الأحوال، وذلك لئلا يصلوا فرادى. فإذا قرب من العدو نحو ثلاثة أيام بعث عيونه أمامه. ثم عدا، فلا يلبث حتى يبغتهم، وينزل قريباً منهم.."

كان القتال يبدأ بعد صلاة الصبح. ويبدأ الأفراد قتالهم بالتكبير. وكانت الحرب تعتمد على الشجاعة والكثرة في العدد، لأن فنون الحرب ونظمها التدريبية، تكاد تكون معدومة لديهم. ولكنهم يجيدون الكر والفر، وحرب السيف، وقتال الصحراء، وتحمّل أهواله.

كانت أسلحة مقاتلي الدولة، لا تزيد على كونها أسلحة بدائية تقليدية، هي البنادق، التي تضرب بالفتيلة، والسيوف والخناجر والسهام والرماح.

كان الإمام يوزع على جيش الجهاد، الغنائم التي يحصل عليها الجيش، بعد انتصاره. فكان الإمام يأخذ خمس الغنائم لبيت المال، ثم تباع الأخماس الأربعة الباقية، وتوزع على الجند. فكانت حصة الفارس سهمَين، وحصة الرجل سهماً واحداً. وكانت القوات الغازية تظل في حالة النفير هذه، حتى يصدر الإمام أمراً بانصرافها إلى أوطانها.

وكان هناك حاميات سعودية، تدخل في عداد الجند الثابت في الوظيفة العسكرية. وظيفتها المحافظة على الأمن والنظام في البلدان. وكانت تستبدل، كل عام. وكانت توجد في الدرعية والقطيف والهفوف والبريمي ومكة والمدينة والطائف، بعد انضمام الحجاز إلى الدولة، إضافة إلى الحرس الخاص للإمام وولي عهده والأمراء الآخرين.

ولم يكن للدولة السعودية الأولى سفن حربية، تشكل أسطولاً حربياً، على الرغم من أنها كانت تسيطر على أجزاء واسعة، من منطقة الخليج العربي. وإنما كانت تستعين، عند الحاجة، بسفن الغوص، التابعة للقبائل القاطنة في الساحل، التي تعمل في صيد الأسماك واللؤلؤ.

ثالثاً: النظام القضائي (سؤال اختبار)

قامت الدولة السعودية الأولى على أساس ديني، وسارت وفقاً لأحكام القرآن والسُّنة، واجتهادات السلف.

ويشترط في من يتولى منصب القاضي،

أن يكون من علماء الشرع، الذين لهم خبرة طويلة بممارسة العلوم الشرعية، كي يستطيع الفصل في المنازعات والشكاوى والقضايا، التي تعرض عليه، في منطقة عمله.

وأن يكون من المشهود لهم بالنزاهة.

وكان الإمام عبدالعزيز بن محمد، هو أول من عين قضاة في أقاليم الدولة السعودية وركز، في اختياره للقضاة، في أقدرهم وأشهرهم في ممارسة القضاء، وأعدلهم في الحكم والفصل في القضايا. وكانت تصرف للقضاة رواتب سنوية، من بيت المال.

وقد وزعت الدولة القضاة على جميع الأقاليم. والقاضي يأتي في الدرجة الأولى، من حيث الرتبة، بعد أمير الإقليم. ومنصب القاضي، يكاد يكون ثابتاً. وكثير من القضاة، خدموا الدولة مدة حياتهم. ويعود ذلك إلى كون منصب القاضي منصباً دينياً، يختلف تماماً عن المناصب، السياسية والإدارية، التي تتأثر، عادة، بالتغييرات، السياسية والإدارية. ويزيد في تثبيت القاضي عدله، وقوة شخصيته، وجرأته على تنفيذ أحكام الشرع، وبُعده عن الشبهات والأمور الضارة بمنصبه.

كانت الدولة السعودية الأولى، تنفذ أحكام الشرع في المخالفين والمجرمين. وكان القاضي يأخذ بالمذهب، الذي يراه أقرب إلى الصواب، وإن خالف ذلك مذهب الإمام أحمد بن حنبل. وكان لهذا الإجراء التطبيقي، أثر كبير في تفاوت الأحكام، في الحالات المتشابهة، والمتقاربة.

وبفضل تطبيق أحكام الشرع على المجرمين والمخالفين، في كل مناطق الدولة، وعدم التساهل في موضوع الأمن، بوصفه ضرورة ملحة للمصلحة العامة ـ ساد شعور عام لدى الناس، أن تنفيذ العقاب، أمر لا تهاون فيه. فقلّت نسبة الجرائم والمخالفات، مما ساعد على استتباب الأمن والنظام، وعمت أرجاء الدولة الطمأنينة والأمن، الذي كان مفقوداً، قبيل الدولة السعودية. يقول ابن بشر: "وأما أمان الرعية ... فكان الراكب والراكبان والثلاثة، يسيرون، بالأموال العظيمة، من الدرعية والوشم وغيرهما من النواحي، إلى أقصى اليمن وينبع، البر والبحر، وعُمان، وغير ذلك، لا يخشون أحداً إلا الله، لا مكابراً، ولا سارقاً".

رابعاً: النظام المالي (سؤال اختبار)

كان للدولة السعودية بيت مال، موارده من: (مناقشة ١٢)

١. الزكاة

زكاة الزروع والثمار، ومقدارها عشرة في المائة، إن سقيت بغير آلة، و٥%، إن سقيت بآلة. وزكاة النقدَين: الذهب والفضة، وهي ربع العشر، أو ٢,٥%. وزكاة السائمة، من البقر والأغنام والإبل، فيدفع من يملك خمسة جمال شاة، أو ما يقابلها نقداً. وزكاة عروض التجارة، ومقدارها ربع العشر، أو ٢,٥%.

يقول ابن بشر، في صدد الزكاة، التي كانت تأخذها الدولة السعودية الأولى، في عهد الإمام سعود بن عبدالعزيز، ما يلي:

"وأما عماله، الذين يبعثهم لقبض زكاة الإبل والغنم، من بوادي شبه جزيرة العرب، مما وراء الحرمَين الشريفين، وعُمان واليمن والعراق والشام، وما بين ذلك، من بوادي نجد ـ فذكر لي بعض خواص سعود، ممن قد صار كاتباً عنده، قال: كان يبعث إلى تلك البوادي بضعاً وسبعين عاملة، كل عاملة سبعة رجال. وهم أمير وكاتب وحافظ دفتر وقابض للدراهم، التي تباع بها إبل الزكاة والغنم، وثلاثة رجال خدام لهؤلاء الأربعة، لأوامرهم، وجمع الإبل والأغنام المقبوضة في الزكاة، وغير ذلك. وتلك من غير عمال نواحي البلدان، من الحضر، لخرص الثمار، وعمال زكاة العروض والأثمان، وغير ذلك. وأخبرني ذلك الرجل، أن سعوداً بعث عماله

لبوادي الغز، المعروفين في ناحية مصر . وبعث عماله، أيضاً، لبوادي يام، في نجران. وقبضوا من الجميع الزكاة. قال: وأتوا عمال آل فدعان المعروفين، من بوادي عنزة، بزكاتهم. فبلغت أربعين ألف ريال، من غير خرج العمال، وثمان أفراس من الخيل الجياد . . . والذي يأخذه سعود على بندر اللحية، المعروفة في اليمن، مائة وخمسون ريال، وهو لا يأخذ إلا ربع العشر. ومن بندر الحديدة نحو ذلك. ويأتي من بوادي عنزة، أهل خيبر، شيء كثير. قال: والذي يحصل من بيت مال الأحساء، يقيم أثلاثاً، ثلث يدخره لثغوره وخراجاً لأهلها والمرابطة فيه، وثلث خراجاً لخيالته ونوابه، وما يخرجه لقصره وبيوت بنيه، وبيت آل الشيخ وغيرهم في الدرعية، وثلث يباع بدراهم، وتكون عند عماله، لعطاياه وولاته. قال: ويحصل بعد ذلك ثمانون ألف ريال، تظهر للدرعية. قلت وأما غير ذلك مما يجبى إلى الدرعية من الأموال، من القطيف والبحرين وعُمان واليمن وتهامة والحجاز وغير ذلك، وزكاة ثمار نجد وعروضها وأثمانها ـ لا يستطيع أحد عدّه، ولا يبلغه حصره، ولا حده وما ينقل إليها من الأخماس والغنائم أضعاف ذلك".

ويذكر بوكهارت، أن زكاة الدولة السعودية الأولى، كانت تصل إلى حوالي مليونَي ريال. وقد أورد ذلك، نقلاً عن بعض أهالي مكة المكرمة. ويتفق ما رواه بوكهارت مع ما ذكره صاحب" لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبدالوهاب"، أن زكاة الدولة السعودية الأولى وصلت إلى أكثر من مليونَي ريال.

وهذا جدول الزكاة، في عهد الإمام سعود بن عبدالعزيز:

المنطقة	مقدار الزكاة بالريالات
بوادي نجد	٤٠٠ ألف
بوادي اليمن وتهامة وعمان	٥٠٠ ألف
الأحساء	٤٠٠ ألف
القطيف	٢٠٠ ألف
البحرين	٤٠ ألفاً
الحجاز	٢٠٠ ألف
رأس الخيمة	١٢٠ ألفاً
عُمان	١٥٠ ألفاً
محاصيل الأملاك في نجد والأحساء	٣٠٠ ألف
الجملة	٢٣١٠٠٠٠

٢. خمس الغنائم

والمصدر الثاني لبيت المال، ما كان يصله من خمس الغنائم. وهو يشكل نسبة كبيرة من وارداته. الجدير بالذكر، أن خمس الغنائم، كان يصل من كل أقاليم الدولة، التي تقوم فيها غزوات، ترتب عليها وجود

غنائم، كثرت هذه الغنائم أو قلت. فكان على أمير الإقليم، أن يجمع خمسها، ويرسله إلى الدرعية، ليوضع في بيت المال. ويمكن تعرف أهمية هذا المورد، عند النظر إلى ازدياد الغزوات. ومن الواضح، أن حجم هذا المورد يزداد ويقلّ، تبعاً لزيادة الغزوات وقلتّها.

٣. الأموال المصادرة

كان النظام السعودي، يقضي بمصادرة أموال الخارجين عن الأمن، والعابثين به، وضمها إلى بيت المال، إضافة إلى العقاب الجسماني.

وكانت الدولة السعودية، تقوم بالإنفاق من بيت المال، على الأوجه الشرعية الآتية:

- **كانت الدولة تدفع من بيت مالها إلى من لهم حق في الزكاة، من الفقراء والمساكين، بالقدر الذي يكفل الحياة.**

- **كانت الدولة تخصص مبلغاً من المال، ليصرف على أبناء السبيل. فتقدم إليهم الطعام والإقامة، وبعض الأموال اللازمة لسفرهم إلى بلادهم. وقد عممت ذلك في كل أقاليمها، بتخصيص مبلغ من المال لكل إقليم، ليصرف على هذا الباب.**

- **كانت الدولة تخصص مبالغ من بيت المال، لبناء المساجد، ولتصرف على حلقات الدروس فيها، وعلى علمائها وطلاب العلم، وعلى الأئمة والمؤذنين.**

- **كانت الدولة تدفع من بيت المال أجور العمال، الذين يقومون بجباية الزكاة. وكانت تدفع رواتب القضاة وأمراء المناطق، وجنود الحاميات السعودية، في المناطق، الذين يؤدون مهمة الأمن والحراسة والحسبة. إلى جانب مخصصات الأمراء، الذين يقودون الجيوش في القتال، ويشاركون في إدارة شؤون الدولة وأعمالها.**

- **كانت الدولة تخصص مبلغاً لمصروفات الضيافة، ولمساعدة المتضررين من جراء النكبات والكوارث، التي تحل بالبلاد، والتي تؤثر في السكان. كما خصصت الدولة مبلغاً من المال، لسد حاجات بعض الأقاليم، التي لا تكفي واردات بيت مال كلٍّ منها مصروفاته وحاجاته. إضافة إلى هذا كله، فقد خصصت الدولة مبلغاً من المال، للمشروعات الاجتماعية، والصدقات**

خامسا: التعليم

كان التعليم في الدولة السعودية الأولي مركزا علي التوحيد، والاهتمام بالعلوم الشرعية مثل: الحديث والتفسير والفقه والسيرة النبوية،وقد بلغ من حرص قادة الدولة السعودية الأولي أنهم كانوا يصحبون معهم في الغزوات علماء يعقدون مجالس علمية ، ينتفع بها أفراد الجيش الغازي ،ووجدت مكتبات في مختلف العلوم .

وفي طليعة علماء تلك الفترة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأبناؤه وتلاميذه الذين اضافوا إلي المكتبة الإسلامية والعربية كثيرا من الكتب القيمة، خاصة في التوحيد والعقيدة.

وقد درس العلماء قواعد اللغة العربية وأجادوها، غير أنه لم تحدث نهضة أدبية لاشعرا ولانثرا، تضاهي النهضة العلمية الشرعية أو تقرب منها، ولعل سبب ذلك أن الناس اهتموا بما دعت اليه الدعوة السلفية التي لا تؤثر تعاليمها الشعر كثيرا.

المحاضرة التاسعة

عنوان المحاضرة

محاولات تكوين الدولة السعودية من جديد

المحاضرة التاسعة

فترة الاضطرابات التي أعقبت سقوط الدولة السعودية الأولي

ومحاولات تكوين الدولة السعودية، من جديد

بعد أن سقطت الدولة السعودية الأولى، باستسلام عبدالله بن سعود لقوات إبراهيم باشا، عام ١٢٣٣هـ / ١٨١٨م، عمدت هذه القوات إلى تصفية أية جيوب للمقاومة، وأرسلت فرقاً إلى مختلف مناطق نجد لتثبيت نفوذها، ولإظهار قوتها. ولهذا، توافدت جموع من زعماء بلدان نجد وشيوخ قبائلها، معلنة الولاء للحكم المصري ـ العثماني، وتعاونت بعض هذه الزعامات مع الحاكم الجديد.

واقتاد إبراهيم باشا بعض أمراء آل سعود، وأفراداً من أسرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، أسرى وأرسلهم إلى مصر، ومن هناك أرسل عبدالله بن سعود إلى إستانبول، حيث أعدم، في صفر ١٢٣٤هـ/ديسمبر ١٨١٨م.

وقد واتت الفرصة بعضاً من آل سعود، فتمكنوا من الهرب من الدرعية، وتوجهوا إلى نواحي نجد الأخرى. ومن أولئك تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود، وابن عمه عمر بن عبدالعزيز بن محمد وأولاده.

وفي هذه الأثناء، انطلق ماجد بن عريعر ـ أحد زعماء بني خالد ـ من عند إبراهيم باشا إلى الأحساء، بتأييد منه، ليتولى أمرها. فاستولى عليها واستعاد حكم أسرته على المنطقة. ثم لحقت به فرقة صغيرة من جيش إبراهيم باشا، بقيادة محمد كاشف، بطشت بالمتحمسين للدعوة الإصلاحية، واستولت على ما كان في المنطقة من سلاح وخيل لآل سعود، وصادرت ما في بيت المال.

ويبدو أن أعمال هذه الفرقة، بعثت الخوف في نفس ماجد بن عريعر وأخيه محمد، وخافا من بطش القائد محمد كاشف، فهربا إلى الحدود العراقية. ومكثا هناك حتى انسحب محمد كاشف ليلحق بإبراهيم باشا في نجد، وعادا إلى الأحساء، وتوليا حكمها.

ولما اطمأن إبراهيم باشا إلى القضاء على شوكة آل سعود، عمل وسعه لتوطيد أركان حكمه في نجد، عاد إلى مصر، ووصلها في صفر ١٢٣٥هـ / ديسمبر ١٨١٩م.

وبعد أن أبعد إبراهيم باشا رجال آل سعود إلى مصر، وغادرها هو عائداً إلى مصر، عمت الفوضى بقاع نجد، وعاثت القبائل فساداً فيها، واستعرت نيران الفتن، وكثر القتل والنهب وتصفية الحسابات بتذكر الضغائن القديمة.

وفي هذه الأثناء هبط محمد بن مشاري بن معمر ـ سليل الأسرة النجدية المعروفة، في العيينة، وابن أخت الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود ـ إلى الدرعية، وكان قد تمكن من الهرب منها، عند استيلاء إبراهيم باشا عليها، واستقر في العيينة.

فقدم من العيينة إلى الدرعية، في أواخر عام ١٢٣٤هـ / ١٨١٩م، وأخذ يعيد بناء البلدة، ويضبط الأمور فيها. ودعا قادة المناطق المجاورة إلى مبايعته، فاستجاب له فريق منهم، وعلى رأسهم زعماء بلدة منفوحة. إلا أن فريقاً آخر من زعماء المنطقة، خاف من عاقبة تولّي ابن معمر الحكم وإعادة بناء الدولة، فاتصلوا بزعيم بني خالد، ماجد بن عريعر، في الأحساء، وحثوه على التوجه إلى نجد للقضاء على تلك الحركة.

ولما توجه زعيم بني خالد إلى نجد مع أتباعه، ووصل إلى العارض، انضمت إليه زعامات أهل الخرج والرياض وحريملاء، ونازلوا أهل منفوحة، في قتال مرير، ثم صالحوهم، وارتحلوا إلى الدرعية. ووجد محمد بن مشاري بن معمر، أنه لا قبل له بالصمود أمام ابن عريعر، فلجأ للحيلة، وأظهر اللين للزعيم الخالدي، ولاطفه بإرسال الهدايا إليه، وأعلن أنه تابع للسلطان العثماني، فلم يترك لابن عريعر سبباً للقتال. وبذلك، تخلص من خطر بني خالد، وعاد ماجد بن عريعر إلى بلاده. وتعاظم أمر محمد بن مشاري بن معمر، واستقطب حوله أهالي نجد، وكسب تأييدهم، وعزز مركزه في البلاد، عندما عمل على فك الضائقة في المؤن والطعام في البلدة. وشعر الذين تركوا الدرعية، خوفاً من بطش إبراهيم باشا، بالطمأنينة، فرجع قسم كبير منهم إلى الدرعية. ومن أولئك تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود وأخوه زيد بن عبدالله، ولم يكن هناك بد من أن يقدما الدعم والتأييد للأمير الجديد، ومساعدته على إدارة البلاد. وتمكن محمد بن معمر من ضم حريملاء والعارض والوشم وسدير لطاعته، وبدت الأمور له، كأنها تسير في طريق تحقيق مجد لنفسه، وإنشاء دولة جديدة.

الأمير مشاري بن سعود بن عبد العزيز (مناقشة ١٣)

ولكن في هذه الأثناء، ظهر على مسرح الأحداث الأمير مشاري بن سعود بن عبدالعزيز ـ شقيق الإمام عبدالله بن سعود ـ فغير ظهوره هذا مجرى الأمور. فقد تمكن مشاري بن سعود بن عبدالعزيز من الهرب من الحراس، الذين يخفرون قافلة الأسرى السعوديين، وهم في الطريق ما بين المدينة المنورة وينبع، متوجهين إلى مصر. فوصل إلى الدرعية مع أعوان له، انضموا إليه من منطقة الوشم والزلفي والقصيم وغيرها، في جمادى الآخرة عام ١٢٣٥هـ، ونزل في بيوت إخوانه. فانزعج ابن معمر، ولم يجد بداً من أن يتنازل عن الحكم لمشاري بن سعود ويبايعه، وكان تنازله هذا إلى حين، فقد أضمر في نفسه شراً.

وبعد مبايعة مشاري بن سعود في الدرعية، توافدت إليه بقية آل سعود، الذين هربوا من الدرعية. ومنهم عمه عمر بن عبدالعزيز بن محمد وأولاده، ومشاري بن ناصر، وحسن بن محمد بن مشاري. وقدمت عليه وفود من مناطق سدير والوشم والمحمل، معلنة ولاءها له، ودانت له بلدان الإقليم. وسانده على ذلك عمه تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود وأيده.

وشرع الأمير مشاري بن سعود يوسع نطاق نفوذه، ويعين أمراءه على البلدان، ويستعيد ما كان لآل سعود من سيطرة. فدانت له منطقة العارض والخرج، بعد معارك خاضها ضد أهلها.

عودة محمد بن مشاري بن معمر

ولكن محمد بن مشاري بن معمر ـ الذي غادر الدرعية، وتوجه إلى بلدة سدوس، مدعياً المرض ـ استطاع أن يجمع أنصاراً له، ليعود إلى الحكم، تساندهم جموع من قبيلة مطير، بزعامة فيصل الدويش، وأعلن

العصيان في حريملاء. وسار محمد بن معمر بهم، من سدوس إلى الدرعية، ودخلها بغتة، واعتقل مشاري بن سعود، وأرسله مخفوراً إلى بلدة سدوس. وبعد ذلك، توجه ابن معمر إلى الرياض، حيث يقيم فيها تركي بن عبدالله وابن عمه عمر بن عبدالعزيز، واستولى عليها، ونصب ابنه مشاري بن محمد بن معمر أميراً عليها. واضطر تركي بن عبدالله إلى الفرار من الرياض إلى بلدة الحائر.

وإزاء هذه التطورات في نجد، أرسل محمد علي باشا، والي مصر، فرقة عسكرية إلى عنيزة، بقيادة أبوش أغا. ولما كان ابن معمر قد سبق أن أعلن لزعيم بني خالد، ماجد بن عريعر، أنه تابع للسلطان العثماني، كرر هذا الإعلان في رسالة بعث بها إلى أبوش أغا، وأكد له أنه يعمل في مصلحة محمد علي باشا والدولة العثمانية. فأقره أبوش أغا على إمارته.

تركي بن عبدالله وقيام الدولة السعودية الثانية

لما رأى تركي بن عبدالله غدر محمد بن مشاري بن معمر، بالحاكم الشرعي ـ بعد ما تنازل له ـ واستعاد الحكم في الدرعية، صمم تركي بن عبدالله على إعادة الأمر إلى نصابه.

فانطلق من مخبئه في بلدة الحائر إلى بلدة ضرما، وجمع حوله أنصاره ومؤيديه، وسار بهم إلى الدرعية، وباغت محمد بن مشاري بن معمر وقبض عليه. ومن هناك أسرع نحو الرياض، فاستولى عليها، وقبض على أميرها مشاري بن محمد بن معمر. وهدد ابن معمر، بأنه لن يطلقه وابنه مشارياً حتى يطلق أتباع ابن معمر سراح الأمير مشاري بن سعود، المعتقل في بلدة سدوس. ولكن أنصار ابن معمر، سلموا مشاري بن سعود إلى القائد التركي، أبوش أغا، خوفاً من بطش الترك. فأرسله إلى عنيزة وسجن بها، حتى وافته المنية فيها. ولما علم تركي بن عبدالله بذلك، نفذ تهديده فقتل محمد بن معمر وابنه مشارياً، وكان ذلك في عام ١٢٣٦هـ / ١٨٢١م. واتخذ تركي بن عبدالله من الرياض مركزاً لنشاطه، لقوة تحصينها.

ولم تستقر الأمور لتركي بن عبدالله في الرياض، فقد هاجمها فيصل الدويش وأتباعه وحاصروها، ومعهم رجال من القوة العسكرية الموجودة في عنيزة. وصمد تركي بن عبدالله وأهل الرياض، حتى انسحبت القوات إلى الوشم. وهذا عجل بإرسال محمد علي باشا تعزيزات عسكرية، بقيادة حسين بك، وانضم إليها القائد أبوش أغا بقواته، فتقدم إلى الرياض مع عدد من أفراد الجيش، ومن انضم إليه من أهل نجد، فدخلها وحاصر تركي بن عبدالله، في قصر الإمارة.

ولما اشتد الحصار، تسلل تركي بن عبدالله ليلاً إلى خارج المدينة، ولجأ إلى جنوب نجد، بينما طلب من كانوا معه الأمان من قائد الفرقة العسكرية، ووعدوا بذلك، فاستسلموا، ثم غُدِر بهم، فقتلوا أو أكثرهم، وأرسِل عمر بن عبدالعزير وأبناؤه، إلى مصر.

وبعد أن قامت قوات حسين بك بأعمال التنكيل والقتل في أهالي نجد، وبثت الرعب في نفوسهم، وصادرت الأموال، غادرت نجداً تاركة حاميات صغيرة في الرياض ومنفوحة وثرمدا وعنيزة.

وأعقبتها حملة أخرى، بقيادة حسين أبي ظاهر، بعد تجدد الاضطرابات بين الزعماء المحليين. وقد تكبدت تلك الحملة خسائر فادحة، بمقتل ٣٠٠ رجل منها، على يد قبيل سبيع، قرب الحائر، في أواخر عام ١٢٣٧هـ/١٨٢٢م وقاومها أهل عنيزة، مما اضطره للانسحاب نحو المدينة المنورة، بعد أن ترك حامية من ٦٠٠ جندي، في قصر الصفا خارج عنيزة. ثم غادرها هؤلاء الجنود، أيضاً، في رجب عام ١٢٣٨هـ / ١٨٢٣م.

وفي رمضان عام ١٢٣٨هـ / ١٨٢٣م، بدأ تركي بن عبدالله تحركه، من مخبئه في بلدة الحلوة - جنوبي نجد - لإخراج بقية القوات الغازية، الموجودة في الحاميات بالرياض ومنفوحة. فانطلق منها وجمع أتباعه عند بلدة عرقة، قرب الرياض. وتوافدت إليه جموع المؤيدين من نواحي سدير والوشم. وبعد قتال استمر عاماً ضد الحاميتَين في الرياض ومنفوحة، أجبر من كان فيهما من الجنود، بقيادة علي المغربي، على المغادرة إلى الحجاز، في أواخر عام ١٢٣٩هـ/١٨٢٤م، وأمر مشاري بن ناصر آل سعود بدخول الرياض، وتوجه هو إلى الوشم، حيث أقام في شقراء، مدة شهر. وفيها قدم عليه أمير عنيزة، يحيى بن سليم، مبايعاً إياه على السمع والطاعة، وذلك في مستهل عام ١٢٤٠هـ / ١٨٢٤م.

ويُعَدّ هذا التاريخ، الذي رحلت فيه القوات المصرية عن نجد، بداية لقيام الدولة السعودية الثانية، وعاصمتها الرياض. وانتقل الحكم في أسرة آل سعود، من أبناء عبدالعزيز بن محمد بن سعود، إلى أبناء عبدالله بن محمد بن سعود.

وفي خلال عامين، شملت هذه الدولة معظم بلاد نجد، ودان أهلها بالولاء لتركي بن عبدالله، الذي تحلّى بصفات قيادية عظيمة، جمعت حوله قلوب الزعماء والأهالي.

وفي عام ١٢٤١هـ / ١٨٢٥م، عاد الشيخ عبدالرحمن بن حسن - حفيد الشيخ محمد بن عبدالوهاب - من مصر إلى الرياض، وتولى الشؤون الدينية في الدولة، وأبدى المشورة في تسيير أمورها.

وفي عام ١٢٤٣هـ / ١٨٢٧م، هرب فيصل بن تركي - نجل الإمام تركي بن عبدالله - من مصر، ولحق بأبيه في الرياض، وساعده على توطيد أركان دولته

ضم الأحساء

تطلع الإمام تركي بن عبدالله إلى ضم الأحساء، التي استعادها بنو خالد، وأراد التخلص من تهديدهم لدولته. ففي عام ١٢٤٥هـ / ١٨٢٩م، غزا عمر بن محمد بن عفيصان الأحساء، بأمر من الإمام تركي بن عبدالله، فغزا أحد زعماء بني خالد بلدة حَرْمة في نجد، رداً على ذلك.

وقام محمد بن عريعر وأخوه ماجد، وأتباعهما من بني خالد، ومن انضم إليهما من القبائل الأخرى، بالمسير نحو نجد،

فأمر الإمام تركي بن عبدالله ابنه فيصلاً بالتصدي لهما. ودارت بينهما اشتباكات استمرت أياماً، قتل فيها ماجد بن عريعر، ولحق الإمام تركي بن عبدالله بابنه، حيث دارت الدائرة على محمد بن عريعر وأتباعه في معركة (السبيّة)، فولوا مدبرين. وأخذ الإمام تركي بن عبدالله طريقه نحو الأحساء، ودخلها دون قتال، بعد أن هرب منها بنو خالد. وتحصن محمد بن عريعر في قصر الكوت، ثم استسلم للإمام تركي بن عبدالله، الذي عامله بلطف وتقدير. ووفد زعماء القطيف على الإمام، وبايعوه على السمع والطاعة، ثم قدم إليه زعماء رأس الخيمة وجددوا ولاءهم له. وبهذا، خرجت الأحساء من يد بني خالد، لتصبح ثانية جزءاً من الدولة السعودية. وغادر الإمام تركي بن عبدالله الأحساء، عائداً إلى الرياض، بعد أن ترك عمر بن عفيصان أميراً عليها، وعبدالله الوهيبي قاضياً لها.

الإمام تركي بن عبدالله، وجهات عُمان

كانت رأس الخيمة قد أعلنت ولاءها للدولة السعودية الأولى، ولجأ إليها عدد من الذين فروا من الدرعية، بعد استسلام الإمام عبدالله بن سعود. وجدد أهل رأس الخيمة ولاءهم لتركي بن عبدالله، عام ١٢٤٤هـ / ١٨٢٨م، عندما قدم إليه وفد منهم، وأرسل معهم قاضياً وسرية، بقيادة عمر بن عفيصان، لحمايتهم من خصومهم، وأصبحت بذلك واحة البريمي مركزاً للقوة السعودية في تلك الجهات. ثم جدد زعماء رأس الخيمة ولاءهم للإمام تركي، وهو بالأحساء، عام ١٢٤٥هـ / ١٨٢٩م.

وفي عام ١٢٤٨هـ / ١٨٣٢م، أرسل الإمام تركي أميره على الأحساء، عمر بن عفيصان، على رأس حملة قوية إلى عُمان، واضطر السلطان سعيد ـ صاحب مسقط ـ إلى إظهار المودة للإمام تركي، وإلى دفع مبلغ مالي سنوي إليه. وبذلك استعادت الدولة السعودية الثانية النفوذ، الذي كان للدولة الأولى، في تلك الجهات.

الإمام تركي، وآل خليفة، في البحرين

كان لدخول الأحساء تحت حكم الإمام تركي بن عبدالله، أثره في علاقته بآل خليفة، حكام البحرين.

وقد كان لهم سيطرة على جزء من قطر، آنذاك.
واعترف عبدالله بن خليفة بتبعيته للإمام تركي، بعد مفاوضات جرت بينهما، وقبل دفع الزكاة إلى الدولة السعودية، نظير مساعدتها له ضد أي عدوان، تتعرض له البحرين. ولكن هذا الاتفاق لم يعمر طويلاً. فقد حدث خلاف بين العماير وأميرالقطيف.

وذهب فيصل بن تركي إلى هناك، لمعالجة المشكلة. فلما أغار على العماير، لجأ من انهزم منهم إلى قصر الدمام، الذي كان فيه أبناء آل خليفة، فهاجمهم فيصل هناك، ثم رحل إلى سيهات، التي كان رئيسها متفقاً مع ابن خليفة على محاربة آل سعود.

وحقق فيصل كثيراً من النجاح في المنطقة، لكن أخبار اغتيال أبيه، في الرياض، جعلته ينسحب، بسرعة، من المنطقة، عائداً إلى الرياض.

الإمام تركي بن عبدالله، والعثمانيون

كان العثمانيون لا يرغبون في عودة الدولة السعودية، من جديد.

وبذل والي مصر، محمد علي باشا، جهوداً مكثفة للقضاء على حركة الإمام تركي بن عبدالله، الذي أرغم بقية قوات محمد علي على الرحيل من نجد.

وعلى الرغم من ذلك، حاول تركي بن عبدالله، ألا يتحدى الدولة العثمانية، أو والي مصر، فلم يقترب من مناطق نفوذها، في الحجاز، واعترف بالسيادة الاسمية للأتراك. وبذل جهده ليتقرب إليها، وللحصول على اعتراف منها. فكتب إلى والي بغداد وكتب إلى والي مصر، الذي أبى الاعتراف به، لأنه ينظر إلى تلك المناطق، على أنها ضمن نفوذه. وحال انشغال قوات محمد علي باشا بإخماد ثورة عسير، وحروبه في الشام، وغيرها، دون إرساله قوات، لضرب تركي بن عبدالله.

. نهاية حكم الإمام تركي بن عبدالله

كان مشاري بن عبدالرحمن آل سعود، أحد أفراد الأسرة السعودية، التي نفيت إلى مصر، بعد سقوط الدرعية. وكانت أمه أخت الإمام تركي بن عبدالله. وكان الإمام يقدره غاية التقدير، ويراسله وهو في منفاه، وحثه على القدوم إلى نجد. واستطاع أن يهرب ويعود إلى الرياض، عام ١٢٤٢هـ/١٨٢٦م.

فأكرمه خاله الإمام تركي، وولاه إمارة منفوحة. وفي عام ١٢٤٥هـ/١٨٢٩م، عزله الإمام تركي عن إمارة منفوحة، على إثر وشاية، تفيد أنه يدبّر مع آخرين مؤامرة للإطاحة بالإمام. وأضمر مشاري في نفسه الحقد على خاله.

وبعد مضي عام، وبينما كان الإمام تركي غازياً في الشمال، ظهر مشاري في الرياض، معلناً خروجه عليه، ولكنه فشل في مسعاه، لعدم وجود مؤيدين له من السكان، الذين أحبوا الإمام تركياً.

فهرب مشاري إلى مكة، محاولاً الحصول على تأييد الشريف محمد بن عون له، لكن الشريف قبله لاجئاً عنده، وامتنع عن مساعدته عسكرياً.

ومكث مشاري في الحجاز حتى بداية عام ١٢٤٨هـ/ ١٨٣٢م، فانتقل إلى نجد، ووصل بلدة المذنب في القصيم، وطلب من أهلها أن يشفعوا له عند خاله، فركبوا معه إلى الرياض. وقدرهم الإمام تركي، وقبل شفاعتهم فيه، فعفا عنه، وأنزله في بيت من البيوت الخاصة به.

على أن نفس مشاري النزاعة إلى التمرد، لم تهدأ، وظل يحلم بالحكم. واستغل فرصة وجود فيصل بن تركي على رأس قوات والده، في شرق الجزيرة العربية، للقضاء على التمرد، الذي قام في العمايد، فحاك مؤامرة لاغتيال خاله الإمام تركي، وتمكن أحد عبيد مشاري، ويدعى إبراهيم بن حمزة، من قتل الإمام تركي بعد خروجه من المسجد، عقب صلاة الجمعة. وخرج مشاري من المسجد، وشهر سيفه، وتهدد الناس وتوعدهم، ودخل القصر وجلس للناس، يدعوهم للبيعة في الرياض، وذلك في آخر ذي الحجة عام ١٢٤٩هـ/ مايو ١٨٣٤م. ومات الإمام تركي بن عبدالله، بعد عشر سنين، قضاها في إعادة بناء الدولة السعودية. (مناقشة ١٤)

==========

المحاضرة العاشرة

عنوان المحاضرة

فترتي حكم الإمام فيصل بن تركي

المحاضرةالعاشرة

فترتي حكم الامام فيصل –الاولي.

مبايعة الامام فيصل : حينما وصل خبر اغتيال الإمام تركي، إلى ابنه فيصل، في القطيف، جمع كبار القادة في جيشه. ومنهم صديقه عبدالله بن علي بن رشيد، وتركي الهزاني رئيس الحريق، وعبدالعزيز بن محمد بن حسن رئيس بريدة، وعمر بن عفيصان أمير الأحساء، وغيرهم، وأطلعهم على ما وقع، فبايعوه بالإمامة. واستقر رأيهم على العودة إلى الرياض، لاسترداد الحكم من مغتصبه.

وفي ١٩ محرم ١٢٥٠هـ/١٨٣٤م، أي بعد ١٨ يوماً، من حادثة الاغتيال، وصل فيصل بن تركي بقواته إلى الرياض، وتمكن من دخولها. وضبط رجاله أبراجها. وباغت خصمه مشاري بن عبدالرحمن، الذي تحصن في قصر الحكم، ومعه مائة وأربعون رجلاً. وقدم أهالي الرياض المساعدة لفيصل، لما كان لأبيه من مكانة في نفوسهم. وبعد عشرين يوماً (٩ صفر ١٢٥٠هـ/ ١٨ يونيه ١٨٣٤م) من الحصار، دب اليأس في نفوس المحاصرين فنزلوا من القصر، وبقي مشاري بن عبدالرحمن، ومعه حليفه، أمير بلدة جلاجل، المعزول، سويد بن علي. وجرى اتصال، بموافقة فيصل بن تركي، بين كل من سويد بن علي وعبدالله بن رشيد، نتج منه اتفاق، يسهل فيه سويد لابن رشيد، وعدد من الجنود، مهمة تسلق الأسوار إلى داخل القصر، وأن يقف معهم ضد مشاري بن عبدالرحمن، في مقابل أن يوليه فيصل إمارة بلدته، جلاجل، وأن تكون إمارتها لذريته من بعده. وهذا ماحدث، بالفعل، فقد تسلق عبدالله بن رشيد القصر، وأصبح مع الجنود في وسطه، وانضم إليهم سويد بن علي وأتباعه. ثم دارت بينهم وبين مشاري وأتباعه معركة، انتهت بمقتل مشاري وستة من رجاله. وكان ذلك بعد أربعين يوماً فقط، من اغتيال الإمام تركي بن عبدالله.

واستعاد فيصل بن تركي السيطرة على الأمور في العاصمة، وتتابعت الوفود عليه، مبايعة ومؤيدة لحكمه.

وأول ما قام به الإمام الجديد، أن دعا قضاة بلدان حوطة بني تميم والخرج والوشم وغيرهم، إلى الرياض، وأكرمهم، وألقى فيهم خطاباً، حثهم فيه على التعاون على البر والتقوى

ولكن الأمور، لم تستقم للإمام فيصل بن تركي، على الصعيد الداخلي. فقد وقع خلاف بين سكان وادي الدواسر، تسبب باضطراب أمني. كما امتنعت بعض القبائل عن أداء ما عليها من الزكاة إلى عمال الإمام. وسيّر الإمام فيصل بن تركي جيشاً إلى وادي الدواسر، بقيادة حمد بن عبدالله بن عياف آل مقرن، لإنهاء الخلاف الناشب هناك. وهاجم من تسببوا بالمشكلة، وأثاروا الشغب، ثم عاد إلى العاصمة، بعد أكثر من شهر، من دون تحقيق مهمته بالكامل.

وسار الإمام فيصل بنفسه، ومعه قواته، وهاجم فريقاً من الدواسر في العرمة، وأخضع زعماءهم. ومن هناك، انطلق إلى بلدة تمير، حيث وفد إليه بعض من قواته. ومنها توجه إلى بلدة الشعراء في عالية نجد، وقام بمهاجمة القبائل، التي لم تؤد الزكاة، حتى دفعتها، وهي طائعة له.

وفي أثناء إقامته في بلدة الشعراء، في أوائل عام ١٢٥١هـ/ أبريل ١٨٣٥م، عين صديقه الحميم، عبدالله بن علي بن رشيد، أميراً على جبل شمر، بدلاً من صالح بن عبد المحسن بن علي. وبذلك، انتقلت إمارة جبل شمر، من آل علي إلى آل رشيد، وهي الأسرة التي أصبح لها تأثير كبير في تسيير دفة الأحداث، في منطقة نجد، في الفترة التالية.

وبعد أن أظهر الإمام فيصل بن تركي قوته أمام القبائل في نجد، وأخضع من عصى منها، عاد إلى الرياض، وأخذ في حل مشكلة الخلاف القائم في المنطقة الشرقية، منذ أواخر عهد أبيه. وتوصل، عام ١٢٥١هـ/١٨٣٥م، إلى اتفاق مع أبناء عبدالله بن خليفة، تخلوا، بموجبه، عما استولوا عليه من قبل، من سواحل المنطقة، وتعهدوا بدفع الزكاة إليه، مقابل مساعدته لهم ضد أي عدوان خارجي.

الغزو المصري لنجد، ونهاية الفترة الأولى من حكم الإمام فيصل بن تركي

كان الإمام فيصل بن تركي يعمل على توطيد حكمه، في الوقت الذي كان فيه والي مصر، محمد علي باشا، يحقق أحلامه في تكوين دولة كبرى، على حساب الدولة العثمانية، فضم السودان والشام وأجزاء من بلاد اليونان والأناضول إلى سيطرته. وكان يعد شبه جزيرة العرب من المناطق التابعة لدولته، ولهذا لم يكن غافلاً عما يجري في نجد، من حركة لإعادة الدولة السعودية.

ووجد أن مما يسهل عمل الحملات العسكرية، أن يترأسها أحد أفراد الأسرة السعودية. وأراد محمد علي باشا التخاطب مع الإمام فيصل بن تركي، فأرسل إليه دوسري بن عبدالوهاب أبو نقطة، مبعوثاً ليكون وسيطاً بينهما. وطلب من الإمام إرسال الخراج إليه، وتزويد القوات المصرية، المحاربة في شبه الجزيرة العربية، ببعض ما تحتاج إليه. ولكن الإمام، لم يشأ أن يلبي هذه الطلبات، ربما لأنه خشي أن تستعمل ضده، مستقبلاً. وفي الوقت نفسه، اتخذ موقفاً ليناً، تجاه حكومة محمد علي، فأرسل هدايا ثمينة إلى أحمد باشا، ممثل محمد علي في الحجاز، مع أخيه جلوي بن تركي، على أمل أن يكون في ذلك تعبير عن حسن نيته تجاه الدولة. وأبدى استعداده لتلبية بعض طلبات القوات المصرية من الإبل. لكن محمد علي، لم يقتنع بذلك الموقف. ورد على هذا، فجهز حملة عسكرية، بقيادة إسماعيل بك، ووضع على رأسها، من الناحية الشكلية، خالد بن سعود بن عبد العزيز ـ الشقيق الأصغر للإمام عبدالله بن سعود ـ وكان خالد بن سعود، قد أسره إبراهيم باشا، عند سقوط الدرعية، وأرسل إلى مصر مع بقية آل سعود. ووصلت الحملة إلى ينبع، في عام ١٢٥١هـ/ ١٨٣٥م.

وحاول الإمام فيصل أن يتفادى الصدام مع القوة الموجهة إليه، إذ لا قبل له بها. فأرسل الهدايا مع مبعوث منه إلى قائدَيها خالد بن سعود وإسماعيل بك، إظهاراً لحسن نيته. ولما عاد المبعوث أطلع الإمام على نيات محمد علي باشا، وهي مهاجمة البلاد. وواصلت الحملة تقدمها من المدينة المنورة إلى الحناكية، ومنها إلى القصيم. واستنفر الإمام فيصل قواته في الأحساء، وجنوب نجد وسدير، ورأى أن يتقدم من الرياض إلى القصيم، لملاقاة القوات المصرية، والدفاع عن المنطقة. فغادر الرياض في شوال عام ١٢٥٢هـ/ يناير ١٨٣٧م.

ولدى وصول الإمام فيصل بقواته إلى القصيم، نزل على ماء الصريف، بالقرب من التنومة، وعلم أن القوات المصرية وصلت بلدة الرس. فانتقل بقواته إلى عنيزة، ووجد من أميرها وأهلها الدعم. واستنفر أمير بريدة، فسانده. وبعد ذلك، انتقل بحشوده التي انضم إليها أهالي القصيم، نحو بلدة رياض الخَبْراء.

وأقام الإمام فيصل هناك عشرين يوماً. ولكنه وجد أن لا قبل له بذلك الجيش، فانسحب إلى عنيزة، ومنها عاد إلى الرياض.

وبوصول الإمام فيصل إلى عاصمته الرياض، وجد أهلها قد دب الوهن والفشل في نفوسهم، وأنهم غير مستعدين لمواجهة الحملة، بل إن قسماً منهم، كان مهيأ للانضمام إلى تلك الحملة، وجاهر بالعداوة، إما لأنهم رأوا أحقية خالد بن سعود في الحكم، أو لأنهم خشوا بطش القوات المصرية.

ولهذا، رأى الإمام فيصل، أن الموقف ليس في صالحه، فغادر الرياض، واتجه إلى الخرج. ولحق به أربعمائة فارس من رجاله. ومن هناك، قصد الأحساء.

ووالت الحملة المصرية تقدمها، بقيادة خالد بن سعود وإسماعيل بك، في نواحي القصيم. واستولت على بلدان الإقليم، وأخضعته بعد أن أعلنت وفوده الولاء.

وأرسل قائدا الحملة فرقة، مكونة من أربعمائة فارس تركي، ومائة رجل من أهل عنيزة، يقودهم أميرها يحيي بن سُلَيْم، ويصحبهم عيسى بن علي ـ أحد أفراد أسرة آل علي، حكام جبل شمر السابقين ـ إلى جبل شمر، لانتزاع الإمارة من أمير الجبل، عبدالله بن رشيد. وحينما علم هذا الأخير بقدومهم هرب، وذهب إلى جبّة ـ إلى الشمال من حائل ـ ودخلت الفرقة حائل دون مقاومة. وبعد أن أدت مهمتها، عادت إلى عنيزة، وبقي عيسى بن علي، ومعه مائة جندي، في حائل.

وسارت القوات المصرية نحو الرياض، وهي تجد التشجيع من سكانها، الذين قدم منهم وفد، ليعلن ولاءهم للجيش المصري. وفر منها المعارضون من آل الشيخ، إلى جهات الحلوة والحريق وحوطة بني تميم، في جنوبي نجد.

ودخل خالد بن سعود وإسماعيل بك، بقواتهما، الرياض، دون قتال، في ٧ صفر ١٢٥٣هـ/مايو ١٨٣٧م.

وأراد خالد بن سعود، أن يخضع المناطق الجنوبية من نجد، بالقوة، بعد أن رفضت طاعته، فأنزلت به هزيمة ساحقة، قرب بلدة الحلوة، في ١٥ ربيع الثاني عام ١٢٥٣هـ / يوليه ١٨٣٧م، وعاد بفلوله إلى الرياض.

وبناء على هزيمة خالد بن سعود، في بلدة الحلوة، سارع الإمام فيصل بن تركي، من الأحساء إلى الخرج، وانضم إليه أهل الخرج والحوطة والحريق والفرع، الذين هزموا خالداً. وانطلق بهم نحو الرياض، وحاصرها في جمادى الآخرة عام ١٢٥٣هـ/سبتمبر ١٨٣٧م. ولكنه اضطر إلى فك الحصار والتراجع نحو منفوحة، في شعبان من تلك السنة، بعد أن زحفت حشود من قبيلة سبيع، بقيادة فهيد الصييفي؛ ومن قبيلة قحطان، بقيادة قاسي بن عضيب، لنجدة خالد بن سعود. وشنوا الغارة على الإمام فيصل وجنوده. وهناك جرت محادثات للصلح، أول مرة، بين الإمام فيصل بن تركي وخالد بن سعود، في شعبان ١٢٥٣هـ/ نوفمبر ١٨٣٧م، انتهت بالفشل، ودارت الحرب مجدداً بين الفريقين مع وصول قوات جديدة من مصر.

خورشيد باشا.

وقد أرسل محمد علي حملة عسكرية، بقيادة واحد من أمهر قادته العسكريين، وهو خورشيد باشا.

وأول ما فعله وهو في طريقه إلى نجد، أن أرسل رسالة وهدايا إلى الإمام فيصل، مع الشريف عبدالله، صاحب ينبع، وأذن للإمام أن يأخذ ما أراد أخذه من ممتلكاته، الموجودة في الرياض،

وربما كان قصد خورشيد باشا من هذا الوعد، هو أن يبقي الإمام فيصلاً حاكماً على جنوبي نجد والأحساء، وهما المنطقتان اللتان لا تزالان مواليتَين له. وربما سعى إلى كسب الوقت، حتى يصل إلى العارض، قبل أن ينال الإمام فيصل من خالد.

وعلى العموم، فإن الإمام فيصل، رحل عن منفوحة في ذي القعدة ١٢٥٣هـ/فبراير ١٨٣٨م. وتراجع إلى الدلم، وأرسل بهدية من الخيل والمطايا العُمانية، إلى خورشيد باشا، وهو في المدينة المنورة، مع أخيه جلوي بن تركي. وظل جلوي بن تركي مرافقاً لحملة خورشيد باشا، في مسيرتها من المدينة حتى وصل القصيم. وسواء كان بقاء جلوي مع خورشيد، شرطاً من شروط خورشيد، ليبقى رهينة حتى لا يهاجم الإمام فيصل خالد بن سعود، أم كان رغبة من الإمام في كسب ثقة خورشيد باشا، وإظهار حسن نيته تجاهه ـ فإن جلوي بن تركي، حانت له الفرصة، في عنيزة، فهرب، ولحق بأخيه فيصل، وأطلعه على نيات خورشيد باشا ضده.

وفي هذه الأثناء، حدث تغير في سير الأمور، في جبل شمر. فقد ترك أمير جبل شمر، المعزول، عبدالله بن علي بن رشيد، بلدة جبّة ـ قرب حائل ـ واتخذ من منطقة قفار، المجاورة لحائل، مركزاً لنشاطه ضد عيسى بن علي، الذي تولى الإمارة، من قبل خالد بن سعود. ورأى أن يتصل بخورشيد باشا، ويتعاون معه، في مقابل أن يساعده الباشا على استرداد إمارته. وبالفعل، توجه إلى خورشيد باشا، في المدينة المنورة، ووقع الاتفاق بينهما. ولكن في فترة وجوده مع خورشيد باشا، تمكن أخوه، عبيد بن علي بن رشيد، من الاستيلاء على حائل، وأخرج منها عيسى بن علي. وعاد عبدالله بن رشيد إلى إمارة حائل، وباركه خورشيد باشا.

وصل خورشيد باشا إلى القصيم، وأقام بها خمسة أشهر، وأطاعه زعماء القبائل، وقدموا له الولاء. وأعلن له عبدالله بن علي بن رشيد الولاء.

معركة الخراب

ووصلت حملة خورشيد باشا إلى الرياض، في رجب ١٢٥٤هـ/ سبتمبر ١٨٣٨م. وطلب من الإمام فيصل بن تركي ـ الموجود في الدلم ـ الاستسلام، وإلا فإنه سيواجه الحرب. ولما رفض الإمام فيصل الإنذار، وقع القتال بين الطرفين في معركة الخراب، في جهة الدلم، تغلبت فيه قوات خورشيد باشا على الإمام فيصل وأتباعه. وانتهى الأمر باستسلام فيصل بن تركي، في رمضان ١٢٥٤هـ/ نوفمبر ١٨٣٨م، بعد أن حصل على الأمان للبلدة. وفي اليوم الثاني من شوال، أخِذ إلى مصر، ومعه ولداه، عبدالله ومحمد، وأخوه، جلوي بن تركي، وابن أخيه، عبدالله بن إبراهيم بن عبدالله، حيث انضموا إلى بقية آل سعود هناك. وكانت تلك نهاية الفترة الأولى، من حكم الإمام فيصل بن تركي.

فترة الفوضى، بعد نفي الإمام فيصل بن تركي

بدأ خورشيد باشا بإخضاع المناطق، التي كانت تابعة للإمام فيصل بن تركي، ومنها الأحساء. فدخلتها قواته، في شوال ١٢٥٤هـ/ ديسمبر ١٨٣٨م، بعد فرار أميرها، عمر بن عفيصان وتركه المنطقة، على الرغم

من عرض خورشيد باشا الأمان عليه، والتجأ إلى آل خليفة، ثم إلى الكويت. وعين خورشيد باشا أحمد السديري أميراً على الأحساء، وعيسى بن علي، الذي طرده آل رشيد من إمارة جبل شمر، أميناً لبيت المال فيها.

ودخلت قوات خورشيد باشا القطيف وسيهات، وأطلت على ساحل الخليج. ومن هناك، سعت إلى بسط سيطرتها على البحرين وعُمان. وعُقد اتفاقٌ بين خورشيد باشا وبين آل خليفة، حكام البحرين. كما أجبر سلطان مسقط على الخضوع له، وأقام علاقات طيبة بحاكم الكويت.

وكان خورشيد باشا، طوال تلك الفترة، مقيماً في الدلم، ثم انتقل إلى ثرمدا، في عام ١٢٥٦هـ/١٨٤٠م.

وكان نجاح خورشيد باشا، في مد نفوذ محمد علي باشا إلى منطقة الخليج العربي، مثار تخوف من بريطانيا، فوجدت في هذه السيطرة المصرية تهديداً لمصالحها. وبدأت تقف ضد طموحه، وساندت الدولة العثمانية على حربها ضد قوات محمد علي، حتى اضطر إلى توقيع معاهدة لندن في ١٥ يوليه ١٨٤٠م، وسحب قواته من بلاد الشام والجزيرة العربية. وبذلك، لم تطل إقامة قوات خورشيد باشا في منطقة الخليج ونجد، فوصلته الأوامر من مصر بالعودة. وبدأ الانسحاب إلى الحجاز، ومنها إلى مصر، بعد أن ترك حاميات صغيرة، لتدعم حكم خالد بن سعود، في الرياض.

وواجهت خالد بن سعود مشكلات عديدة منها

- إذ خرجت عن طاعته المناطق النائية عن الرياض.

- ووقع قتال بين زعيم جبل شمر، عبدالله بن علي بن رشيد، ومن تابعه، من شمر وحرب، وبين أمير بريدة، عبدالعزيز بن محمد آل عُليان، ومن تابعه من أهل القصيم وعنزة. وذلك في بلدة بقعاء، في جمادى الأولى عام ١٢٥٧هـ/ يوليه ١٨٤١م.

عبد الله بن ثنيان بن ابراهيم آل سعود

قام، بتمرد على خالد بن سعود. فقد استطاع عبدالله بن ثنيان، عام ١٢٥٧هـ، الهرب من خالد بن سعود، الذي توجه إلى الشنانة - بالقصيم - ليودع القائد خورشيد باشا، وهو يتأهب للعودة إلى مصر. وواصل عبدالله بن ثنيان فراره إلى المنتفق، في جنوبي العراق. والتجأ إلى عيسى بن محمد. وفي رجب ١٢٥٧هـ/أغسطس ١٨٤١م، عاد من هناك إلى نجد، ونزل بلدة الحائر، جنوب الرياض، واتخذها مركزاً لنشاطه. وكاتب أهل الحريق والحوطة والحلوة، وجمع أنصاراً له، ضد خالد بن سعود. وبين لهم عزمه على طرد الحملة المصرية من نجد. وفي المقابل، كاتب خالد بن سعود أهل المناطق النجدية، يستحثهم على الغزو. ولكنه لم يجد منهم استجابة. ولما فشل خالد بن سعود في مواجهة ابن ثنيان، قرر الابتعاد عن نجد، وتوجه إلى الأحساء، في شعبان ١٢٥٧هـ/ سبتمبر ١٨٤١م، وترك حمد بن عياف أميراً على الرياض. وخلال هذه الفترة، استولى عبدالله بن ثنيان على ضرما، وزحف مع أتباعه إلى عرقة. ووصلته هناك إمدادات، بقيادة سعد بن تركي الهزاني، صاحب الحريق، مما قوى من عزمه، فاحتل عرقة، عنوة. وانطلق إلى منفوحة، فدخلها، وتوجه إلى الرياض، وبعد قتال مع أهلها، في شوال ١٢٥٧هـ/ نوفمبر ١٨٤١م، هاجمها، وخاض قتالاً مع جنود الحملة المصرية فيها، وقد كانوا اعتصموا بالقصر، ثم دخلها، عنوة، وأجبر الحامية العسكرية فيها على مغادرتها، بعد أن أمّنهم. وتوافد زعماء المنطقة على ابن ثنيان، في الرياض، يبايعونه ويعلنون له ولاءهم.

وأراد خالد بن سعود، أن يجهز جيشاً من الأحساء، ويزحف به نحو الرياض. ولكن الوهن دب في نفسه، فغادر المنطقة إلى الكويت، ومنها عاد، سراً، إلى القصيم، ثم رحل إلى مكة المكرمة.

ولما علم عبدالله بن ثنيان بهروب خالد بن سعود من الأحساء، بعث، في محرم ١٢٥٨هـ/فبراير ١٨٤٢م، طليعة من أتباعه، بقيادة عبدالله بن بتال المطيري، استولت على قصر الحكم هناك. وبعث عمر بن عفيصان أميراً على الأحساء، ووفد زعماؤها ليبايعوا ابن ثنيان، في الرياض. وعين أحمد ابن محمد السديري أميراً على القطيف. وبذلك، شمل نفوذه المنطقة الشرقية ونجداً، باستثناء القصيم وجبل شمر.

ولكن عهد عبدالله بن ثنيان، كان قصيراً. فقد تمكن فيصل بن تركي، بمساعدة من عباس باشا ابن طوسون ـ أي حفيد محمد علي باشا ـ أن يغادر مصر، في بداية عام ١٢٥٩هـ/فبراير ١٨٤٣م، ووصل إلى جبل شمر، ومعه ابنه، عبدالله بن فيصل، وأخوه، جلوي بن تركي وابن أخيه، عبدالله بن إبراهيم بن عبدالله. وبدأت الفترة الثانية من حكم الإمام فيصل بن تركي.

الفترة الثانية من حكم الإمام فيصل بن تركي

لما استقر المقام بالإمام فيصل بن تركي، في حائل، لدى صديقه، أمير جبل شمر، عبدالله بن علي بن رشيد، أخذ من هناك يكتب لأمراء مناطق نجد وزعمائها، يخبرهم بوصوله، ويطلب منهم الانضمام إليه.

وحينما علم عبدالله بن ثنيان بوصول فيصل بن تركي إلى حائل، استنفر قواته، ونزل بها في بنبان ـ شمال الرياض ـ في طريقه إلى القصيم، لملاقاة فيصل بن تركي. ووصلته هناك رسائل منه، ففر بعض رجاله، ولحقوا بفيصل بن تركي. وبعث أمير ضرما إلى فيصل، في حائل، حاملاً هدية منه ليثنيه عن عزمه.

وانطلق فيصل بن تركي إلى القصيم ـ المنطقة الأولى، في طريقه من جبل شمر ـ وحينما وصلها، اختلف زعماء المنطقة فيما بينهم حياله، فانضم إليه أمير عنيزة، عبدالله بن سُلَيْم وأيده، بينما اختار أمير بريدة، عبدالعزيز بن محمد آل عُليان، الوقوف إلى جانب عبدالله بن ثنيان، الذي وصل إلى سدير.

ورحل ابن ثنيان بأتباعه إلى بريدة، ونزل بهم خارج البلدة، فخرج له أميرها وبايعه. وكان فيصل قد أرسل أخاه، جلوي بن تركي، وعبيد بن رشيد، إلى محمد بن فيصل الدويش، زعيم مطير، في الحمادة، وكان على عداوة مع عبدالله بن ثنيان.

وصل فيصل بن تركي إلى عنيزة، قادماً من حائل، يرافقه أمير جبل شمر، عبدالله بن رشيد.

ووجد فيها غاية الترحيب، وبايعه أميرها وأهلها، مما عزز موقفه ضد عبدالله بن ثنيان،

الذي انفصل عنه بعض أتباعه، وانضموا إلى فيصل في عنيزة.

وهنا، آثر عبدالله بن ثنيان العودة أدراجه، منهزماً نحو الرياض. وحينما علم بذلك محمد بن فيصل الدويش، شن غارته على جنود عبدالله بن ثنيان، ولحق بهم، قرب الوشم حيث تفرق عن ابن ثنيان جنوده. ومكث الدويش في ثادق، ينتظر قدوم فيصل وأتباعه.

وواصل فيصل بن تركي تقدمه نحو العاصمة، في ربيع الأول ١٢٥٩هـ/ أبريل ١٨٤٣م، وقد أذعنت له البلدان التي مر بها. وكتب، وهو في حريملاء، إلى عبدالله بن ثنيان، يدعوه للمصالحة، وحقن الدماء، وأن

يخرج من الرياض، بما عنده من الخيل والركاب والسلاح والأموال والرجال، وليس له معارض، وينزل أي بلد يشاء في نجد أو غيرها، وله، مع ذلك، الخراج، كل سنة، ما يكفيه.

فأبى عبدالله بن ثنيان. وهنا، توجه فيصل بن تركي وأتباعه إلى الرياض، ولم يقع بينه وبين أهلها قتال. واستطاع، أخيراً، أن يدخلها، في ربيع الثاني عام ١٢٥٩هـ/مايو ١٨٤٣م، بفضل المساعدة التي قدمها له أهلها.

وحاصر عبدالله بن ثنيان، في قصر الحكم، مدة ثلاثة أسابيع. وجرت مفاوضات بين الطرفين، تولاها عبيد بن رشيد. وعلى أثر فشل المفاوضات، تسلل عبدالله بن ثنيان من القصر، بقصد الهرب. لكنه وقع في قبضة أعوان فيصل بن تركي، وسلموه له، فأمر بسجنه. وبقي شهراً واحداً في السجن، حيث وافته المنية، في منتصف جمادى الآخرة ١٢٥٩هـ/١٤ يوليه ١٨٤٣م.

وبذلك، انتهت فترة عبدالله بن ثنيان، التي دامت عامَين. وبدأت الفترة الثانية من حكم الإمام فيصل بن تركي، التي استمرت ثلاثة وعشرين عاماً.

توحيد نجد والأحساء

وكان على الإمام فيصل بن تركي، أن يستعيد سيطرته على كامل البلاد، التي مزقتها النزاعات، ويقضي على الفتن والقلاقل، التي تثيرها القبائل.

وبالفعل، قدمت إليه وفود من بلدان نجد المختلفة، لمبايعته، وإظهار الطاعة والولاء. وساعده على ذلك الحس الديني الكبير، الذي تميزت به شخصية الإمام فيصل، وما كان يوجهه من نصائح إلى أتباعه؛ كما فعل عند توليه الحكم، أول مرة. وعين ابن عثيمين أميراً على وادي الدواسر. وأقر كل أمير في بلده.

ولتحقيق سيطرته على الأحساء، بعث قائده، عبدالله بن بتال المطيري، ليتولى الأمور فيها، فضبطها. ولكن بعد أشهر قليلة، هاجمت قبيلة المناصير قافلة للحجاج، ونهبتها، مما يعد إخلالاً بالأمن، وعدواناً على الأبرياء. فاستشاط الإمام فيصل غضباً، وقاد بنفسه حملة، توجه بها إلى القطيف، لتأديب القبيلة المعتدية، فأنزل بها العقاب الصارم. كما هاجم آل مرة، ثم أغار على قبيلة بني هاجر، وألحق بهم خسائر فادحة. وهاجم الدمام، وانتزعها من يد عبدالله بن خليفة وأولاده ـ رؤساء البحرين ـ الذين استسلموا له. وخلصت لنفوذه المنطقة كلها، وعين أمراءه على الأحساء والقطيف.

وما أن انتهي من أمر قبيلة المناصير، حتى برزت له، وهو في الأحساء، عام ١٢٦٠هـ/ ١٨٤٤م، مشكلة أخرى أثارتها قبيلة العجمان وقبائل أخرى. فقد أغارت فئات من هذه القبيلة، بزعامة محمد بن جابر الطويل، ومعهم أخلاط من قبيلة سبيع، على زعيم قبيلة مطير، محمد بن فيصل الدويش وعربانه، ونهبوا أموالهم. وكان الدويش قد اشترك مع الإمام فيصل، في حربه ضد عبدالله بن ثنيان، كما تقدم. ولهذا، قدم إلى الإمام فيصل يسترفده، وهو في الدمام. فأعطاه مساعدة، مالية وعينية، ولم يتخذ أي إجراء عسكري ضد المعتدين.

وفي عام ١٢٦١هـ/١٨٤٥م، وقعت عدة اضطرابات وفتن أخلت بالنظام، فقد وقع خلاف بين أهالي الأفلاج، واضطر للقيام بحملة عليهم لحل النزاع. وحبس أهل الخلاف. ثم عاد إلى الرياض.

ولما وقع خلاف آخر بين أهل وادي الدواسر، أرسل جيشاً بقيادة أخيه، جلوي بن تركي، للقضاء عليه. وفي العام نفسه، استولى أمير عنيزة، عبدالله بن سُلَيْم، على إبل لأمير جبل شمر. ورداً على ذلك، قام عبيد بن رشيد، في رمضان ١٢٦١هـ/سبتمبر ١٨٤٥، بغارة على عنيزة، وقتل أميرها.

وفي آخر العام نفسه، اعتدى زعيم قبيلة العجمان، فلاح بن حثلين، على قافلة للحجاج، قادمة من العجم والبحرين والقطيف والأحساء، وقتل كثيراً من رجالها، ونهب أموالهم.

لقد زادت هذه الفتن والاضطرابات من تعقيد الوضع الداخلي. وتفاقم هذا الوضع وتحول إلى مشكلة حقيقة بوقوع مشكلة العجمان عمل الامام علي ايجاد حلول لها.

حدود الدولة السعودية، في عهد فيصل بن تركي

ذكر لويس بيلي (Lewis Pelly)، المعتمد البريطاني في الخليج العربي ـ الذي زار الإمام فيصل بن تركي، في الرياض، في شوال من عام ١٢٨١هـ /مارس عام ١٨٦٥م ـ أن الدولة السعودية، تسيطر على ساحل الخليج العربي، وساحل عُمان. وكانت تأخذ الزكاة، العينية أو النقدية، من شيوخ البحرين وأبو ظبي ودبي وأم القيوين والعجمان والشارقة ورأس الخيمة. ولها مركز حربي في البريمي، الممتدة بين المشيخات المذكورة وسلطنة مسقط، التي تدفع الزكاة، بدورها، إلى الأمير فيصل. ويذكر بيلي في التقرير، أن حدود الدولة السعودية، من الشمال، هي صحراء النفود، وتضم إقليم جبل شمر، الذي يحكمه عبدالله بن رشيد. وأما في الجنوب، فقد وصلت حدود دولة فيصل بن تركي، إلى صحراء الربع الخالي وشمال شرقي عسير. وأما من الغرب، فيمكن تعيين حدود سيطرة السعوديين بحدود جغرافية، مثل جبل حضن، الذي يفصل بين نجد والحجاز، أي نهاية حدود منطقة القصيم، من الغرب.

==========

المحاضرة الحادية عشر

عنوان المحاضرة

العلاقات الخارجية للدولة، في عهد الإمام فيصل

١. **علاقات الإمام فيصل بإمارات الخليج وعُمان**

الكويت:لم تسجل أية علاقات جديرة بالاهتمام، بين الدولة السعودية، في عهد الإمام فيصل بن تركي، والكويت، سوى ما مر ذكره من هروب المنهزمين من قبيلة العجمان، أمام عبدالله بن فيصل، سنة ١٢٧٦هـ/١٨٦٠م، إلى داخل الكويت. وتبادل عبدالله بن فيصل مع حاكم الكويت، رسائل الصداقة والمودة. ولم يحدث أن دفعت الكويت الزكاة إلى الدولة السعودية، إلا نادراً.

البحرين:أما علاقة الإمام فيصل بن تركي بحكام البحرين، فكان يعتريها المد والجزر. لقد دب النزاع الداخلي بين آل خليفة حكام البحرين، فثار محمد بن سلمان آل خليفة، على عم أبيه، عبدالله بن أحمد آل خليفة، لانتزاع الحكم منه. ولكنه هزم في معركة الناصفة، فهرب إلى نجد، عند عبدالله بن ثنيان، الحاكم في نجد، آنذاك؛ وكان يعسكر بقواته في الرمحية، بين القطيف والرياض.

وقرر عبدالله بن ثنيان، أن يتدخل في شؤون البحرين الداخلية، مستفيداً من الصراع العائلي بين آل خليفة. لكن عودة فيصل بن تركي من منفاه في مصر، شغلته عن قراره ذاك.

ولما يئس محمد بن سلمان آل خليفة من الدعم السعودي له، رحل إلى القبائل البدوية، في قطر، لعلها تعينه في الهجوم على منافسه في حكم البحرين، عبدالله بن أحمد آل خليفة. ولقي تأييداً من تلك القبائل، وساعدته على هزيمة قوات عبدالله بن أحمد. وتمكن من السيطرة على الأمور في البحرين. واعترفت بريطانيا باستقلال البحرين، برئاسة محمد بن خليفة.

ولما استتب الأمر للإمام فيصل بن تركي، في فترة حكمه الثانية، إثر تغلبه على عبدالله بن ثنيان، تمكن، في عام ١٢٥٩هـ/١٨٤٣م، من استعادة قصر الدمام، الذي استولى عليه آل خليفة، منذ فترة، وطرد الحامية البحرينية منه.

وفي عام ١٢٦٣هـ/١٨٤٧م، طلب عبدالله آل خليفة العون من الإمام فيصل، بعد أن يئس من أي دعم إيراني له. **فقرر الإمام فيصل بن تركي فتح جزيرة البحرين،** مغتنماً فرصة الخلافات العائلية المستمرة، بين آل خليفة، أو أن يجبرها على إعلان تبعيتها له، بدفع الزكاة. وأدى هذا إلى إرباك الشيخ محمد بن خليفة، خصم عبدالله بن أحمد آل خليفة، فأخذ يبحث عن حليف قوي، فاتجه إلى الدولة **العثمانية،** يطلب دعمها. وهنا، بادرت **بريطانيا** إلى التفكير في وضع البحرين تحت حمايتها. **ولم ينجح الإمام فيصل في تحقيق مشروعه، بضم البحرين أو إخضاعها له، بسبب حملة الشريف محمد بن عون على نجد، التي مر ذكرها، ثم موقف بريطانيا الحازم، ضد أي نفوذ سعودي في منطقة الخليج، حيث مصالحها الإستراتيجية.**

وتفاوض شيخ البحرين، آنذاك، **محمد بن سلمان آل خليفة** مع **الإمام فيصل،** محاولاً إقناعه بعدم تقديم العون لغريمه **عبدالله بن أحمد آل خليفة**. وتوصل مبعوثه، بشير بن رامح، إلى اتفاق مكتوب، يدفع، بموجبه، حاكم البحرين مبلغاً، قدره أربعة آلاف ريال، مقدماً، إلى الإمام، وأن يدفع الزكاة السنوية في حدود هذا المبلغ. ويسمح للشيخ المعزول، عبدالله، بالإقامة بالأحساء وتكون نفقات معيشته على حساب الدولة السعودية.

وعاود الإمام فيصل نشاطه في الخليج، **وقرر فتح البحرين، عام ١٢٦٧هـ/١٨٥١م. وقد ساعده آل ثانٍ،** وبعض القبائل القطرية، عقب فتحه لقطر. وقدم القطريون للإمام ٣٠٠ سفينة، لتساعده على نقل الجنود من قطر إلى البحرين. **كما أن آل خليفة، بمن فيهم عبدالله بن أحمد آل خليفة، قدموا مساعدتهم للإمام فيصل، أملاً في انتزاع السلطة من محمد بن سلمان آل خليفة.**

وعلى أثر ذلك، **استعان محمد بن سلمان آل خليفة بحاكم أبو ظبي، سعيد بن طحنون، فأنجده بأسطول قوي، قاده بنفسه. ولكن الخلاف حل بالطرق السلمية، وقبل الإمام فيصل الصلح، بشرط أن يحضر سعيد بن طحنون بنفسه إلى معسكره.** فوافق، بعد أن حصل على كتاب الأمان من أحمد السديري، حاكم الأحساء، موقعاً من فيصل، وبشرط أن تستمر البحرين في دفع الزكاة السنوية، وهي أربعة آلاف ريال، وأن تدفع ما كان متأخراً منها.

وكانت بريطانيا، تساند البحرين ضد النفوذ السعودي. ولكنها حينما علمت بأن دفع الزكاة، لا يعني التبعية السياسية للسعوديين، وافقت على الحل السلمي.

واستمرت عمليات التحرش السعودي بالبحرين. وكان الإمام فيصل يقدم الدعم للفارين من حكم شيوخ البحرين. وكانت العلاقات تتعقد بسبب النزاع الداخلي، بين آل خليفة، وبسبب التدخل، البريطاني والإيراني.

قطر: أما عن علاقة الإمام فيصل بقطر، التي تحكمها أسرة آل ثانٍ، وتحت سيادة آل خليفة في البحرين، فقد استولت عليها القوات السعودية، بقيادة عبدالله بن فيصل، بعد معارك دامية. وحاصرت قصر البدع، الذي حصنه آل خليفة، بزعامة علي بن خليفة. وأجبرتهم على مغادرته. وقدمت القبائل القطرية المساعدة لعبدالله بن فيصل على غزو البحرين.

جهات عمان: أما علاقة الإمام فيصل بجهات عُمان، فإن النفوذ السعودي، امتد إليها، في عهده، وبسطت قواته سيطرتها على البريمي، **بقيادة سعد بن مطلق المطيري**، في صفر عام ١٢٦١هـ/فبراير ١٨٤٥م. وكانت غاية سعد بن مطلق، أن يجبر سلطنة عُمان على **دفع الزكاة**. وطلب من ثويني بن سلطان، النائب في الحكم عن والده سعيد، مبلغ عشرين ألف ريال، ومن صاحب صحار، حمود بن عزان خمسة آلاف ريال. وطلب المعتمد البريطاني من ثويني التفاهم، بشكل ودي، مع الإمام فيصل بن تركي. وقام سعد بن مطلق المطيري بإجراء تهديدي، حيث استنفر قواته في البريمي، وسار بها إلى ساحل الباطنة، الذي تسوده الفوضى. ولم يكن في مقدور قوات حاكم مسقط الدفاع عنها.

ولكن بريطانيا، أنذرت الإمام فيصل بن تركي، وقائده، سعد بن مطلق المطيري، في ١٨ جمادى الآخرة عام ١٢٦١هـ / ٢٥ يونيه ١٨٤٥م. وانتهت الأمور بسلام، بعد أن وافق سعيد بن سلطان، حاكم عُمان، على دفع مبلغ خمسة آلاف ريال، سنوياً، وألفَي ريال إلى سعد بن مطلق شخصياً. واضطر صاحب صحار الساحلية، حمود بن عزّان، أيضاً، أن يدفع زكاة سنوية إلى الإمام فيصل، قدرها خمسة آلاف ريال.

وفي عام ١٢٦٣هـ/ ١٨٤٦م، تمردت قبائل شمال عُمان، ضد القائد السعودي، الذي تشدد في معاملته لهم، وشكوا أمره إلى الإمام فيصل. واستدعى الإمام فيصل قائده، سعد بن مطلق المطيري، إلى الرياض، للتفاهم معه في شأن الموقف المتدهور، في البريمي. وفي غياب سعد بن مطلق، حل محله محمد بن سيف العجاجي، بالوكالة، واستطاع هذا الأخير توثيق عرى الصداقة والمودة مع القبائل هناك. وظل يحكم عدة أشهر، حتى وصل حاكم جديد للبريمي، من قبل الإمام فيصل، هو عبدالرحمن بن إبراهيم، ١٢٦٣هـ/١٨٤٧م.

وفي عام ١٢٦٤هـ/١٨٤٨م، حاول محمد بن سيف العجاجي، أن يجبي الزكاة، بالقوة، من صاحب صحار، حمود بن عزّان، وأرسل قوة تأديبية إليه. ولكنه وقع في مكمن، فاستغل حاكم أبو ظبي، سعيد بن طحنون، ضعف الحامية السعودية، وحاول التوسع في المنطقة، بحجة مساعدة الأهالي ضد السعوديين. فحاصر البريمي، التي كان فيها محمد بن سيف العجاجي، وعبدالرحمن بن إبراهيم. ووزع العجاجي قواته بين الحصون، التي تحيط بها قوات ابن طحنون. ولكنه استسلم لها، في عام ١٢٦٤هـ / يونيه ١٨٤٨م، بشرط أن يؤمنهم ابن طحنون على أرواحهم وسلاحهم، ويسمح لهم بمغادرة الحصون. وسقطت البريمي، ووضع فيها حاكم أبو ظبي حامية من قبله. ولما علم الإمام فيصل بذلك، أرسل قوة عسكرية كبيرة، بقيادة سعد بن مطلق، ليعيد البريمي إلى طاعته. وكمن ابن طحنون للقوة السعودية، بعد أن أخبره جواسيسه بقدومها، فوقعت القوات السعودية في المكمن، وهزمت في مكان يسمى العانكة. وبعد أن حكم ابن طحنون البريمي، ثمانية أشهر، وقع الصلح بين الطرفين، وأعيدت حصونها للسعوديين. وبعد عامين، قدم ابن طحنون إلى معسكر الإمام فيصل، الذي كان، وقتها، في قطر وقدم الاعتذار إليه عما وقع منه. وبشكل عام، لم يكن الحكم السعودي في البريمي مستقراً، بل كان التمرد يقع بين الفينة والأخرى.

وفي عام ١٢٦٥هـ/ ١٨٤٩م، دخلت مسقط في نزاع مع الرياض، بعد ما رأت ضعف القوة السعودية، إثر اعتداء ابن طحنون. فرفض ثويني، ابن حاكم مسقط، أن يدفع ما كان تعهد به من الزكاة، عام ١٢٦١هـ/١٨٤٥م. وتحالف مع ابن طحنون، حاكم أبو ظبي، في السنة نفسها، واتفقا على مساعدة بعضهما بعضاً، ضد السعوديين.

وفي عام ١٢٦٦هـ/ ١٨٥٠م، قرر ثويني، وابن طحنون، إقناع حمود بن عزان، صاحب صحار، بالدخول معهما في الحلف ضد السعوديين، واحتلال البريمي. ولكنه لم يوافق على الدخول معهم.

وكانت الرياض، في تلك السنوات، تواجه حملة الشريف محمد بن عون، التي غزت القصيم، مما أضعف موقف الإمام فيصل، في نواحي البريمي وعُمان. وبعد زوال خطر الشريف، استأنف الإمام فيصل نشاطه في منطقة الخليج، ففتح قطر، وأخذ الزكاة من حاكم البحرين. ثم توجه جيشه إلى البريمي، لتفقّد المنطقة، والنظر في أمورها، العامة والخاصة، وإصلاح بعض الثغور.

ولما غزا الإمام فيصل، وابنه، عبدالله، بعض القبائل، في المنطقة الشرقية، بعث ابنه، عبدالله، إلى البريمي، في حملة، لتثبيت السيادة السعودية عليها. وكان يرافقه أحمد السديري، حاكم الأحساء. ومما أدى إلى نجاح هذه الحملة، انشغال حاكم عُمان، سعيد بن سلطان، بتهدئة الأوضاع المضطربة في بلاده.

ولقد عامل عبدالله بن فيصل الناس بالرفق، ومنح الرؤساء العطايا والهبات، وأجرى عدة إصلاحات في المنطقة. وحل الخلافات بين القبائل، فأخذت تتنافس في تقديم الطاعة إليه.

ثم جرى الصلح بين ثويني وعبدالله بن فيصل. وكان من شروطه:

أ. أن تدفع مسقط إلى الرياض إتاوة، قدرها ١٢ ألف ريـال، إضافة إلى المبالغ المتأخرة، وقدرها ٦٠ ألف ريـال.

ب. أن يتعهد فيصل بتقديم المساعدة لسلطان مسقط، في حالة الشدة.

ج. أن تبقى حدود الطرفين كما كانت في السابق.

د. أن يتبادل الفريقان التزود بالمؤن والإمدادات، كالعادة.

وفي عام ١٢٦٩هـ/١٨٥٣م، توغلت قوات سعودية، أرسلها عبدالله بن فيصل، بقيادة أحمد السديري، في داخل عُمان، وتنقلت في مناطقها، عبر الجبل الأخضر، وأخذ السديري الإتاوة من زعماء المنطقة.

وبعد ذلك، ثارت القبائل في مسقط، ضد حاكمها ثويني، ورفضت دفع الزكاة إليه، فاستنجد بعبدالله بن فيصل. وبعد أن وقع عبدالله بن فيصل معاهدة تحالف مع ثويني، عام ١٢٧٠هـ/١٨٥٣م، غادر البريمي عائداً إلى الرياض، تاركاً أحمد السديري وكيلاً عليها من قبل السعوديين.

وظل السديري حاكماً للبريمي، حتى عينه الإمام فيصل حاكماً على الأحساء. وخلفه عليها ابنه تركي السديري، عام ١٢٧٣هـ/١٨٥٧م. واستمر حكمه ١٢ سنة، قارب فيها بين القبائل في المنطقة، ووفق في سياسة الناس، ونشر الأمن والطمأنينة بينهم، وقمع كل أعمال السلب والفوضى.

٢- علاقات الإمام فيصل بن تركي بالدولة العثمانية

نظراً إلى ما رآه الإمام فيصل، من قوة الدولة العثمانية، فإنه أظهر استعداداً دائماً للتفاهم معها، **وأعلن التبعية الاسمية لها، وطبق عليه نظام الالتزام العثماني، وهو أن يدفع إلى الدولة مقداراً من المال، دليلاً على التبعية**. ولم يدفع الإمام فيصل المال إلى الدولة العثمانية بشكل مستمر، بل كان الدفع يعتمد على تحصيله الزكاة،

في مناطق نجد والأحساء، ويعتمد على العلاقات السياسية بين الأشراف ونجد، من جهة، ونجد والأتراك، من جهة ثانية. فإذا تأزمت العلاقة، توقفت نجد عن إرسال الخراج المقرر عليها.

وكان في إعلان الإمام تبعيته للدولة العثمانية رادع لبريطانيا من أي محاولة للاعتداء على قواته.

وظلت صلات الدولة السعودية مرتبطة بالأشراف في مكة، فيرسلون الخراج من طريقهم إلى إستانبول. وكان الشريف يأخذ جزية من نجد، باسم الدولة العثمانية.

٣- علاقة الإمام فيصل بن تركي بالأشراف، في الحجاز (سؤال اختبار)

ساءت العلاقة بين الإمام فيصل بن تركي وأشراف الحجاز، بسبب تشجيعهم المتمردين عليه، ولجوء المناوئين له إليهم، وصارت مكة مركزاً للفارين من سلطة الرياض. فقد لجأ إليها خالد بن سعود بعد فشله أمام ثورة عبدالله بن ثنيان. وصاحب خالد بن سعود حملة الشريف محمد بن عون على نجد، في ربيع الثاني ١٢٦٣هـ/ مارس ١٨٤٧م. كما فر إليها أمير بريدة، عبدالعزيز بن محمد آل عُليان، بعد ثورته في القصيم، مرتَين. وكان بعض أهالي القصيم، قد حرضوا الشريف محمد بن عون على غزو نجد، وزينوا له الأمر، وقالوا إن الإمام فيصلاً ضعيف، وعليه أن يعزله، ويعين خالد بن سعود مكانه. فقام بحملته، واحتل القصيم دون مقاومة. والتقت قوات الشريف وقوات فيصل بن تركي، بقيادة ابنه، عبدالله بن فيصل. لكن الأمر حل بشكل سلمي، في مكان يقال له الشمس، على حدود نجد الغربية، كما مر ذكره سابقاً. واتفق الطرفان على أن يدفع الإمام فيصل مبلغاً، قدره عشرون ألف ريـال، إلى شريف مكة، خراجاً سنوياً للسلطان العثماني، الذي اقتطع نجداً، على أن ينسحب بقواته من القصيم.

ولقد توسط شريف مكة، محمد بن عون، في الخلاف بين الإمام فيصل بن تركي وسعيد بن تركي، من آل بو سعيد، وسعيد بن طحنون، صاحب أبو ظبي، في شأن البريمي. وذلك حينما اعتدى سعيد بن طحنون على البريمي، واحتل حصونها من الوكيل السعودي فيها، محمد بن سيف العجاجي، فاتصل الإمام فيصل بالشريف، وأطلعه على الأمر، وطلب منه التدخل. وبناء على هذا، أرسل الشريف مبعوثه، الشريف علي، إلى بوشهر، في الخليج، ليجتمع إلى المعتمد البريطاني، ويعرج على أبو ظبي، ليقنع ابن طحنون بالانسحاب من الحصون التي احتلها.

٤- علاقة فيصل بن تركي بالخديوية، في مصر

في السنوات الأخيرة من حكم الإمام فيصل بن تركي، كانت العلاقة بينه وبين خديوي مصر، حسنة بشكل عام. ولم يحدث ما يعكر صفوها، لأن الخديوية في مصر، صارت تبعيتها للدولة العثمانية، اسمية. وكانت تتم من طريق مصر، عمليات تبادل الرسائل والمحادثات، وإرسال الجنود لقمع حركات التمرد في شبه جزيرة العرب. ومما يؤكد صداقة نجد، والقاهرة، ما جاء في رسالة من الخديوي إسماعيل باشا، إلى فيصل بن تركي، عبّر فيها عن استمرار المودة والصداقة بينهما.

وكانت هذه الرسالة رداً على رسالة، بعث بها الإمام فيصل بن تركي إلى الخديوي، في ١٢ ذي الحجة عام ١٢٧٩هـ/ مايو ١٨٦٣م، تبين ثبات فيصل على صداقته ومودته للخديوية. كما تبودلت الهدايا بين الحاكمَين.

وقد أرادت الخديوية، والدولة العثمانية، الاستعانة بالإمام فيصل بن تركي، ضد ثورة عسير، عام ١٢٨٠هـ/١٨٦٣م. وأرسل الخديوي إلى فيصل كتاباً، ذكر فيه، "أنه لا يخفى على حضرتكم ما حل بجهة اليمن،

من تمرد بعض الأشقياء ... وأن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح. وتلك الجهة، وإن تكن تحت حكومة هذا الطرف (يعني الخديوية)، لكن بالنظر إلى صلة الارتباط بالدولة العلية، يجب الاجتهاد، من كل طرف، بقدر ما يمكن، في تأديب من تعدى ... والمهم الضروري، سيرسل من هذا الطرف مأمور مخصوص، وعساكر تقمع الفتنة ... ومن القديم، مؤكد ومثبوت انتساب حضرتكم لمحبة الجهة المصرية، والقيام بقضاء ما يلزم من الأشغال ... وغاية المأمول، أن ما يلزم العساكر المرسلة من هذا الطرف، من المساعدات، من جهة جنابكم، سواء كان في تسهيل أمورهم، أو قضاء لوازمهم ـ يسير إجراؤه بوقته، وما يبرز من هممكم في هذا المقصد المستحسن ... ". ولكن الإمام اعتذر، لقلة إمكانياته، ولأنه كان على علاقة طيبة بزعماء منطقة عسير، من آل عايض.

٥. علاقة الإمام فيصل ببريطانيا

وقفت بريطانيا ضد التوسع السعودي، في الخليج وجهات عُمان، نظراً إلى تهديد ذلك التوسع لمصالحها.

ولقد امتنعت بريطانيا عن مساعدة المعارضين للإمام فيصل، في البريمي وما حولها، في بداية عهده. وأرسل الإمام رسالة، عبّر فيها عن أمله في إقامة علاقات طيبة ببريطانيا، كما كان الحال في زمن أبيه، الإمام تركي بن عبدالله. وحينما توغلت القوات السعودية في جهات عُمان، وأصبحت تهدد مدينتي مسقط وصحار، نصحت بريطانيا حاكمَي المدينيتَين، أن يدفعا إلى القائد السعودي ما أراده من أموال. لكنها وقفت ضد أي محاولة سعودية للاستيلاء على المدينتَين.

وكان موقف بريطانيا، بالنسبة إلى الصراع بين الإمام فيصل وآل خليفة، مشابهاً لموقفها إزاء عُمان. فلم تشجع حاكم البحرين على عدم دفع الزكاة إلى الإمام، لكنها وقفت ضد أي محاولة غزو سعودي للبحرين، بل هاجمت أراضي الإمام فيصل، لعدم تخليه عن إيواء خصوم حاكم البحرين.

==========

المحاضرة الثانية عشر

عنوان المحاضرة

نهاية الدولة السعودية الثانية

النزاع علي الحكم-آل رشيد -نهاية الدولة

نهاية الدولة السعودية الثانية

النزاع علي الحكم-آل رشيد -نهاية الدولة

١-النزاع في الحكم، بين أبناء الإمام فيصل (سؤال اختبار)

بلغ الإمام فيصل بن تركي السبعين من عمره، وفقد بصره، فوكل أمور الدولة إلى ابنه الأكبر، وليّ عهده، عبدالله. وبقيت له الإمامة. وتوفي في الرياض، في رجب عام ١٢٨٢هـ / نوفمبر ١٨٦٥م، مخلفاً أربعة من الأبناء، هم عبدالله وسعود ومحمد وعبدالرحمن.

بويع عبدالله بن فيصل بالإمامة، بعد وفاة أبيه. وبايعه أخوه، سعود، وكذلك كثير من علماء الدين، وأهل الحاضرة، لما كان له من خبرات، عسكرية وإدارية، اكتسبها في عهد والده، ومما كلفه به من مهام وحملات عسكرية. ولكن سرعان ما بدأ الصراع بين الإمام عبدالله بن فيصل وأخيه، سعود بن فيصل، لتبدأ حرب أهلية، استمرت عشر سنوات. فبعد عام من تولي عبدالله، خرج عليه سعود ونازعه الحكم. وهناك عدة روايات لخروج سعود:

منها ما روي عن اضطهاد عبدالله أخاه سعوداً، ومنعه الناس من الاتصال به، مما دفعه إلى النقمة.

وهناك من يرى أن فترة تولي سعود إمارة الخرج، التي كانت طويلة نسبياً، ونجاحه في إدارتها، جعلته يعتاد حياة معينة، تفرض عليه التزامات، ربما صعب على أخيه، عبدالله، توفيرها له.

ومنها ما يقول، إن سعوداً أضمر الحقد على أخيه، بعد عزله عن إمارة الخرج، في أواخر عهد أبيه. وكان سعود يظن أن أخاه، عبدالله، وراء قرار عزله.

وعلى العموم، فإن الطموح إلى السلطة، كان أهم عامل في خروج سعود على طاعة أخيه.

وأعلن سعود بن فيصل العصيان على أخيه، وتوجه إلى عسير، يطلب المساعدة من أميرها، محمد بن عايض بن مرعي، الذي كان من المؤيدين للدعوة الإصلاحية في نجد، ومن المتعاطفين مع الحكم السعودي. وأرسل الإمام عبدالله بن فيصل وفداً إلى أخيه، في أبها، لعله يرده عن تمرده، ويثنيه عن شق عصا الطاعة عليه. وطلب الوفد، وابن مرعي، من سعود، أن يعود إلى أخيه، ويترك الشقاق. ولكن كل محاولاتهم فشلت.

وإذ لم يجد سعود من أمير عسير العون والتأييد، توجه إلى نجران. فرحب به رئيسها، المسمى السيد. وكانت نجران، منذ عهد الدولة السعودية الأولى، تغذي الحركات المناوئة للنفوذ السعودي. ويرجع السبب الرئيسي لذلك إلى الاختلاف المذهبي، إذ تعتنق قبائل يام، وهم أهل نجران، المذهب الإسماعيلي. وكان في مصلحة رئيس نجران، أن يدب الشقاق والانقسام في البيت السعودي، فقدم النصرة والتأييد لسعود بن فيصل، فاجتمعت له حشود كبيرة من قبائل يام، وأمده رئيس نجران بالمال، وأرسل معه اثنين من أولاده.

ووفد على سعود، وهو هناك، زعماء من قبائل العجمان وآل مرة وآل شامر. وتجمعت قوة حمسته للمسير نحو نجد، لمحاربة الإمام عبدالله بن فيصل. وكتب إليه مبارك بن روية، رئيس السليل، يطلب منه القدوم إليه، واعداً إياه بالنصرة والعون. وسار بهذه القوة إلى وادي الدواسر، وقدموا على رئيس السليل، فانضمت إليه هناك جموع كثيرة، انطلق بها إلى الرياض.

وقام الإمام عبدالله، الذي كانت تصله الأخبار عن تحركات أخيه، وأعد جيشه، واستنفر قواته، ووضع على رأسها أخاه، محمد بن فيصل. وتقابل الجيشان في مكان، بالقرب من وادي الدواسر، يقال له المُعْتَلَى. ودار القتال بين الأخوَين، فلحقت الهزيمة بسعود وقواته، وجرح هو في المعركة، ولحق بيديه عطب شديد. وقتل فيها ابنا رئيس نجران، وكثير من أتباعه. وعاد محمد بن فيصل بجيشه إلى الرياض، وذلك عام ١٢٨٣هـ/ ١٨٦٦م.

وسار سعود، بعد معركة المُعْتَلَى، إلى آل مرة، في جهة الأحساء، وأقام عندهم، حتى برئت جراحه. ومن هناك، قصد جهات عُمان، آملاً أن يجد من يساعده ضد أخيه. وهناك، آواه أمير تلك المنطقة، تركى بن أحمد السديري.

ونكل الإمام عبدالله بن فيصل بمن تعاون مع أخيه سعود. فأرسل عمه، عبدالله بن تركي بن عبدالله، عام ١٢٨٤هـ/ ١٨٦٧م، في سرية من أهل الرياض والوشم وسدير، إلى الأحساء، وهاجم بادية العجمان، المتواطئين مع سعود، وأحرق بيوتهم في الرقيقة، وسجن من قبض عليه منهم. واستدعى أمير الأحساء، محمد بن أحمد السديري إلى الرياض، وعزله عن الإمارة، بسبب حماية أخيه تركي بن أحمد، أمير جهات عُمان، لسعود بن فيصل، وعين بدلاً منه ناصر بن جبر الخالدي. وكان محمد أحمد السديري هذا محبوباً لدى أهل المنطقة، مما أضعف مركز الإمام عبدالله، هناك.

وبقي الدور على وادي الدواسر، فسار إليهم الإمام عبدالله بن فيصل بنفسه، في محرم عام ١٢٨٥هـ/أبريل ١٨٦٨م. وأقام هناك شهرين، وأخذ من أهل وادي الدواسر أموالاً كثيرة، وقطع نخيلهم، وهدم بيوتهم، نكالاً بهم، لمساندتهم سعوداً.

وفي عام ١٢٨٦هـ/١٨٦٩م، سار الإمام عبدالله بن فيصل بقواته إلى الأحساء. ونزل على ماء دعيلج، المعروف هناك، وأقام أربعة أشهر. وفي ذي القعدة من العام نفسه، بعث سرية إلى قطر، مع مساعد الظفيري والعسوس، وأمرها بالبقاء هناك. وسرية أخرى إلى الأحساء، وأمرها بالبقاء فيها، إلى جانب أميرها ناصر بن جبر الخالدي. وهاجم الصهبة، من قبيلة مطير، وهم على الوفراء، فأخذهم

ومكث سعود بجهات عُمان، حتى اغتيل أميرها، تركي بن أحمد السديري، عام ١٢٨٥هـ/١٨٦٨م، فلجأ إلى عزّان بن قيس، العدو اللدود للإمام عبدالله بن فيصل، في تلك الجهات.

وكانت بريطانيا، صاحبة النفوذ هناك، تكره الإمام عبدالله، وتتعاطف مع سعود. فرتبت مع أمير البحرين، أن يجعل من بلاده مركزاً لنشاط سعود. فتوجه إليها، ورحّب به أميرها، عيسى بن خليفة، عام ١٢٨٧هـ/١٨٧٠م. واتصل سعود بن فيصل بالقبائل، التي تبدي النصرة له، في شرقي شبه الجزيرة العربية، مثل العجمان وآل مرة. وانضم إليه، أيضاً، محمد بن عبدالله بن ثنيان آل سعود.

وهاجم سعود، منطلقاً من البحرين، مع أتباعه، المناطق التابعة لأخيه، عبدالله، في قطر. وكان عبدالله قد بعث سرية مساعد الظفيري والعسوس، فتمكنت من صد هجوم سعود، وقتل محمد بن عبدالله بن ثنيان. وعاد سعود بأنصاره من حيث جاءوا.

وعاود سعود استجماع قواه، وانطلق، أيضاً، من مركزه في البحرين، وهاجم العقير، في رجب ١٢٨٧هـ/أكتوبر ١٨٧٠م، واستولى عليها. ومنها توجه إلى الهفوف، وانضم إليه زعماء العجمان، بعد أن تخلوا عن أمير الهفوف، فانهزم أمام قوات سعود، التي ضربت عليها الحصار أربعين يوماً.

وإزاء هذا الموقف، أمر الإمام عبدالله جيشه بالتحرك من الرياض، وعلى رأسه محمد بن فيصل، ليقاوم سعود وأتباعه. وحينما علم هذا الأخير بتحرك الجيش نحوه، رفع الحصار عن الهفوف، وتحرك بجموعه، من العجمان وآل مرة وغيرهم، لملاقاة جيش أخيه، محمد. فالتقى الطرفان عند ماء جودة، في الأحساء، حيث دارت بينهما معركة، في ٢٧ رمضان عام ١٢٨٧هـ/ديسمبر ١٨٧٠م. وفي أثناء المعركة، انقلبت فئات من قبيلة سبيع، على جيش محمد بن فيصل، وانضموا إلى جانب قوات سعود، بعد جهود بذلها زعيم العجمان، راكان بن

حثلين، مع زعيم سبيع. فانقلب الوضع في مصلحة سعود. فانتصر على قوات أخيه، محمد بن فيصل، وتمكن من أسره، وأرسله إلى القطيف، حيث سجنه. وقدمت عليه، عند جودة، وفود أهل الأحساء، للمبايعة. ثم سار إلى الأحساء، واستولى عليها. وهنا، تكون المنطقة الشرقية خارج سيطرة الإمام عبدالله بن فيصل.

وحينما بلغ الإمام عبدالله بن فيصل، ما وقع لجيشه، وأسر أخيه، محمد، قرر الخروج من الرياض. فجمع ثروته وخيله وحاشيته، وتوجه إلى جبل شمر، ومعه عبدالعزيز بن عبدالله أبا بطين. ولم يجد، وهو في طريقه أي دعم من أمير عنيزة، زامل السليم، الذي رأى أن من المصلحة عدم الانحياز إلى أي من الأخوَين.

وبدأ عبدالله بن فيصل يستنجد بوالي بغداد العثماني، مدحت باشا، الذي كان يسعى، بدوره، إلى بسط نفوذ الدولة العثمانية على الخليج، ومناوأة بريطانيا فيه.

فأرسل عبدالله بن فيصل مبعوثه، عبدالعزيز أبا بطين، إلى بغداد، بهدايا ورسائل. وكذلك إلى والي البصرة. وقابل مدحت باشا مبعوث الإمام عبدالله بن فيصل، وأبدى الاستعداد لنجدته ضد أخيه، سعود. وتريث المبعوث في العودة، لمرافقة العساكر العثمانية، التي ستنطلق إلى الأحساء.

وفي شوال ١٢٨٧هـ/ يناير ١٨٧١م، قدم زعيم قبيلة قحطان، محمد بن هادي بن قرملة، ومعه رؤساء قحطان، على سعود بن فيصل، في الأحساء. ولكنه لم يظهر لهم الاهتمام والتكريم، الذي يليق بهم. فقرر ابن قرملة الانحياز إلى عبدالله بن فيصل. وقدم عليه في (البعيثة)، وعاهدوه على السمع والطاعة، وشجعوه على العودة إلى الرياض. فعاد معهم إليها، في ذي القعدة ١٢٨٧هـ/١٨٧١م.

وفي محرم ١٢٨٨هـ/ مارس ١٨٧١م، بدأ سعود بن فيصل بالزحف من الأحساء نحو الرياض. وحينما علم عبدالله بن فيصل باقترابه، غادر العاصمة، متوجهاً إلى بوادي أعوانه، من قحطان، طلباً للحماية. ودخل سعود بن فيصل الرياض، في عام ١٢٨٨هـ/١٨٧١م، بعد تنكيل أتباعه بسكانها. وعاثوا فيها فساداً، وكثر الهرج والمرج في منطقة العارض. وكتب إلى رؤساء البلدان، فقدمت عليه وفود من مناطق نجد، تعلن له البيعة والطاعة. وأمرهم بالتجهز لمحاربة أخيه.

تحرك سعود من الرياض، في ربيع الأول ١٢٨٨هـ/ مايو١٨٧١م، نحو قحطان، وعندهم عبدالله بن فيصل، في الأنجل، ثم انتقلوا إلى البرة، بالقرب من ضرما، حيث التقت قوات سعود وحلفائه عبدالله بن فيصل وأتباعه من قحطان، في قتال شديد، في السابع من جمادى الأولى من السنة عينها، ودارت الدائرة فيه على عبدالله ومن معه، فانصرف إلى بلدة الرويضة. وقفل سعود راجعاً إلى الرياض.

في الوقت الذي استعر فيه أوار الحرب الأهلية، بين ابنَي فيصل بن تركي، كان مدحت باشا، يرسل جيشاً تركياً، يقوده نافذ باشا، من بغداد، يزحف نحو الأحساء، في ربيع الأول عام ١٢٨٨هـ/ مايو١٨٧١م. ورافقت هذا الجيش قوة من الكويت، يرأسها عبدالله بن صباح، وأخوه، مبارك، ومبعوث عبدالله بن فيصل عبدالعزيز أبا بطين. وهاجموا مراكز سعود بن فيصل، في الأحساء والقطيف. وأفرج نافذ باشا عن محمد بن فيصل من معتقله، وأعلن القائد التركي، أنه جاء لنصرة عبدالله بن فيصل، وطلب من عبدالله القدوم إليه، من محله في رويضة العرض، قرب القويعية. فأجابه إلى طلبه. وأقام عبدالله بن فيصل في كنف العثمانيين، مكرماً. وكانوا يظهرون له خلاف ما يبطنون.

أما في العاصمة، فقد ثار أهل الرياض، يتزعمهم عبدالله بن تركي بن عبدالله، ضد ابن أخيه، سعود بن فيصل، وحاصروه في القصر، واضطروه إلى الخروج منها، والتوجه إلى الدلم. وتولى عبدالله بن تركي الأمور

في الرياض. وسار سعود، في آخر جمادى الأولى عام ١٢٨٨هـ/ يوليه ١٨٧١م، من الدلم إلى الأحساء، حيث رغبه أتباعه، من العجمان وآل مرة، في الاستيلاء على الأحساء والقطيف، من يد عساكر الترك. فخرجت عليهم هذه العساكر، ومعهم عبدالله بن فيصل، فالتقى الفريقان في الخويرة واقتتلوا قتالاً شديداً، انتهى إلى هزيمة سعود بن فيصل وأتباعه.

ولجأ سعود إلى الطرق السلمية. فأرسل أخاه، عبدالرحمن بن فيصل، إلى بغداد، يطلب التفاوض مع واليها، مدحت باشا.ولكن سعوداً، لم يجد من الوالي رغبة في التفاوض، بل أبقى عبدالرحمن بن فيصل رهينة عنده.

وفي هذه الأثناء، وصلت إلى ميناء العقير قوات تركية غفيرة، يتقدمها الوالي مدحت باشا. وبلغ عبدالله بن فيصل، الموجود مع نافذ باشا، في الأحساء أن مدحت باشا، ينوي القبض عليه، وترحيله إلى بغداد. فدبر حيلة، هرب بها من المنطقة الشرقية، مع أخيه، محمد، وابنه تركي بن عبدالله. وهذه الحيلة تتلخص في أن عبدالله بن فيصل، حضر إلى نافذ باشا، وطلب منه أن يأذن له في الخروج، بعد العصر، إلى "عين نجم"، المعروفة هناك، للاغتسال، والتنزه. فأذن له في ذلك. فلما خرج من عند الباشا، أمر خادمه أن يجهز خمس ركائب، ويأخذ معه رفيقاً من العجمان وآخر من آل مرة، وواعده جبل أبو غنيمة. ففعل الخادم ما أمره به. ولما كان بعد العصر من ذلك اليوم، خرج عبدالله بن فيصل، وابنه، تركي، وأخوه، محمد بن فيصل، على خيلهم،وخرج معهم ثلاثة من عسكر الترك على خيلهم، للحراسة. وبوصولهم إلى الصفياء، أخذوا يتطاردون بالخيل ويلعبون. ولما قرب غروب الشمس، هرب عبدالله وابنه وأخوه، فتبعهم الحراس الثلاثة ولكنهم لم يلحقوا بهم، فعادوا إلى البلد. ووصل الفارون إلى جبل أبو غنيمة، فوجدوا الركائب معدة لرحيلهم، فركبوها قاصدين الرياض.

ووصل الإمام إلى الرياض، التي يسيطر عليها عمه، عبدالله بن تركي، فسلمه مقاليد الأمور، وكان ذلك في عام ١٢٨٩هـ/١٨٧٢م.

وعاد عبدالله بن فيصل إلى عاصمة البلاد. ولكن أخاه، سعوداً، لا يزال يتربص به. فقد انطلق مع حلفائه، من قبيلة العجمان ـ حيث أقام عندهم، بعد موقعة الخويرة ـ وقصدوا الأفلاج، في شوال عام ١٢٨٩هـ/ ديسمبر ١٨٧٢م. وانضمت إليه فئات، يقودها الهزاني وآل حسين، من أهل الحوطة، جنوبي نجد. فجهز عبدالله بن فيصل جيشاً من أهل الرياض وضرما، يقوده أخوه، محمد بن فيصل، وعمه، عبدالله بن تركي. وانطلقوا إلى الدلم. وهناك، تمكن سعود بن فيصل، ومعه العجمان والدواسر وأهل جنوب نجد، من محاصرة ذلك الجيش فيها، وخذل سكان الدلم محمد بن فيصل، وفتحوا أبواب البلدة لسعود. فهرب محمد بن فيصل إلى الرياض، وقبض سعود على عمه، عبدالله بن تركي، وسجنه حتى مات، بعد أيام قليلة.

وواصل سعود، وأعوانه، الزحف، من الدلم إلى ضرما، ثم حريملاء، واستولى عليهما، بعد معارك شديدة، في محرم ١٢٩٠هـ/ مارس ١٨٧٣م. ومن هناك، قصد الرياض، وتقابل مع أخيه، عبدالله، وأهل الرياض، في الجزعة، جنوبي منفوحة ـ ولحقت الهزيمة بعبدالله وجنوده، ودخل الرياض، للمرة الثانية، وبايعه أهلها، وقدمت عليه الوفود للمبايعة، بينما هرب عبدالله، مع أعوانه من قحطان، إلى الصبيحية، القريبة من الكويت.

وفي ربيع الثاني عام ١٢٩٠هـ/ يونيه ١٨٧٣م، خرج سعود بن فيصل بجيوشه من الرياض، قاصداً تأديب مسلط بن ربيعان، زعيم عتيبة. فصبحهم على ماء طلال، في عالية نجد، وجرى قتال شديد، دارت فيه الدائرة على سعود، وقتل كثير من أتباعه.

وفي رمضان عام ١٢٩١هـ/١٨٧٤م، استطاع عبدالرحمن بن فيصل مغادرة العراق، ومعه فهد بن صنيتان آل سعود، ووصلا إلى البحرين. ويشير بعض المصادر إلى أن خروجه من العراق، قد تم نتيجة لمساع بريطانية، لدى السلطات العثمانية.

واتجه عبدالرحمن بن فيصل إلى البحرين، ومنها إلى العقير. وجمع مؤيدين له، وزحف بهم إلى الهفوف، فدخلها بعد أن تعاون معه أهلها، وحاصروا الحامية التركية هناك. ووصلت تعزيزات عثمانية، من العراق، بقيادة ناصر بن راشد بن ثامر بن سعدون، رئيس قبيلة المنتفق، الذي وعد بإمارة الأحساء والقطيف. وهزمت هذه القوات عبدالرحمن بن فيصل، فترك الأحساء، وتوجه إلى الرياض، وكان ذلك في أواخر ذي القعدة ١٢٩١هـ/يناير ١٨٧٥م.

ولما وصل عبدالرحمن إلى الرياض، كان أخوه، سعود بن فيصل، غازياً. وأصابه المرض، وهو في حريملاء، في ذي القعدة ١٢٩١هـ/ ديسمبر١٨٧٤م. وتوفي في مرضه ذاك، في ١٨ من ذي الحجة ١٢٩١هـ/ ٢٧ يناير ١٨٧٥م. فحل عبدالرحمن بن فيصل محله في الحكم.

وهنا، تشجع عبدالله بن فيصل ـ الذي يقيم مع أخيه، محمد، في بادية عتيبة ـ على العودة إلى الرياض، والاستيلاء على الحكم. فبعث أخاه، محمداً، ومعه جموع من قبيلة عتيبة، ليستولي على شقراء، في الوشم. وتقدم أخوه عبدالرحمن من الرياض إلى ثرمداء، بقواته من أهل الرياض والخرج، وجنوبي نجد والعجمان ومطير، وسبيع، وأبناء أخيه سعود بن فيصل. وتمكن من هزيمة أخيه، محمد. وانطلق، بعدها، عبدالرحمن إلى الدوادمي، حيث واجهه مسلط بن ربيعان ومحمد بن هندي بن حميد وهذال بن فهيد الشيباني، رؤساء عتيبة ـ حلفاء عبدالله بن فيصل ـ فوقع قتال شديد بين الفريقين، هزم فيه عبدالرحمن بن فيصل، وعاد إلى الرياض، وكان ذلك في عام ١٢٩٢هـ/ ١٨٧٥م.

وفي العام التالي، نشب نزاع، في الرياض، بين عبدالرحمن بن فيصل وأبناء أخيه سعود بن فيصل، بسبب مقتل أحد أفراد الأسرة المقربين لعبدالرحمن، ألا وهو فهد بن صنيتان آل سعود، الذي رافقه في رحلته إلى بغداد، والذي قتله محمد بن سعود بن فيصل، في أواخر عام ١٢٩٢هـ/ ديسمبر١٨٧٥م. وصح عزم عبدالله بن فيصل، المقيم في بادية عتيبة، فاتجه إلى الرياض، بحشود من تلك القبيلة الحليفة له. كان لتضعضع الوضع الداخلي في العاصمة، وللجهود التي بذلها الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن آل الشيخ، أثر كبير في إقناع عبدالرحمن بالتنازل عن الإمامة، لأخيه، عبدالله. وبذلك، استعاد عبدالله بن فيصل الحكم، وخرج أبناء سعود بن فيصل، منها وقصدوا الدلم. وكان نفوذ الإمام عبدالله محدوداً، في منطقة العارض وما جاورها، بعد أن فقد السيطرة على الأحساء وبعض مناطق نجد.

٢ـ منافسة آل رشيد للحكم السعودي

كانت إمارة جبل شمر تحت حكم آل رشيد، منذ أن عين الإمام فيصل بن تركي صديقه، ومعاونه، عبدالله بن علي بن رشيد. وقد تمكن عبدالله بن رشيد من ترسيخ قواعد نفوذه في المنطقة، حتى توفي عام ١٢٦٣هـ/١٨٤٧م.

وقد تولى، من بعده، ابنه، طلال بن عبدالله، الذي وسع حدود إمارة الجبل كثيراً. وكانت علاقته بالإمام فيصل بن تركي، علاقة جيدة جداً. ولم يطل به العمر، فقد انتحر في عام ١٢٨٢هـ/ ١٨٦٥م.

وجاء أخوه، متعب بن عبدالله بن علي بن رشيد، ليمسك الأمور، من بعده. وحدث خلاف داخلي بينه وبين ابنيَ أخيه، بندر بن طلال وبدر بن طلال، اللذّين تخلصا منه، بموافقة من عمه، عبيد بن علي بن رشيد. وتولى الإمارة بندر بن طلال الرشيد.

وهنا، استشاط غضباً الابن الثالث لعبدالله بن رشيد، وهو محمد، الذي كان وافداً على الإمام عبدالله بن فيصل، في الرياض. وكانت أخته زوجة للإمام عبدالله بن فيصل، ووالدة ابنه الوحيد، تركي. وأراد التحرك إلى حائل، لانتزاع الإمارة من ابن أخيه. ولكن قبل انطلاقه إليها، وفد بندر بن طلال على الإمام عبدالله، الذي أصلح بينهما، وبقيت الإمارة بيد بندر بن طلال.

ولكن محمد بن عبدالله بن رشيد، كان يضمر التخلص من ابن أخيه، فقتله عام ١٢٨٩هـ/١٨٧٢م. وتخلص، في تلك الواقعة، من أبناء أخيه، إلا واحداً، يدعى نايفاً، كان صغيراً.

كان تولي محمد بن عبدالله بن رشيد موافقاً لاشتداد الحرب الأهلية، بين أبناء الإمام فيصل بن تركي. ولهذا، رأى أن الوقت مناسب ليحقق طموحه إلى الاستيلاء على حكم نجد

٣- نهاية الدولة السعودية الثانية

كانت بداية النزاع بين الإمام عبدالله بن فيصل وأمير جبل شمر، محمد بن عبدالله بن رشيد، عام ١٢٩٣هـ/١٨٧٦م، حينما زين أمير عُنيزة، زامل بن سُلَيْم، للإمام عبدالله، الوقوف مع آل عُليان، الحكام السابقين لبريدة، ضد خصومهم، آل مهنا، من أبي الخيل، أمراء البلدة، آنذاك.

فسار الإمام عبدالله إلى عنيزة، محاولاً الهجوم على بريدة، ومعه آل عليان، وزامل بن سليم، وقبيلة عتيبة. ولكن القسم الأكبر من هذه القبيلة، تأخر في المجيء إليه.

وكان حسن بن مهنا، أمير بريدة، قد اتصل بأمير الجبل، محمد بن رشيد، لينجده. وكانت تلك فرصة مواتية لابن رشيد، لتحقيق طموحه إلى حكم نجد. فلبى طلب ابن مهنا، وساق حشوده، من قبائل حرب، وشمر، وهتيم، وبني عبدالله، وتوجه بهم إلى بريدة، ونزل بها. ولكن الإمام عبدالله بن فيصل، تراجع عن فكرة الهجوم على بريدة، بسبب تأخر زعيم عتيبة، تركي بن حميد، وقومه، ولعلم الإمام بتحرك محمد بن رشيد نحوه، لنجدة ابن مهنا.

وبعد بذل الجهود، انسحب الإمام عبدالله بن فيصل، من عنيزة. وانسحب محمد بن رشيد، من بريدة، وعاد كل منهما إلى عاصمته.

وتوثق الحلف بين أمير جبل شمر، محمد بن عبدالله بن رشيد، وأمير بريدة، حسن بن مهنا أبا الخيل، وأخذا يهاجمان المناطق النجدية، التابعة، رسمياً، للإمام عبدالله، في الوشم وغيرها، ويشنان الغارات على القبائل الموالية له.

وحقق محمد بن رشيد نجاحاً، جعل أهل المجمعة يتحالفون معه. وفي عام ١٢٩٩هـ/١٨٨٢م، جهز الإمام عبدالله بن فيصل جيشاً، لمحاربة أهل المجمعة، لخروجهم عن طاعته. وسار ومعه أهل العارض والمحمل وسدير والوشم وقبيلة عتيبة، متوجهاً إلى المجمعة، فحاصرها. فكتب أهلها إلى ابن رشيد، يستحثونه لنجدتهم. واستنفر أمير الجبل، محمد بن رشيد، قواته، ومعه بادية شمر وحرب وبنو عبدالله، وفي الطريق، انضم إليه أهل القصيم، بقيادة أمير بريدة، حسن بن مهنا. وعند وصول ابن رشيد إلى الزلفي، اضطر الإمام عبدالله إلى فك الحصار، عن المجمعة، الذي دام أربعين يوماً، وانهزم عنه بعض أتباعه من عتيبة، وعاد أدراجه إلى الرياض. وارتحل ابن رشيد من الزلفي، ونزل المجمعة، وعين سليمان بن سامي، من أهل حائل، أميراً عليها.

وفي عام ١٣٠١هـ/ ١٨٨٤م، جرت وقعة مشهورة بين قبيلة عتيبة، ومعها محمد بن سعود بن فيصل وبين أمير الجبل، محمد بن عبدالله بن رشيد، ومعه حليفه أمير بريدة، حسن بن مهنا، على ماء عروي، ولحقت الهزيمة بعتيبة.

وتكرر الموقف ذاك، في ربيع الأول عام ١٣٠١هـ/ يناير١٨٨٤م، حينما خرج الإمام عبدالله، ومعه أهل بلدان نجد وبوادي عتيبة، وتوجه إلى المجمعة، ليقاتل أهلها. ولما وصلها، ضرب عليها الحصار، فكتب أهلها إلى ابن رشيد، يستحثونه لنجدتهم. واستنفر أمير الجبل، محمد بن رشيد قواته، من بادية وحاضرة. وفي الطريق، انضم إليه أمير بريدة، حسن بن مهنا، بمن معه من الجنود. والتقى الطرفان في الروضة المسماة "أم العصافير"، بالقرب من المجمعة، حيث دارت معركة، انتهت بانتصار ابن رشيد وأتباعه انتصاراً عظيماً. وقتل فيها كثيرٌ من أتباع الإمام عبدالله بن فيصل، ومنهم تركي بن عبدالله بن تركي بن محمد بن سعود.

وأدى هذا الانتصار إلى زيادة أطماع ابن رشيد في الاستيلاء على نجد. وصار مركزه قوياً، في إقليمَي سدير والوشم، فقدم إليه زعماء البلدان، وأمّر على كل بلد أميراً من قبله.

ولجأ الإمام عبدالله بن فيصل، بعد هزيمته في أم العصافير، إلى أسلوب التفاوض مع القوة الجديدة، المنافسة له في نجد. فأرسل أخاه، محمد بن فيصل، إلى محمد بن رشيد، ليفاوضه، في شوال عام ١٣٠١هـ، فأحسن وفادته، واتفقا على أن يترك ابن رشيد ما في يده من بلدان سدير والوشم، عدا المجمعة. وكان في هذا التنازل من ابن رشيد إرضاء للإمام عبدالله بن فيصل. وقد عزل الإمام عبدالله بعض أمراء تلك البلدان، وأبقى بعضهم، مما أثار الخلاف والشقاق.

وكان أبناء سعود بن فيصل يقومون، من جانبهم، بعمليات غزو، ضد بعض القبائل، منطلقين من مركزهم في الدلم. وحققوا في بعض هذه الغزوات نجاحاً، شجعهم على دخول الرياض، والقبض على عمهم، الإمام عبدالله، والاستيلاء على مقاليد الأمور، في أواخر محرم ١٣٠٤هـ/ أكتوبر ١٨٨٦م.

وهنا، تذرع محمد بن رشيد بالدفاع عن الإمام الشرعي، الذي هو، في الوقت نفسه، زوج شقيقته. ولما اقترب من الرياض، خرج إليه رهط من زعمائها، ليتفاوضوا معه، حقناً للدماء. وتصالحوا مع ابن رشيد على أن يخرج أبناء سعود بن فيصل منها، ويقصدوا مركزهم السابق، في الخرج. وبذلك، دخل الرياض دونما قتال. وأفرج عن الإمام عبدالله، وعين على الرياض أميراً من قبله، هو سالم بن سبهان. وعاد ابن رشيد إلى حائل، ومعه الإمام عبدالله بن فيصل، وأخوه، عبدالرحمن بن فيصل.

وبهذا، صارت العاصمة السعودية تحت سيطرة أمير الجبل، محمد بن عبدالله بن رشيد.

ولكن سالم بن سبهان حاكم الرياض الجديد، كان يتوجس خيفة من أنشطة أبناء سعود، في الخرج. فخرج إليهم، في ذي الحجة عام ١٣٠٤هـ/ أغسطس ١٨٨٧م، وفاجأهم، في الدلم، وقتل ثلاثة منهم، هم محمد وسعد وعبدالله. وأما رابعهم، عبدالعزيز، فقد سافر إلى حائل، قبل أيام من هذه الوقعة، فاستبقاه محمد بن رشيد عنده.

وقد أثار عمل سالم بن سبهان هذا الأسرة السعودية ضده، كما غضب منه محمد بن رشيد، وعزله عن إمارة الرياض، وعين بدلاً منه فهّاد بن رخيّص.

ولقد حقق قتل ابن سبهان أبناء سعود بن فيصل، الاطمئنان لابن رشيد، وأزال عنه خطر منازعتهم.

وساءت العلاقة بين أمير بريدة، حسن بن مهنا، وأمير حائل، ابن رشيد، على الرغم من صلة المصاهرة التي بينهما؛ لأن ابن رشيد أصبح في غنى عن دعم منه، في السيطرة على نجد، ولأن بريدة وقوتها، تشكل عائقاً أمام استكمال سيطرته على الأقاليم النجدية.

ولما حاول محمد بن رشيد، عام ١٣٠٦هـ/ ١٨٨٨م، أخذ الزكاة من منطقة تابعة لأمير بريدة، تفجر الخلاف بينهما، واتجه ابن مهنا إلى التحالف مع أمير عنيزة، زامل بن سليم.

وسمح ابن رشيد لعبدالله بن فيصل بالعودة إلى الرياض، نظراً إلى تدهور صحته وشيخوخته، وصحبه أخوه، عبدالرحمن بن فيصل. وبعد يومين من وصوله إليها، توفي في الثامن من ربيع الثاني عام ١٣٠٧هـ/ ديسمبر ١٨٨٩م.

وعادت إلى ابن رشيد مخاوفه من استعادة آل سعود للحكم، على يد عبدالرحمن بن فيصل. فأرسل سالم بن سبهان، ثانية، ليرأس الحامية في الرياض. وأحس عبدالرحمن أن في عودة ابن سبهان مؤامرة عليه، فأراد أن يتخلص منه. وكان حسن بن مهنا، قد كتب عبدالرحمن، يحرضه على ذلك.

وأعد عبدالرحمن بن فيصل حيلة، يوم عيد الفطر، حينما جاء ابن سبهان، مع أتباعه، إلى قصر ابن سعود، للزيارة في مناسبة العيد، وجلس إلى يمين الإمام عبدالرحمن. وبعد انتهاء المجاملات أشار الإمام، من طرف خفي، إلى أعوانه بتنفيذ الخطة، التي رسمها للقضاء على ابن سبهان. فأقبلوا بسيوفهم طعناً في أتباع ابن سبهان، وقتلوا عدداً منهم وفر الباقي. وقد أصيب ابن سبهان بجراح، وقبض عليه، وأودع السجن. وسرت البشرى في أنحاء الرياض، بأن الإمام عبدالرحمن استعاد الحكم فيها.

ولما وصل خبر هذه الواقعة إلى محمد بن رشيد، هب بجيشه، من حائل، متوجهاً إلى الرياض، في بداية عام ١٣٠٨هـ/ أغسطس١٨٩٠م. وجرت مناوشات بينه وبين أهلها، ثم خرج وفد منهم للتفاوض، برئاسة محمد بن فيصل، ومعه ابن أخيه، عبدالعزيز بن عبدالرحمن، الملك عبدالعزيز، فيما بعد.

وجرى الاتفاق على أن يكون عبدالرحمن بن فيصل إماماً على العارض والخرج، وأن يطلق سالم بن سبهان. وفي مقابل ذلك، يفرج محمد بن رشيد عن آل سعود، الذين وفدوا عليه، في حائل، في العام السابق.

وكان ابن رشيد يريد بهذا الاتفاق، أن يأمن جانب آل سعود، ويتفرغ للقضاء على قوة أهل القصيم. وبعد جمادى الأولى ١٣٠٨هـ/ ديسمبر ١٨٩٠م، غادر ابن رشيد الرياض، وتوجه إلى القصيم، التي استعد أهلها لقتاله، يتزعمهم حسن بن مهنا أبا الخيل، أمير بريدة، وزامل بن عبدالله بن سليم، أمير عنيزة.

ووقعت بين الطرفين مناوشات، في القرعاء، في الثالث من جمادى الآخرة ١٣٠٨هـ/ يناير ١٨٩١م. أحزر فيها أهل القصيم بعض النصر، فاستدرجهم محمد بن رشيد إلى أرض المليداء. وفي ١٣ جمادى الآخرة ١٣٠٨هـ/٢٥ يناير ١٨٩١م، دارت فيها معركة حامية، انتصر فيها ابن رشيد انتصاراً ساحقاً، وقتل من أهل القصيم خلق كثير، ومنهم أمير عنيزة، زامل بن سليم. وأما أمير بريدة، حسن بن مهنا أبا الخيل، فقد فر إلى عنيزة. وبعد مدة، قبض عليه، وأخذه ابن رشيد إلى حائل، سجيناً.

وتُعَدّ معركة المليداء من المعارك الفاصلة، إذ نتج منها بسط ابن رشيد سيطرته التامة على إقليم نجد، ووضع تحت يده موارد، زراعية واقتصادية، مهمة.

وكان الإمام عبدالرحمن بن فيصل، قد جهز حملة من أتباعه، لنجدة أهل القصيم. وبدأ مسيره إليهم، ولكنه تأخر. ولما وصلته الأخبار بهزيمة أهل القصيم، وكان في الخفس، عاد أدراجه إلى الرياض، وتفرق عنه أتباعه. وأدرك أن موقفه أصبح حرجاً، وأن محمد بن رشيد، لا بدّ أن يقضي عليه. فغادر الرياض، عام ١٣٠٨هـ/ ١٨٩٠م، وذهب إلى قبيلة العجمان. وتولى أخوه، محمد بن فيصل، الأمور في الرياض، نائباً عن محمد بن رشيد. ولكن الإمام عبدالرحمن بن فيصل، لم يستكن، إذ وصل إليه إبراهيم بن مهنا أبا الخيل، شقيق حسن بن مهنا، أمير بريدة السابق، ومعه عدد من أهل بريدة، عام ١٣٠٩هـ/١٨٩١م، وشجعوه على مقاومة ابن رشيد. فانطلق معهم، وفعلاً، هاجم بأتباعه بلدة الدلم، وانتزعها من رجال محمد بن رشيد، ثم سار إلى الرياض، وكان أميرها محمد بن فيصل، ودخلوها بغير قتال. ولكنه لم يمكث بها طويلاً، فخرج إلى إقليم المحمل. وما أن علم ابن رشيد بهذه التحركات، حتى أعد جيشاً لمقاتلة عبدالرحمن بن فيصل ومن معه. والتقى الطرفان عند بلدة حريملاء. فانهزم عبدالرحمن وأتباعه، وقُتل إبراهيم بن مهنا. وتوجه عبدالرحمن بن فيصل للإقامة عند قبيلة العجمان.

وسار ابن رشيد إلى الرياض، وأمر بهدم سورها، وهدم القصر الجديد، والقصر العتيق. وجعل في الرياض محمد بن فيصل أميراً. وظل فيها حتى توفي، عام ١٣١١هـ/١٨٩٣م.

وكانت معركة حريملاء آخر معركة، قادها أئمة الدولة السعودية الثانية. وكانت إيذاناً بنهاية تلك الدولة.

توفي محمد بن عبدالله بن رشيد، في ٣ رجب ١٣١٥هـ/ ٢٩ نوفمبر ١٨٩٧م، في حائل. وتولى، بعده، ابن أخيه، عبدالعزيز بن متعب بن عبدالله بن رشيد.

==========

المحاضرة الثالثة عشر

عنوان المحاضرة

ملامح نظام الحكم والإدارة في الدولة السعودية في دورها الثاني

ملامح من الدولة السعودية الثانية

أولاً: نظام الحكم

١. الإمام (الحاكم)

وهو في قمة النظام السياسي، والرئيس الأعلى للدولة، وصاحب السلطات الفعلية فيها. ولقب الإمام يشتمل علي الزعامتين، الدينية والسياسية. والإمامة ليست منصباً حديث العهد، بل هي سلطة سياسية دينية، جرى عليها المسلمون في عهد الخلفاء الراشدين، بعد النبي - ﷺ. فالإمام هو القائد العام للمسلمين، وهو رئيسهم في أمورهم الدينية.

وهو المشرف العام على جميع شؤون الدولة. فهو يشرف على الأمور الحربية، وبيده حق إبرام معاهدات الصلح، وإعلان الحرب ضد العدو. ويشرف على شؤون الأمن في البلاد، وتحل عنده المسائل والخلافات المعقدة. ويشرف على شؤون البلاد المالية. وهو المتصرف والمسؤول الأول عن بيت المال. ويشرف على شؤون التعليم ويهتم بأمر الفقراء والمساكين.

ومما يدعم سلطان الإمام، اعتماد الإمامة، في حكمها، على مبادئ الشرع والدستور الإسلامي، الذي لا يجرؤ الفرد على مخالفته. وهذا ما يعطي الإمام صلاحية مطلقة في العمل والإشراف، ما دام متماشياً مع الشرع، ومطابقاً تعاليمه.

كان الإمام في الدولة السعودية الثانية، يقود الجيوش الغازية، في أكثر الأوقات، باستثناء حالات المرض أو السفر، أو الظروف التي تحُول دون مشاركته في الغزو. وفي مثل هذه الحالات، كان ينوب عنه ولي عهده.

ويقيم الإمام ويمارس مهام عمله، في الرياض، عاصمة الدولة السعودية. وكان له ديوان في قصره، يجتمع فيه إلى مستشاريه وقضاته وأمرائه ورؤساء الأقاليم والشيوخ والعلماء.

٢. ولي العهد

ولاية العهد في الدولة السعودية، الأولى والثانية، وراثية. ويعهد بها الإمام الحاكم إلى أكبر أبنائه.

فنجد أن الإمام تركي بن عبدالله، قد عهد بها إلى ابنه، فيصل بن تركي، الذي عهد بها إلى أكبر أبنائه، عبدالله بن فيصل. ولكن، عندما توفي عبدالله بن فيصل، كانت فترة حروب أهلية واضطراب سياسي، فلم يعهد إلى أحد بولاية العهد. وتولى، من بعده، أخوه، عبدالرحمن بن فيصل، في فترة سقوط الدولة الثانية.

ومن سلطات ولي العهد وواجباته، أنه ينوب عن الإمام، في القيام بمهام الدولة، أثناء غيابه، في حالات الغزو أو المرض أو العجز. وكان الإمام يعهد إلى ولي العهد بقيادة الجيوش الغازية، ويعده القائد العام لقواته. وكثيراً ما كان ولي العهد، يمارس الأمور، الحربية والإدارية، أثناء عهد أبيه؛ وذلك من أجل تدريبه وإعداده، للمستقبل، ولكي يتعرف بالناس ومشكلاتهم. وحدث ذلك مع عبدالله بن فيصل، الذي تولى تصريف الأمور، في فترة مرض أبيه، الإمام فيصل بن تركي، وتقدمه في السن.

٣. أمراء الأقاليم

كان الإمام السعودي، يعين أمراء على أقاليم دولته، يختارهم ممن التزموا بتعليم الدعوة السلفية، وأخلصوا ولاءهم للدولة السعودية، وحرصوا على تطبيق نظمها. أضف إلى هذا، أن الإمام كان يقدر الرؤساء

المحليين لما لهم من نفوذ قوي في جماعاتهم، وفي مناطقهم، من جهة، ولأنهم أدرى بمشكلات سكان مناطقهم من غيرهم، فهُم على صلة قوية بهم، من جهة أخرى.

ومنصب الأمير أو حاكم الإقليم، منصب مهم وحساس، لأنه من مراكز القيادة في الدولة. فالأمير في إقليمه، هو الممثل الأول للإمام، والمسؤول العام عن الإقليم، وهو المشرف على إدارته وماليته. وهو المسؤول الأول عن قيادة غزوه، وتجميعه، عند الطلب، وتجهيز القوات. وهو المسؤول عن جمع الزكاة والأعشار، وعن توزيع ما يرسله الإمام من عطايا إلى إقليمه. ومن هنا، فإن الأمير يتمتع بسلطات واسعة في إقليمه.

ومع هذه السلطات الواسعة، الممنوحة لأمراء الأقاليم، فإن شخصيتهم، القيادية والاعتبارية، تظل في مستوى أقلّ بكثير من مستوى الإمام، أو ولي العهد.

ومهما يكن من نفوذ هؤلاء الأمراء (حكام الأقاليم)، إلا أن هذا لم يعصمهم من العزل أو النقل أو السجن أو المحاكمة أو النفي، في حال مخالفتهم لنظُم الدولة، أو إذا ثبت تلاعبهم وغشهم في عملية جمع الزكاة. وفرض مثل هذا العقوبات على الأفراد وتطبيقها، يعد دلالة واضحة على مدى ما يتحلى به الإمام من سلطات قوية.

وقامت أسر معينة، في الدولة السعودية الثانية، بمد الدولة بحكام للأقاليم، مثل أسرة السديري، وآل عفيصان، ومطلق المطيري.

وإلى جانب أمير الإقليم، فإن هناك قاضي الشرع، الذي يقوم بفصل الخصومات بين المتنازعين، ويشرف على تطبيق أحكام الدين، في المنطقة. إضافة إلى الأمور الأخرى، التي تهم الجانب الديني، في الإقليم. وللقضاء كلمة مسموعة، عند الحكام والناس.

وهناك، أيضاً، عمال الزكاة. ووظيفتهم جمع الزكاة من السكان، طبقاً لأحكام الشرع الإسلامي. ويقوم أمير الإقليم، بعد عملية جمع الزكاة، بإرسالها إلى بيت المال، في العاصمة

٤. الشورى

كان مبدأ الشورى معمولاً به، منذ نشأة الدولة السعودية الأولى. فبعد أن تحالف الأمير محمد بن سعود مع الشيخ محمد بن عبدالوهاب، صار يستشيره في كل الأمور، ولا يخرج بأمر، إلا بعد إذنه. وظل الحال، في أول عهد الأمير عبدالعزيز بن محمد، الذي كان يستشير الشيخ محمد بن عبدالوهاب في كل أمور الدولة، وبخاصة القضايا الدينية منها. إلى جانب هذا، كان الإمامان يستشيران العلماء، وأصحاب الرأي في البلاد، وبخاصة أولئك الذين يقيمون في الدرعية. ولكن بعد اتساع الدولة، وتعقد شؤونها، فوض الشيخ محمد كل الأمور، السياسية والعسكرية، إلى الأمير عبدالعزيز، وتفرغ هو للأمور الدينية.

وتنقسم الشورى إلى شورى خاصة، وأخرى عامة. فالشورى الخاصة، تضم عدداً من الأفراد، والقضاة، والفقهاء، والقادة، وبعض أفراد الأسرة السعودية. وتجتمع هذه النخبة في العاصمة حينما يأمر الإمام باجتماعها. ويكون لها دور كبير في حالات الحرب، أو عند تعيين ولي العهد، أخذاً بمبدأ الشورى..

والمثال على ذلك هو اجتماع الإمام فيصل بن تركي إلى مستشاريه وقواده حينما علم بمقتل أبيه، في الرياض. وكان مجلس شوراه يضم عبدالله بن علي بن رشيد، أمير جبل شمر، وتركي الهزاني، صاحب الحريق، وعبدالعزيز بن محمد، أمير بريدة، وحمد بن يحيى بن غيهب، أمير الوشم، وقائده، عمر بن عفيصان. واتخذوا

القرارات اللازمة، لمواجهة الموقف، كما اجتمعوا وقرروا مواجهة حملة القائد إسماعيل بك وخالد بن سعود، على نجد.

وكانت الشورى العامة تعقد على شكل اجتماعات عامة، وفي مناسبات معينة، لدراسة بعض المشكلات المتعلقة بالأقاليم، أو في حالة حدوث عصيان، أو تمرد، من قبل بعض المناطق في الدولة. وخير مثال على ذلك، الاجتماع الذي عقد في "وثيلان"، في الدهناء، والتقى فيه الإمام فيصل أمراء الأقاليم.

ثانياً :النظام الحربي

لم يكن للدولة السعودية الثانية جيش منظم، بالمفهوم الذي نعرفه عن الجيوش المنظمة، المتخصصة في الشؤون الحربية. وإنما كان لها جيش جهاد، ينعقد لواؤه، حينما يأمر الإمام بذلك، ويعلن النفير العام، الذي يشمل الحضر والبادية. وكانت تعبئة جيش الجهاد، تتم بالطرق الآتية:

١. كان الإمام يرسل إلى أمراء الأقاليم، وهي جبل شمر، والقصيم، والوشم، وسدير، والأفلاج، والخرج، والأحساء - بتجهيز الرجال للغزو، ويحدد لهم العدد المطلوب من كل قرية أو قبيلة أو منطقة، ومعهم رواحلهم ومؤنهم وذخيرتهم.

٢. كان الإمام يحدد للجميع ميعاداً معيناً، في مكان معين، ويكون، عادة، قرب ماء معروف لدى الجميع. وإذا تجمعوا هناك، سار بهم الإمام إلى مراده.

٣. كان الإمام، إذا تقاعست قرية أو قبيلة عن الوفاء بالعدد المطلوب، أو كان العدد الذي قدمته ضعيفاً، أو غير مجهز باللازم من المؤن والرواحل،أو تأخر العساكر عن الموعد المضروب، يرد إليها ما قدمته، ويعيد إليها عسكرها. وبعد الغزو، يبدأ بتأديب تلك القرية أو القبيلة.

٤. كان الإمام يحدد للقرية أو القبيلة، المدة التي يستغرقها الغزو، ليعلم الجندي مقدار ما يكفيه من الزاد والذخيرة.

٥. كان الإمام إذا حان وقت الخروج، بعد اكتمال الجموع، يكل الأمور في الدولة إلى ولي عهده، أو أحد أبنائه. وكان خروجه غالباً ما يكون يوم الخميس، أو الإثنين.

وتظل القوات الغازية في حالة النفير، حتى يأذن لها الإمام في الانصراف إلى أوطانها. وكان الإمام يستطيع جمع قوات تقدر بمائة ألف مقاتل، من مختلف الأقاليم، مجهزين بالسلاح والمؤن.

وهنا مثال لما يمكن جمعه من القوات، وقت النفير العام للغزو:

إضافة إلى غزو البدو، فإن الإمام كان يطلب من القبائل البدوية غزواً، يراوح بين ٣٠ و٤٠ ألف جندي. وبذلك يقارب مجموع القوات مائة ألف.

ولا توجد مدارس للتدريب العسكري، أو تهيئة المقاتلون. إنما كانت المهارات الفردية، وما تعلمه كل منهم من فنون الضرب والطعن والفروسية، هي الأساس. وكان المقاتلون ينقسمون إلى مشاة وخيالة وهجانة.

وكانت أسلحة مقاتلي الدولة، لا تزيد على كونها أسلحة بدائية تقليدية، هي: البنادق التي تضرب بالفتيلة، والسيوف، والخناجر، والسهام، والرماح.

وكانت الخطط الحربية تعتمد، في أغلبها، على المباغتة أو الهجوم، بوساطة الكمائن أو الحصار، أو أسلوب الكر والفر.

ولم يكن للجندي المحارب راتب معلوم، إنما كان الإمام يوزع الغنائم على جيش الجهاد، التي يحصل عليها، بعد انتصاره. فكان الإمام يأخذ خمس الغنائم لبيت المال، ثم تباع الأخماس الأربعة الباقية الغنائم وتوزع على الجند. فكانت حصة الفارس سهمين، وحصة الرجل سهماً واحداً. وكانت القوات الغازية، تظل في حالة النفير هذه، حتى يصدر الإمام أمراً بالانصراف إلى أوطانها.

وكان هناك حاميات سعودية، تدخل في عداد الجند الثابت في الوظيفة العسكرية. وظيفتها المحافظة على الأمن والنظام في البلدان. وكانت تستبدل، كل عام. وكانت توجد في الرياض والقطيف والهفوف والبريمي. هذا إلى جانب الحرس الخاص للإمام وولي عهده والأمراء الآخرين.

ولم يكن للدولة السعودية الثانية سفن حربية، تشكل أسطولاً حربياً، على الرغم من أنها كانت تسيطر على أجزاء واسعة من منطقة الخليج العربي. وإنما كانت تستعين، عند الحاجة، بسفن الغوص، التابعة للقبائل القاطنة في الساحل، التي تعمل في صيد الأسماك واللؤلؤ، مثلما حدث في عهد الإمام فيصل بن تركي، عام ١٢٦٧هـ/١٨٥١م، حينما أمر أن تهيَّأ سفن أهالي قطر، وهي نحو ثلاثمائة سفينة، وجعل عليها رجالاً من مقاتليه، لغزو البحرين

ثالثاً :النظام القضائي

قامت الدولة السعودية الثانية على أساس ديني، وتسير وفقاً لأحكام القرآن والسُّنة، واجتهادات السلف. ومن هنا، فإن منصب القاضي، هو من المناصب الحساسة، والمهمة، في المنطقة؛ لأنه على احتكاك مباشر بالناس ومصالحهم الشخصية العامة.

ويشترط في من يتولى منصب القاضي، أن يكون من علماء الشرع، الذين لهم خبرة طويلة بممارسة العلوم الشرعية، كي يستطيع الفصل في المنازعات والشكاوى والقضايا، التي تعرض عليه في منطقة عمله. وأن يكون من المشهود لهم بالنزاهة. وكانت تصرف للقضاة رواتب سنوية، من بيت المال.

وقد وزعت الدولة القضاة على جميع الأقاليم. والقاضي يأتي في الدرجة الأولى، من حيث الرتبة، بعد أمير الإقليم. ومنصب القاضي ومركزه، يكاد يكون ثابتاً، وكثير من القضاة خدموا الدولة، مدة حياتهم.

ويعود ذلك إلى أن منصب القاضي منصب ديني، وأن مثل هذا المنصب يختلف تماماً عن المناصب، السياسية والإدارية، التي تتأثر، عادة، بالتغييرات السياسية والإدارية. ويزيد القاضي ثبوتاً في مركزه، عدله، وقوة شخصيته، وجرأته على تنفيذ أحكام الشرع، وبُعده عن الشبهات والأمور الضارة بمنصبه.

كانت الدولة السعودية، تنفذ أحكام الشرع في المخالفين والمجرمين. وكان القاضي يأخذ بالمذهب الذي يراه أقرب إلى الصواب، وإن خالف ذلك مذهب الإمام أحمد بن حنبل. وكان لهذا الإجراء التطبيقي أثر كبير في تفاوت الأحكام، في الحالات المتشابهة، والمتقاربة. وفي عهد الفتنة والاستيلاء التركي، أعلن مدحت باشا، أن الدولة العثمانية، ستقوم بتعيين القضاة في بلدان الأحساء ونجد.

رابعاً: النظام المالي

رابعاً: النظام المالي

كان للدولة السعودية بيت مال، موارده من:

١. الزكاة

زكاة الزروع والثمار. ومقدارها عشرة في المائة، إن سقيت بغير آلة، و ٥% إن سقيت بآلة. وزكاة النقدَين: الذهب والفضة، وهي ربع العشر أو ٢,٥%. وزكاة السائمة، من البقر والأغنام والإبل، فيدفع من يملك خمسة جمال شاة أو ما يقابلها نقداً. وزكاة عروض التجارة، ومقدارها ربع العشر أو ٢,٥%.

٢. خمس الغنائم

والمصدر الثاني لبيت المال، ما كان يصله من خمس الغنائم والأسلاب. وهي تشكل نسبة كبيرة من نسب وارداته. والجدير بالذكر، أن خمس الغنائم، كان يصل من كل أقاليم الدولة، التي تقوم فيها غزوات ترتب عليها وجود غنائم، كثرت هذه الغنائم أو قلت. فكان على أمير الإقليم، أن يجمع خمسها، ويرسله إلى الدرعية، ليوضع في بيت المال. ويمكن تعرف أهمية هذا المورد، عند النظر إلى ازدياد الغزوات. ومن الواضح أن حجم هذا المورد، يزداد ويقل، تبعاً لزيادة الغزوات وقلتها.

٣. الأموال المصادرة

كان النظام السعودي، يقضي بمصادرة أموال الخارجين عن الأمن، والعابثين به، وضمها إلى بيت المال، إضافة إلى العقاب الجسماني.

وكانت الدولة السعودية، تقوم بالإنفاق من بيت المال، على الأوجه الشرعية الآتية:

- **تدفع من بيت مالها إلى من لهم حق في الزكاة، من الفقراء والمساكين، بالقدر الذي يكفل الحياة.**
- **تخصص مبلغاً من المال، ليصرف على أبناء السبيل؛ فتقدم لهم الطعام والإقامة، وبعض الأموال اللازمة لسفرهم إلى بلادهم. وقد عممت الدولة ذلك في كل أقاليمها، بتخصيص مبلغ من المال لكل إقليم، ليصرف على هذا الباب.**
- **تخصص مبالغ من بيت المال، لبناء المساجد، ولتصرف على حلقات الدروس فيها، وعلى علمائها وطلاب العلم، وعلى الأئمة والمؤذنين.**

تدفع من بيت المال أجور العمال، الذين يقومون بجباية الزكاة. وكانت تدفع رواتب القضاة وأمراء المناطق، وجنود الحاميات السعودية في المناطق، التي كانوا يؤدون مهمة الأمن والحراسة والحسبة فيها. هذا، إلى جانب مخصصات الأمراء، الذين يقودون الجيوش في القتال، ويشاركون في إدارة شؤون الدولة وأعمالها.

- **تخصص مبلغاً لمصروفات الضيافة، ولمساعدة الجماعة المتضررة من جراء النكبات والكوارث، التي تحل بالبلاد، وتؤثر في السكان. كما خصصت الدولة مبلغاً من المال لسد حاجات بعض الأقاليم، التي لا تكفي واردات بيت مالها مصروفات الإقليم وحاجاته. إضافة إلى هذا كله، فقد خصصت الدولة مبلغاً من المال للمشروعات الاجتماعية والصدقات.**

خامسا: التعليم

كان التعليم في الدولة السعودية الثانية مركزا علي التوحيد، والاهتمام بالعلوم الشرعية مثل: الحديث والتفسير والفقه والسيرة النبوية،وقد بلغ من حرص قادة الدولة السعودية الأولي أنهم كانوا يصحبون معهم في الغزوات علماء يعقدون مجالس علمية ، ينتفع بها أفراد الجيش الغازي ،ووجدت مكتبات في مختلف العلوم .

وفي طليعة علماء تلك الفترة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأبناؤه وتلاميذه الذين اضافوا إلي المكتبة الإسلامية والعربية كثيرا من الكتب القيمة، خاصة في التوحيد والعقيدة.

وقد درس العلماء قواعد اللغة العربية وأجادوها، غير أنه لم تحدث نهضة أدبية لاشعرا ولانثرا، تضاهي النهضة العلمية الشرعية أو تقرب منها، ولعل سبب ذلك أن الناس اهتموا بما دعت اليه الدعوة السلفية التي لا تؤثر تعاليمها الشعر كثيرا.

==========

المحاضرة الرابعة عشر

عنوان المحاضرة

مراجعة عامة

اللقاء المباشر الأول

١/١

- **واهتمت الدولة العثمانية بالحجاز، لأنه مصدر لسيادتها الدينية في العالم الإسلامي**

- قائمقام عثماني، مقره جدة. أمّا والي الحجاز العثماني، فمقره في مكة، شتاء، وفي الطائف، صيفاً

وأهم مدن المخلاف السليماني: جيزان (جازان) وصبيا وأبو عريش.

وفي منطقة نجران، كان السكان من قبائل يام، ومنهم المكارمة، الذين يعتنقون المذهب الإسماعيلي الشيعي. واشتهرت قبائل يام بالنشاط العسكري،

- **وكان نفوذ أشراف مكة المكرمة، ممتداً إلى القنفذة، على البحر الأحمر**
- **وكان إقليم الأحساء تحت حكم أسرة زامل الجبري، من بني عامر، منذ عام ٨٢٠هـ/١٤١٦م.**
- **وتطلع العثمانيون إلى السيطرة على هذا الإقليم، لدفع أخطار البرتغاليين، عن الأماكن المقدسة. فاستولوا عليه، عام ٩٥٧هـ/١٥٤٨**

١-٢

==========

- ولكن زعيم بني خالد، برَّاك بن عُرير آل حُميد، تمكن من الاستيلاء على الأمور في الأحساء، بين سنتَي ١٠٧٤هـ/١٦٦٣م و ١٠٧٦هـ/١٦٦٥م . فقضى على سلطة العثمانيين على الأحساء، حتى دخلت تحت حكم الدولة السعودية الأولى، في أوائل القرن الثالث عشر الهجري.

- فقد غزا الأشراف نجداً، بقيادة الشريف حسن بن أبي نمي، عام ٩٨٦هـ/ ١٥٧٨م. وهاجموا بلدة معكال، التي أصبحت جزءاً من مدينة الرياض الحالية.

- وأما بنو خالد، فقد فرضوا نفوذهم على نجد، من مركزهم في الأحساء. وغزا زعيمهم، برّاك بن غرير، أراضي نجد، أول مرة، في عام ١٠٨١هـ/١٦٧١م

- وأمراؤها من آل معمر، وأشهرهم عبدالله بن معمر، الذي حكمها أكثر من أربعين سنة (١٠٩٦هـ - ١١٣٨هـ/١٦٨٤م - ١٧٢٥م).

- وسهل من نجاح هذه الدعوة، في نجد، خلوها من الطرق الصوفية وبدعها، وعدم وجود أي مذهب آخر غير السُّنة ولهذا، لم تجد مقاومة من أي نحلة دينية أخرى

٢/١

ولد الشيخ محمد بن عبدالوهاب في بيت علم، في بلدة العيينة، سنة ١١١٥هـ /١٧٠٣م

- حيث حضر حلقات الدرس، في الحرم النبوي، للشيخ النجدي، عبدالله بن إبراهيم بن سيف، الذي شجعه على القراءة في الفقه الحنبلي

- وتلقى العلم، أيضاً، من عالم الحديث، الشيخ محمد حياة السندي المدني (توفي عام ١١٦٥هـ

- ومنها إلى الأحساء، حيث مكث بعض الوقت، واستفاد من علمائها، مثل عبدالله بن فيروز، ومحمد بن عفالق، وعبدالله بن محمد بن عبداللطيف الشافعي الأحسائي.

- ورجع الشيخ محمد بن عبدالوهاب، إلى بلدة حريملاء، التي عُيّن أبوه قاضياً لها. وكان وصوله إلى نجد بين عامَي ١١٤٤هـ - ١١٤٩هـ/ ١٧٣١ - ١٧٣٦م.

- وكان عبدالوهاب بن سليمان، والد الشيخ محمد، معارضاً لأسلوب ابنه في الدعوة، وليس للدعوة نفسها. وبعد وفاة والده، عام ١١٥٣هـ / ١٧٤٠م، اشتد الشيخ في دعوته.

٢/٢

- انتقل الشيخ محمد بن عبدالوهاب، في عام ١١٥٤هـ/١٧٤١م، من بلدة حريملاء، إلى بلدة العيينة

- واختار الشيخ محمد بن عبدالوهاب بلدة الدرعية، التي كان يحكمها محمد بن سعود. ووصلها، عصر اليوم، الذي غادر فيه العيينة، في عام ١١٥٧هـ/١٧٤٤م. وحل ضيفاً على رجل من تلاميذه، يدعى محمد بن سويلم العريني، في أعلى الواحة.

- ويعطي الشيخ محمد بن عبد الوهاب سببين أساسيين لتغيير موقف بعض العلماء من الاعتراف بصحة الدعوة الي مناوأتها:

الأول: خوف هؤلاء المعارضين أن يفقدوا مكانتهم الاجتماعية.

الثاني: إنكاره عليهم أكل السحت والرشوة.

- توفي الشيخ محمد بن عبد الوهاب، يوم الاثنين، آخر شوال سنة ١٢٠٦هـ/ يونيه ١٧٩٢م. وله من العمر نحو اثنَين وتسعين عاماً

٣/١

- وكان أمير الدرعية، محمد بن مقرن بن مرخان، جد آل سعود، قد توفي عام ١١٠٦هـ/ ١٦٩٤م.

- وتولى الإمارة سعود بن محمد بن مقرن، الذي توفي عام ١١٣٧هـ/ ١٧٢٤م. ولم يتول، من بعده، ابنه، محمد بن سعود بن محمد أمارة الدرعية، بل تولاها زيد بن مرخان بن وطبان، لكن محمد بن سعود كان له تأثير قوي على سير الأحداث في البلدة

- وعاد محمد بن سعود وجماعته إلى الدرعية. واستقل بإدارتها. وأصبح أميراً لها. وبذلك، مضى أكثر من مائتَين وثمانين عاماً، على تأسيس مانع المريدي للدرعية، ولإمارة آل سعود فيها

- واستمرت إمارة محمد بن سعود قرابة أربعين عاماً، من عام ١١٣٩ هـ/١٧٢٦م إلى وفاته، في عام ١١٧٩هـ/١٧٦٥م.

٣/١

- وبعد قيام الدولة السعودية، وتوليها مهمة الدعوة الإصلاحية، التي دعا إليها الشيخ محمد بن عبدالوهاب - أطلق أمراء الدرعية على أنفسهم لقب إمام، وهو لقب الحاكم، السياسي والديني، للدولة

- الأمير عبدالعزيز، الذي ولد عام ١١٣٣هـ/١٧٢٠م. واغتيل في أواخر رجب من عام ١٢١٨هـ/نوفمبر١٨٠٣م. بعد حكم دام ٣٨ سنة، ما بين عامَي ١١٧٩هـ - ١٢١٨هـ/١٧٦٥-١٨٠٣م .

- وبعد الإمام عبدالعزيز، جاء ابنه، الإمام سعود بن عبدالعزيز. ولقب، بعد وفاته، بسعود الكبير. وحكم قرابة ١١ سنة، ما بين عامَي ١٢١٨ - ١٢٢٩هـ/ ١٨٠٣ - ١٨١٣م، إذ توفي ليلة الإثنين ١١ من جمادى الأولى ١٢٢٩هـ/مايو ١٨١٤م

٣/٢

- الأمير عبدالله بن سعود. وحكم ٥ سنوات، بدأت عام ١٢٢٩هـ/١٨١٤م. وفي عهده، سقطت الدولة السعودية الأولى، باستسلامه لقوات إبراهيم باشا، في ٨ ذي القعدة عام ١٢٣٣هـ/٩ سبتمبر ١٨١٨م. وأعدم، في الآستانة، في صفر عام ١٢٣٤هـ/ديسمبر ١٨١٨م.

- قضت الدولة السعودية الأولى قرابة أربعين عاماً، تعمل من أجل نشر الدعوة الإصلاحية، وتوحيد نجد

- إلا أن دهام بن دواس، لم يعتنق مبادئ الدعوة السلفية، بل استنكرها. وخاضت الدرعية سبع عشرة موقعة، مع الرياض، على مدى سبعة وعشرين عاماً. وكان دهام، يلجأ في الحرب إلى سلاح الدسائس والفتن، حيناً، والمصالحة أحياناً. فعاهد إمارة الدرعية أربع مرات، ولكنه نكث عهده فيها جميعاً

- لقد كانت بداية الصراع العسكري، بين الدرعية والرياض، بعد انضمام منفوحة إلى الدعوة، عام ١١٥٩هـ/١٧٤٦م. إذ قام دهام بن دواس بالهجوم عليها، وضمها إلى الرياض، وربما كان دافعه، أنه كان، هو

٣/٢

وإخوته، في منفوحة، وأجلوا عنها، وأنه شعر بقوة مركزه في الرياض مما يتيح له استردادها وضمها إلى حكمه. لكنه فشل بسبب المقاومة العنيدة من أمير منفوحة، علي بن مزروع، ومن سكانها. وأصيب دهام بجرحَين، أثناء الاشتباكات بينه وبين أهاليها

- وحضر مع الإمام عبدالعزيز بن محمد، الحرب التي شنتها الدرعية ضد عشائر الظفير، في وقعة "جراب"، بالقرب من سدير. وكانت هذه أول غزوة، ينضم فيها دهام إلى لواء الدرعية.

العيينة - وعيّن مشاري بن معمر أميراً عليها. وبعد عشر سنوات من حكم مشاري للعيينة، عزل عنها بسبب عدم ولائه، وعُيّن بدلاً منه سلطان بن محيسن المعمري. وهكذا، استطاعت الدولة أن تنجح في القضاء على مقاومة أمير العيينة، التي انضمت، بعد ذلك، إلى الدعوة، وأصبحت ضمن سيادة الدولة. ففقدت أسرة آل معمر الزعامة السياسية في العيينة، واختفى دورها السياسي في نجد.

الرابعة/١

- فأول اصطدام وقع بين إمارة الدرعية وبني خالد، بدأ في عهد الإمام محمد بن سعود، وفي عهد حاكم الأحساء، سليمان بن محمد

- ويعتبر موت هذا الزعيم "عريعر بن دجين"من زعماء بني خالد، الحد الفاصل بين فترتَي القوة والضعف، في تاريخ بني خالد. إذ دب النزاع، بعده، بين أفراد الأسرة الحاكمة، وأدى إلى ضعف أمرائها وعدم سيطرتهم على أمور الجند والحكم في بلادهم

- ورداً على العداء السافر من بني خالد لآل سعود، بدأت العمليات العسكرية السعودية، ضد الأحساء، على يد الإمام سعود بن عبدالعزيز، حينما سار، بقواته، في عام ١١٩٨هـ/١٧٨٤م، حتى وصل قرية العيون، في الأحساء. فغنم جيشه الغنائم الكثيرة، وقفل راجعاً إلى بلاده.

- وتمثل أول موقف عدائي، من قبل أشراف مكة، لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، في منع الشريف مسعود بن سعيد، أنصار دعوة الشيخ، من أداء فريضة الحج

٤/٢

- وفي عام ١١٨٥هـ/١٧٧١م، طلب الشريف أحمد بن سعيد، من قادة الدرعية، أن يرسلوا عالماً دينياً، ليوضح لعلماء الحجاز حقيقة ما يدعون إليه. فأرسلت الدرعية الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله الحُصّين، ومعه رسالة من الشيخ محمد بن عبدالوهاب، توضح مبادئ الدعوة

- وكانت أول حملة عسكرية، جهزها الشريف غالب، عام ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م، ضد الدولة السعودية، بقيادة أخيه، الشريف عبدالعزيز بن مساعد، وقوامها عشرة آلاف رجل، في طريقها إلى الدرعية. ووصلت

- وتربة. ونزل بقواته في بلدة "الخرمة". وقد حقق جيش الشريف، في بداية الأمر، انتصاراً على القبائل المؤيدة للدعوة. فأرسلت الدولة مدداً، تقابل مع جيش الشريف، في الخرمة. وبعد قتال شرس، انهزم جيش الشريف، تاركاً غنائم كثيرة.

- وعلى إثر هذه الواقعة، طلب الشريف غالب الصلح مع الدولة السعودية. واتفق الطرفان على عقد هدنة، مدتها ستة أعوام، يسمح، خلالها، للسعوديين بالحج. واتفقا على تحديد القبائل التابعة لكل منهم

الخامسة /١

ـــــوقداتجهت أنظار الدولة، أولاً، نحو قطر، بإيعاز من القائد السعودي، ابراهيم بن عفيصان

- استرداد البحرين. إلا أنه فشل في ذلك، وحلت الهزيمة بقواته، في واقعة خكيكيرة، عام ١٢٢٥هـ/١٨١٠م. واضطر الإمام سعود بن عبدالعزيز إلى إطلاق زعماء آل خليفة، وعادوا إلى البحرين. ولم يعاود السعوديون محاولاتهم غزو البحرين، لانشغالهم بالحروب، ضد قوات محمد علي باشا، في الحجاز.

- قاد القائد إبراهيم بن عفيصان، في عام ١٢٠٨ هـ/١٧٩٣م، حملة عسكرية، يبدو أنها بسبب إيوائها زعماء بني خالد، الفارين من آل سعود. وقد غنم إبراهيم بن عفيصان الغنائم الكثيرة في هذه الحملة. لكنه لم يكن في مقدوره، أن يخضع الكويت للسيادة السعودية

- كما تعاون الكويتيون مع حملة رئيس المنتفق، ثويني بن عبدالله، ضد الدولة السعودية، عام ١٢١٢هـ/١٧٩٧م.

- لأمر إلى قائده، إبراهيم بن عفيصان، الذي قاد معظم الحملات السعودية، في نواحي شرقي شبه الجزيرة

- تقدم إبراهيم بن عفيصان إلى واحة البريمي، عام ١٢١٠ هـ/١٧٩٥ م. وبنى فيها قصر الصبارة، في منتصف الطريق، الواصل بين البريمي وحماسا، ليكون قاعدة للقوات السعودية في المنطقة.

الخامسة /١

- اضطر السيد سلطان بن أحمد، حاكم عُمان، إلى أن يطلب الصلح من الإمام عبدالعزيز بن محمد. وعقدت هدنة، مدتها ثلاث سنوات

- وهزمت قوات حاكم عُمان. وقتل قيس بن أحمد، في موقعة خور، على ساحل خليج عُمان. وبعد فشل حاكم مسقط في هذه الموقعة، صارت الطريق مفتوحة أمام القوات السعودية، لدخول جميع عُمان والسيطرة عليها

- وقد استفاد مطلق المطيري من هزيمة حاكم مسقط وأتباعه، فتقدم ودخل مطرح، وواصل زحفه، حتى وصل مدينة مسقط نفسها. وأعلن معظم مدن عُمان وقراها وبلدانها، الخضوع للسيادة السعودية.

وقد عاد حاكم عُمان، السلطان سعيد بن سلطان، إلى دفع الإتاوة إلى الدولة السعودية، في عهد الإمام سعود بن عبدالعزيز.

وقد أثارت هذه الأحداث مخاوف بريطانيا على مصالحها في الخليج العربي. فأرسلت قوة بحرية، جاءت من الهند، واستولت على رأس الخيمة، عام ١٢٢٤هـ/١٨٠٩م . وتحت إلحاح من حاكم مسقط، قامت هذه القوة البحرية الإنجليزية ببعض أعمال التهديد العسكرية، في ميناء شناص، ثم عادت إلى الهند.

٥/٢

- وتواصلت الأعمال العسكرية السعودية، في إقليم عُمان. فأرسل الإمام سعود قائده، مطلق المطيري، مرة أخرى، إلى عُمان، وأنزل الهزيمة بقوات سعيد بن سلطان. واستمر هذا القائد في عملياته الحربية، لإخماد الاضطرابات، إلى أن قتل، في جعلان، عام ١٢٢٨هـ/١٨١٣م. وشغلت الدولة السعودية، عند ذاك، بقدوم قوات محمد علي باشا إلى الحجاز، مما دفع قواتها إلى التمركز في البريمي.

- وظل المطيري يشدد في حصاره، حتى اضطرت المدينة إلى طلب الصلح منه، من طريق رئيس القواسم، الشيخ صقر بن راشد، عام ١٢١٢ هـ/١٧٩٧م.

- ولم يكن من السهل على آل سعود، نسيان قتلاهم. فهاجمت القوات السعودية، بقيادة الإمام سعود، في عام ١٢١٦هـ/١٨٠١م، جنوبي العراق، وهدمت القباب والأضرحة والمزارات الشيعية، وهدمت قبة قبر الحسين، في كربلاء، انتقاماً من الشيعة

- أما الشاه الفارسي، الذي استاء مما حدث في الأماكن المقدسة عند الشيعة، أخذ يضغط على والي بغداد، ويطلب منه أن يسمح لقواته بعبور العراق، لمحاربة السعوديين

٥/٢

-وتوقفت حملات الدولة السعودية على جنوبي العراق، لانشغالها بالإعداد لمواجهة خطر الزحف العسكري، القادم من ولاية مصر، من طريق واليها، محمد علي باشا، الذي نفذ أوامر السلطان

- وعلى الرغم من أن التحركات السعودية ضد العراق، استمرت فترة طويلة، استغرقت حوالي ربع قرن (١٢٠٢ - ١٢٢٦هـ / ١٧٨٨ - ١٨١١م)، فإن النفوذ السعودي، لم يستطع أن يوطد قدمه في أي جزء من الأراضي العراقية، ولم تستطع الدرعية أن تعين لها عمالاً، في أي بلدة عراقية

- وكانت بداية تحدي الدولة السعودية لوالي الشام، عام ١٢٢١هـ/١٨٠٦م، حينما منع الإمام سعود بن عبدالعزيز. أمير الحج الشامي، عبدالله باشا العظم، من الوصول إلى الحرمَين، للحج، بالمحمل، ترافقه الطبول والمزامير. وكادت تقع اصطدامات بين الجند السعوديين وجند عبدالله باشا

- وقد أسهم التشابك المذهبي، في منطقة الخليج العربي، وما كان له من سلبيات، في إيجاد نوع من العلاقة السلبية، بين الدولة السعودية ودولة العجم

٦/١

- لم تصل العلاقة بين الدولة السعودية الأولى وبريطانيا، إلى مستوى العلاقات الخارجية بين الدول، تلك العلاقات ذات المفهوم الدبلوماسي المعروف؛ وإنما كانت عبارة عن اتصالات بسيطة، جرت بين الدولتَين، في مناسبات وظروف معينة.

- وقد رأت بريطانيا ضرورة اتخاذ موقف لين، تجاه الدولة السعودية الأولى، حينما شعرت أن مصالحها الإستراتيجية، في الكويت وجنوب العراق، أصبحت معرضة للتأثير السعودي وضغطه، وبخاصة بعد وصول الحملات السعودية إلى تلك المناطق، وبعد نقل المراكز التجارية البريطانية، التابعة لشركة الهند الشرقية، من البصرة إلى الكويت

- وأرسلت بريطانيا رينود Reinaud، وهو أحد مساعدي الوكيل البريطاني، المستر مانيستي Manisty عام ١٢١٤هـ/١٧٩٩م، إلى الدرعية رئيساً للبعثة البريطانية الرسمية إلى العاصمة السعودية، لإجراء محادثات مع المسؤولين السعوديين، حول إيجاد نوع من العلاقات الودية وحسن المعاملة بين الدولتَين
٦/١

- وقد أفصحت بريطانيا عن كراهيتها للحكم السعودي، بعد سقوط الدرعية؛ وكانت لا ترغب أبداً، أن ترى دولة قوية محلية، تجاورها في الخليج العربي؛ لأن ذلك يشكل مصدر إزعاج لها - حين أرسلت الحاكم البريطاني العام في الهند، سادلر (G.F.Sadlier) .إلى الدرعية، ليهنئ إبراهيم باشا بنجاحه في القضاء على الدولة السعودية الأولى

- وازداد اهتمام فرنسا بالخليج العربي، في فترة حروب نابليون. وصارت فرنسا تحاول، جادة، الاتصال بالقوى المحلية في المنطقة، ومن بينها الدولة السعودية الأولى. فكلفت بعثة جاردان، عام ١٢٢٣هـ/١٨٠٨م، بالقيام بنشاط واسع، في فارس والخليج، والمناطق المجاورة، ودراسة الطرق، التي يمكن استخدامها إلى الهند، لضرب خط المواصلات الإمبراطوية في الشرق

- وقد ازدادت هذه العلاقة سوءاً، بعد غزو الدولة السعودية الأولى مناطق جنوبي العراق وهدم المزارات الشيعية، في كربلاء والنجف، عام ١٢١٦ هـ/١٨٠١م.

- وقد نجحت هذه البعثة في تحقيق هدفها. وكان من ثمار ذلك، أن ساعدت فارس حكومة مسقط، بقوات عسكرية، بقيادة صادي خان، فحاربت إلى جانب قواتها ضد السعوديين، في عمان، واستردت حصون سمايل ونخل.

٧/١

- إن أول تكليف لمحمد علي باشا، كان من قبل السلطان العثماني، مصطفى الرابع، عام ١٢٢٢هـ/١٨٠٧م.

- بسبب الظروف الاقتصادية السيئة في مصر، الناتجة من انخفاض فيضان النيل،

- استيلاء المماليك على الصعيد.

-الخشية من أطماع الدول الأوروبية في مصر.

وفي الحقيقة، كان محمد علي باشا، يطمع في أن تسند إليه ولاية الشام، إضافة إلى ولاية مصر.

- الحملة الأولى، بقيادة أحمد طوسون، واسترداد الحجاز

بلغ عدد رجال الحملة ثمانية آلاف رجل. منهم خمسة آلاف من المشاة والمدفعية، أقلتهم ثلاث وستون سفينة. وثلاثة آلاف من الفرسان، انطلقوا، براً، بقيادة أحمد طوسون، ابن محمد علي، عبر العقبة، نحو ينبع، حيث ستلتقى القوات جميعها.

- وفي ممر وادي الصفراء، تواجهت القوات السعودية، بقيادة عبدالله بن سعود، وسعود بن مضيان، في قتال حقيقي، مع قوات طوسون

٧/١

- راسل طوسون باشا الشريف غالباً، سراً، ليسمح لبعض قواته بدخول مرفأ جدة.

وافق الشريف غالب، وسمح لقوات طوسون بدخول جدة، على الرغم من العهد، الذي جدده مع السعوديين، وكان ذلك في ١٢محرم عام ١٢٢٨هـ /١٥ يناير عام ١٨١

- ولم تتمكن قوات محمد علي باشا، التي توجهت إلى القنفذة، من احتلالها، وهي مركز المقاومة السعودية في الجنوب، بسبب استبسال القائد السعودي، طامي بن شعيب، واستيلائه على آبار الماء، فاضطر قائد الحملة إلى إخلاء الثغر

- وفي تلك الأثناء، توفي الإمام سعود بن عبدالعزيز، في ١١ جمادى الأولى عام ١٢٢٩هـ/مايو ١٨١٤م. وقد خلفه في الحكم ابنه، الإمام عبدالله بن سعود، الذي لم تكن له صفات أبيه، الحربية أو الإدارية، ولم يكن مثله في سداد الرأي

- وفي ٢٨ محرم ١٢٣٠هـ/١١يناير ١٨١٥م، قامت بين قوات محمد علي باشا، الذي شارك في المعركة، وبين قوات السعوديين، بقيادة فيصل بن سعود، معركة حامية الوطيس، في بسل، الواقعة بين الطائف

٧/٢

وتربة. وتمكنت قوات محمد علي باشا من احتلال هذا الموقع السعودي. وبعدها، زحفت هذه القوات المصرية، واحتلت تربة، التي أصبحت، فيما بعد، معسكراً عاماً لقوات محمد علي باشا

- وتمكنت من إلحاق الهزيمة بقوات سعودية، يقودها طامي بن شعيب، في وادي زهران، وأسرت قائدها، الذي أرسل إلى مصر، ومنها إلى الآستانة، حيث أعدم. ثم تقدمت القوات التابعة لمحمد علي في مناطق عسير وتهامة، فاحتلت ثغر القنفذة.

- وجاءت الأنباء إلى محمد علي باشا عن حوادث عصيان، في مصر، من قبل المماليك. واضطربت الأحوال في أوروبا، بسبب إشاعة هروب نابليون من منفاه، في جزيرة هيلانة، واحتمال قيامه بحملة جديدة على مصر. وتحت ضغط هذه الظروف، الداخلية والخارجية، أسرع محمد علي باشا، في الرجوع إلى مصر. فأبحر من جدة في ٥ جمادى الآخرة عام ١٢٣٠هـ/١٦ مايو ١٨١٥م

رفض عبدالله بن سعود هذه الشروط واعتبرها إهانة له. لذا، قرر إرسال وفد من قبله، للتفاوض مع محمد علي باشا مباشرة. فأرسل القاضي عبدالعزيز بن حمد بن إبراهيم، وعبدالله بن محمد بن بنيان

- وعمل محمد علي باشا على تلافي الأخطاء، التي وقعت في الجولة السابقة. فزود الحملة بمجموعة من الأطباء الإيطاليين، للإشراف الصحي على جنودها. وأرفقها بمجموعة من الخبراء العسكريين الأجانب، وعلى رأسهم المسيو فاسيير(Vassière)، الذي كان أركان حرب لإبراهيم باشا. وهو ضابط فرنسي، خدم في جيش نابليون.

٧/٢

- ماوية"، في منتصف جمادى الآخرة عام ١٢٣٢هـ/ أول مايو ١٨١٧م. ولكنه مني بخسارة فادحة، ووقع فيه القتل، وخسر كثيراً من السلاح، مما أدى إلى انهيار الخطة العسكرية السعودية. وزاد في تصدع الجبهة السعودية، انضمام فيصل الدويش، رئيس عربان مطير، إلى جانب إبراهيم باشا. وتراجعت القوات السعودية إلى بلدة الخبراء، ومنها إلى بلدة عنيزة، حيث تحصنت بها.

- ولكنه لمس سوء حالة جنوده، فاضطر إلى قبول عقد الصلح مع أمير الرس، على شروط، منها:

رفع الحصارعن الرس.

- وضع أهل الرس السلاح، والبقاء على الحياد.

- منع دخول جنود إبراهيم باشا وضباطه، إلى الرس.

- عدم إجبار أهل الرس على تقديم شيء من المؤن والذخيرة للجيش، أو على دفع غرامة أو ضريبة

تسليم الرس لإبراهيم باشا، إذا استولى جيشه على عنيزة دون قتال. أما إذا لم ينجح في ذلك، فيعد القتال متجدداً بين الطرفين

- **وطال حصار الدرعية مدة خمسة أشهر**

٧/٣

- وضعفت الجبهة الداخلية في الدرعية، بعد خروج أهلها منها، وتناقص عددهم، وطول الحصار، وارتفاع الأسعار، لقلة الوارد إليهم. وازداد الضعف بعد خروج رئيس الخيالة، غصاب العتيبي، وانضمامه إلى جيش إبراهيم باشا.

- فلما رأى عبدالله بن سعود ما وصل إليه القتال، بذل نفسه وفدى بها النساء والأطفال والأموال . فأرسل إلى إبراهيم باشا، يطلب الصلح، وخرج إلى معسكره، في ٨ ذي القعدة ١٢٣٣هـ/٩ سبتمبر ١٨١٨م

- أن تُسلَّم الدرعية لجيش إبراهيم باشا.

أن يتعهد إبراهيم باشا بأن يبقي على البلدة وأن لا يوقع بأحد من سكانها.

أن يسافر عبدالله بن سعود إلى مصر، ومنها إلى الآستانة عملاً برغبة السلطان.

- ولم يكتف محمد علي باشا بهذا الانهيار، بل رفض الشرط الثاني من الاتفاق. وأمر ابنه إبراهيم، بأن يهدم الدرعية وحصونها وأسوارها، ويخرب منازلها. وقد نفذ إبراهيم باشا هذه الأوامر، وخرب الدرعية، وأشعل فيها النيران. فأصبحت أثراً بعد عين.

٧/٣

- ووصل الإمام عبدالله بن سعود إلى مصر، في ١٧ محرم ١٢٣٤هـ/١٦ نوفمبر ١٨١٨م. واستقبله محمد علي باشا في قصره، في شبرا بالبشاشة. وقال له: "ما هذه المطاولة؟ فرد الإمام: الحرب سجال. فقال الباشا: وكيف رأيت إبراهيم؟ فرد الإمام: ما قصّر. وبذل همته. ونحن كذلك. حتى كان ما قدره المولى". فقال محمد علي: "أنا - إن شاء الله - أترجى فيك عند مولانا السلطان". فقال الإمام: "المقدر يكون". فألبسه محمد علي خلعة. وقدم عبدالله بن سعود ما كان في حوزة أبيه، من نفائس الحجرة النبوية، وكان قد جلبها معه، في صندوق صغير. وفي ١٩ محرم ١٢٣٤هـ/١٨ نوفمبر ١٨١٨م، سافر عبدالله بن سعود إلى الآستانة، حيث أعدم في صفر ١٢٣٤هـ/نوفمبر ١٨١٨م، بعد محاكمة صورية

- وترتب على سقوط الدرعية عدة نتائج: (مناقشة ١١)

انتهاء الدور السعودي السياسي، لفترة مؤقتة، وإنْ بقيت مبادىء الدعوة السلفية راسخة في نفوس أتباعها.

ازدياد نفوذ محمد علي، وامتداد سيطرته حتى شبه الجزيرة العربية، وإعلاء مكانته لدى الدولة العثمانية.

ازدياد الأطماع الاستعمارية في الخليج العربي، وسعي بريطانيا إلى توطيد نفوذها في السواحل العربية.

- كان نظام الحكم في الدولة السعودية الأولى، يستند إلى أحكام الشرع، الواردة في القرآن الكريم والسُّنة النبوية. وقامت بتطبيق الحدود الشرعية على المخالفين.

٨/١

- ولقب الإمام يشتمل علي الزعامتَين، الدينية والسياسية.

- ويقيم الإمام، ويمارس مهام عمله، في الدرعية، عاصمة الدولة السعودية الأولى. وكان له ديوان في قصره، يجتمع فيه إلى مستشاريه وقضاته وأمرائه ورؤساء الأقاليم والشيوخ والعلماء.

- يطلق عليهم لقب أمراء الأقاليم، أو حكام الأقاليم. ولم يكن واحد منهم من أفراد الأسرة السعودية. وقد وجدت هذه المناصب العليا في المناطق، لتسد الحاجة الإدارية، بعد أن توسعت الدولة، فشملت العديد من المناطق.

- ممن التزموا بتعاليم الدعوة السلفية، وأخلصوا ولاءهم للدولة السعودية ونظامها.

أضف إلى هذا، أن الإمام، كان يقدر الرؤساء المحليين، لما لهم من نفوذ قوي عند جماعتهم، وفي مناطقهم، من جهة، ولأنهم أدرى بمشكلات سكان مناطقهم من غيرهم، لأنهم على صلة قوية بهم، من جهة أخرى.

- فوض الشيخ محمد كل الأمور، السياسية والعسكرية، إلى الإمام عبدالعزيز. وتفرغ هو للأمور الدينية

- لم يكن للدولة السعودية الأولى.

جيش منظم، بالمفهوم الذي نعرفه عن الجيوش المنظمة، المتخصصة بالشؤون الحربية

وإنما كان لها جيش جهاد

- وكان الإمام عبدالعزيز بن محمد، هو أول من عين قضاة في أقاليم الدولة السعودية

- كانت الدولة السعودية الأولى، تنفذ أحكام الشرع في المخالفين والمجرمين. وكان القاضي يأخذ بالمذهب، الذي يراه أقرب إلى الصواب، وإن خالف ذلك مذهب الإمام أحمد بن حنبل. وكان لهذا الإجراء التطبيقي، أثر كبير في تفاوت الأحكام، في الحالات المتشابهة، والمتقاربة

- ويذكر بوكهارت، أن زكاة الدولة السعودية الأولى، كانت تصل إلى حوالي مليونَي ريال. وقد أورد ذلك، نقلاً عن بعض أهالي مكة المكرمة. ويتفق ما رواه بوكهارت مع ما ذكره صاحب" لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبدالوهاب"، أن زكاة الدولة السعودية الأولى وصلت إلى أكثر من مليونَي ريال

الدولة السعودية في دورها الثاني

- واقتاد إبراهيم باشا بعض أمراء آل سعود، وأفراداً من أسرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، أسرى وأرسلهم إلى مصر، ومن هناك أرسل عبدالله بن سعود إلى إستانبول، حيث أعدم، في صفر ١٢٣٤هـ/ديسمبر ١٨١٨م.

- وفي هذه الأثناء، انطلق ماجد بن عريعر - أحد زعماء بني خالد - من عند إبراهيم باشا إلى الأحساء، بتأييد منه، ليتولى أمرها

- وفي هذه الأثناء هبط محمد بن مشاري بن معمر - سليل الأسرة النجدية المعروفة، في العيينة، وابن أخت الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود - إلى الدرعية، وكان قد تمكن من الهرب منها، عند استيلاء إبراهيم باشا عليها، واستقر في العيينة.

فقدم من العيينة إلى الدرعية، في أواخر عام ١٢٣٤هـ / ١٨١٩م، وأخذ يعيد بناء البلدة، ويضبط الأمور فيها

- ووجد محمد بن مشاري بن معمر، أنه لا قبل له بالصمود أمام ابن عريعر، فلجأ للحيلة، وأظهر اللين للزعيم الخالدي، ولاطفه بإرسال الهدايا إليه، وأعلن أنه تابع للسلطان العثماني، فلم يترك لابن عريعر سبباً للقتال.

التاسعة/١

- ولكن في هذه الأثناء، ظهر على مسرح الأحداث الأمير مشاري بن سعود بن عبدالعزيز - شقيق الإمام عبدالله بن سعود ولم يجد بداً من أن يتنازل عن الحكم لمشاري بن سعود ويبايعه، وكان تنازله هذا إلى حين، فقد أضمر في نفسه شراً

- لما رأى تركي بن عبدالله غدر محمد بن مشاري بن معمر، بالحاكم الشرعي - بعد ما تنازل له - واستعاد الحكم في الدرعية، صمم تركي بن عبدالله على إعادة الأمر إلى نصابه.

فانطلق من مخبئه في بلدة الحائر إلى بلدة ضرما، وجمع حوله أنصاره ومؤيديه، وسار بهم إلى الدرعية

- الجنود، بقيادة علي المغربي، على المغادرة إلى الحجاز، في أواخر عام ١٢٣٩هـ/١٨٢٤م، وأمر مشاري بن ناصر آل سعود بدخول الرياض، وتوجه هو إلى الوشم، حيث أقام في شقراء، مدة شهر. وفيها قدم عليه أمير عنيزة، يحيى بن سليم، مبايعاً إياه على السمع والطاعة، وذلك في مستهل عام ١٢٤٠هـ / ١٨٢٤م.

ويُعَدّ هذا التاريخ، الذي رحلت فيه القوات المصرية عن نجد، بداية لقيام الدولة السعودية الثانية، وعاصمتها الرياض. وانتقل الحكم في أسرة آل سعود، من أبناء عبدالعزيز بن محمد بن سعود، إلى أبناء عبدالله بن محمد بن سعود.

٩/٢

- وفي خلال عامين، شملت هذه الدولة معظم بلاد نجد، ودان أهلها بالولاء لتركي بن عبدالله، الذي تحلّى بصفات قيادية عظيمة، جمعت حوله قلوب الزعماء والأهالي

- وفي عام ١٢٤٣هـ / ١٨٢٧م، هرب فيصل بن تركي - نجل الإمام تركي بن عبدالله - من مصر، ولحق بأبيه في الرياض، وساعده على توطيد أركان دولته

- أمر الإمام تركي بن عبدالله ابنه فيصلاً بالتصدي لهما. ودارت بينهما اشتباكات استمرت أياماً، قتل فيها ماجد بن عريعر، ولحق الإمام تركي بن عبدالله بابنه، حيث دارت الدائرة على محمد بن عريعر وأتباعه في معركة (السبيّة)، فولوا مدبرين. وأخذ الإمام تركي بن عبدالله طريقه نحو الأحساء، ودخلها دون قتال، بعد أن هرب منها بنو خالد. وتحصن محمد بن عريعر في قصر الكوت، ثم استسلم للإمام تركي بن عبدالله، الذي عامله بلطف وتقدير. ووفد زعماء القطيف على الإمام، وبايعوه على السمع والطاعة، ثم قدم إليه زعماء رأس الخيمة وجددوا ولاءهم له.

وبهذا، خرجت الأحساء من يد بني خالد، لتصبح ثانية جزءاً من الدولة السعودية. وغادر الإمام تركي بن عبدالله الأحساء، عائداً إلى الرياض، بعد أن ترك عمر بن عفيصان أميراً عليها، وعبدالله الوهيبي قاضياً لها.

- وعلى الرغم من ذلك، حاول تركي بن عبدالله، ألا يتحدى الدولة العثمانية، أو والي مصر، فلم يقترب من مناطق نفوذها، في الحجاز، واعترف بالسيادة الاسمية

- تمكن أحد عبيد مشاري، ويدعى إبراهيم بن حمزة، من قتل الإمام تركي بعد خروجه من المسجد، عقب صلاة الجمعة. وخرج مشاري من المسجد، وشهر سيفه، وتهدد الناس وتوعدهم، ودخل القصر وجلس للناس، يدعوهم للبيعة في الرياض، وذلك في آخر ذي الحجة عام ١٢٤٩هـ/ مايو ١٨٣٤م. ومات الإمام تركي بن عبدالله، بعد عشر سنين، قضاها في إعادة بناء الدولة السعودية.

١٠/١

- مبايعة الامام فيصل : حينما وصل خبر اغتيال الإمام تركي، إلى ابنه فيصل، في القطيف، جمع كبار القادة في جيشه. ومنهم صديقه عبدالله بن علي بن رشيد، وتركي الهزاني رئيس الحريق، وعبدالعزيز بن محمد بن حسن رئيس بريدة، وعمر بن عفيصان أمير الأحساء، وغيرهم، وأطلعهم على ما وقع، فبايعوه بالإمامة. واستقر رأيهم على العودة إلى الرياض، لاسترداد الحكم من مغتصبه

- في١٩ محرم ١٢٥٠هـ/١٨٣٤م، أي بعد ١٨ يوماً، من حادثة الاغتيال، وصل فيصل بن تركي بقواته إلى الرياض، وتمكن من دخولها. وضبط رجاله أبراجها

- معركة، انتهت بمقتل مشاري وستة من رجاله. وكان ذلك بعد أربعين يوماً فقط، من اغتيال الإمام تركي بن عبدالله.

١٠/١

- وفي أثناء إقامته في بلدة الشعراء، في أوائل عام ١٢٥١هـ/ أبريل ١٨٣٥م، عين صديقه الحميم، عبدالله بن علي بن رشيد، أميراً على جبل شمر، بدلاً من صالح بن عبد المحسن بن علي. وبذلك، انتقلت إمارة جبل شمر، من آل علي إلى آل رشيد، وهي الأسرة التي أصبح لها تأثير كبير في تسيير دفة الأحداث، في منطقة نجد، في الفترة التالية

- فجهز حملة عسكرية، بقيادة إسماعيل بك، ووضع على رأسها، من الناحية الشكلية، خالد بن سعود بن عبد العزيز - الشقيق الأصغر للإمام عبدالله بن سعود

- ودخل خالد بن سعود وإسماعيل بك، بقواتهما، الرياض، دون قتال، في ٧ صفر ١٢٥٣هـ/مايو ١٨٣٧م.

- وأراد خالد بن سعود، أن يخضع المناطق الجنوبية من نجد، بالقوة، بعد أن رفضت طاعته، فأنزلت به هزيمة ساحقة، قرب بلدة الحلوة، في ١٥ ربيع الثاني عام ١٢٥٣هـ / يوليه ١٨٣٧م، وعاد بفلوله إلى الرياض.

١٠/٢

- وقد أرسل محمد علي حملة عسكرية، بقيادة واحد من أمهر قادته العسكريين، وهو خورشيد باشا.

- الطرفين في معركة الخراب، في جهة الدلم، تغلبت فيه قوات خورشيد باشا على الإمام فيصل وأتباعه. وانتهى الأمر باستسلام فيصل بن تركي، في رمضان ١٢٥٤هـ/ نوفمبر ١٨٣٨م، بعد أن حصل على الأمان للبلدة. وفي اليوم الثاني من شوال، أخِذ إلى مصر، ومعه ولداه، عبدالله ومحمد، وأخوه، جلوي بن تركي، وابن أخيه، عبدالله بن إبراهيم بن عبدالله، حيث انضموا إلى بقية آل سعود هناك. وكانت تلك نهاية الفترة الأولى، من حكم الإمام فيصل بن تركي.

- وكان نجاح خورشيد باشا، في مد نفوذ محمد علي باشا إلى منطقة الخليج العربي، مثار تخوف من بريطانيا، فوجدت في هذه السيطرة المصرية تهديداً لمصالحها. وبدأت تقف ضد طموحه، وساندت الدولة

العثمانية على حربها ضد قوات محمد علي، حتى اضطر إلى توقيع معاهدة لندن في ١٥ يوليه ١٨٤٠م، وسحب قواته من بلاد الشام والجزيرة العربية. وبذلك، لم تطل إقامة قوات خورشيد باشا في منطقة الخليج ونجد، فوصلته الأوامر من مصر بالعودة. وبدأ الانسحاب إلى الحجاز، ومنها إلى مصر، بعد أن ترك حاميات صغيرة، لتدعم حكم خالد بن سعود، في الريا

١٠/٢

- وتوجه إلى الرياض، وبعد قتال مع أهلها، في شوال ١٢٥٧هـ/ نوفمبر ١٨٤١م، هاجمها، وخاض قتالاً مع جنود الحملة المصرية فيها، وقد كانوا اعتصموا بالقصر، ثم دخلها، عنوة، وأجبر الحامية العسكرية فيها على مغادرتها، بعد أن أمّنهم. وتوافد زعماء المنطقة على ابن ثنيان، في الرياض، يبايعونه ويعلنون له ولاءهم

- فيصل بن تركي أن يغادر مصر، في بداية عام ١٢٥٩هـ/فبراير ١٨٤٣م، ووصل إلى جبل شمر، ومعه ابنه، عبدالله بن فيصل، وأخوه، جلوي بن تركي وابن أخيه، عبدالله بن إبراهيم بن عبدالله. وبدأت الفترة الثانية من حكم الإمام فيصل بن تركي.

- وهنا، توجه فيصل بن تركي وأتباعه إلى الرياض، ولم يقع بينه وبين أهلها قتال. واستطاع، أخيراً، أن يدخلها، في ربيع الثاني عام ١٢٥٩هـ/مايو ١٨٤٣م، بفضل المساعدة التي قدمها له أهلها.

- وبذلك، انتهت فترة عبدالله بن ثنيان، التي دامت عامَين. وبدأت الفترة الثانية من حكم الإمام فيصل بن تركي، التي استمرت ثلاثة وعشرين عاماً.

١١/١

- ولم ينجح الإمام فيصل في تحقيق مشروعه، بضم البحرين أو إخضاعها له، بسبب حملة الشريف محمد بن عون على نجد، التي مر ذكرها، ثم موقف بريطانيا الحازم، ضد أي نفوذ سعودي في منطقة الخليج، حيث مصالحها الإستراتيجية.

- ما رآه الإمام فيصل، من قوة الدولة العثمانية، فإنه أظهر استعداداً دائماً للتفاهم معها، وأعلن التبعية الاسمية لها، وطبق عليه نظام الالتزام العثماني، وهو أن يدفع إلى الدولة مقداراً من المال، دليلاً على التبعية

- وكان في إعلان الإمام تبعيته للدولة العثمانية رادع لبريطانيا من أي محاولة للاعتداء على قواته.

١١/١

- ولكن سرعان ما بدأ الصراع بين الإمام عبدالله بن فيصل وأخيه، سعود بن فيصل، لتبدأ حرب أهلية، استمرت عشر سنوات. فبعد عام من تولي عبدالله، خرج عليه سعود ونازعه الحكم. وهناك عدة روايات لخروج سعود:

منها ما روي عن اضطهاد عبدالله أخاه سعوداً، ومنعه الناس من الاتصال به، مما دفعه إلى النقمة.

وهناك من يرى أن فترة تولي سعود إمارة الخرج، التي كانت طويلة نسبياً، ونجاحه في إدارتها، جعلته يعتاد حياة معينة، تفرض عليه التزامات، ربما صعب على أخيه، عبدالله، توفيرها له.

ومنها ما يقول، إن سعوداً أضمر الحقد على أخيه، بعد عزله عن إمارة الخرج، في أواخر عهد أبيه. وكان سعود يظن أن أخاه، عبدالله، وراء قرار عزله.

وعلى العموم، فإن الطموح إلى السلطة، كان أهم عامل في خروج سعود على طاعة أخيه.

- وأعلن سعود بن فيصل العصيان على أخيه، وتوجه إلى عسير، يطلب المساعدة من أميرها، محمد بن عايض بن مرعي، الذي كان من المؤيدين للدعوة الإصلاحية في نجد، ومن المتعاطفين مع الحكم السعودي. وأرسل الإمام عبدالله بن فيصل وفداً إلى أخيه، في أبها، لعله يرده عن تمرده، ويثنيه عن شق عصا الطاعة عليه. وطلب الوفد، وابن مرعي، من سعود، أن يعود إلى أخيه، ويترك الشقاق. ولكن كل محاولاتهم فشلت

الثانية عشر/١

- توجه إلى نجران. فرحب به رئيسها، المسمى السيد. وكانت نجران، منذ عهد الدولة السعودية الأولى، تغذي الحركات المناوئة للنفوذ السعودي. ويرجع السبب الرئيسي لذلك إلى الاختلاف المذهبي، إذ تعتنق قبائل يام، وهم أهل نجران، المذهب الإسماعيلي. وكان في مصلحة رئيس نجران، أن يدب الشقاق والانقسام في البيت السعودي، فقدم النصرة والتأييد لسعود بن فيصل، فاجتمعت له حشود كبيرة من قبائل يام، وأمده رئيس نجران بالمال، وأرسل معه اثنين من أولاده

- واستنفر قواته، ووضع على رأسها أخاه، محمد بن فيصل. وتقابل الجيشان في مكان، بالقرب من وادي الدواسر، يقال له المُعْتَلَى. ودار القتال بين الأخوَين، فلحقت الهزيمة بسعود وقواته، وجرح هو في المعركة، ولحق بيديه عطب شديد. وقتل فيها ابنا رئيس نجران، وكثير من أتباعه. وعاد محمد بن فيصل بجيشه إلى الرياض، وذلك عام ١٢٨٣هـ/ ١٨٦٦م.

١٢/١

- وكانت بريطانيا، صاحبة النفوذ هناك، تكره الإمام عبدالله، وتتعاطف مع سعود. فرتبت مع أمير البحرين، أن يجعل من بلاده مركزاً لنشاط سعود. فتوجه إليها، ورحّب به أميرها، عيسى بن خليفة، عام ١٢٨٧هـ/١٨٧٠م

- جودة، في الأحساء، حيث دارت بينهما معركة، في ٢٧ رمضان عام ١٢٨٧هـ/ديسمبر ١٨٧٠م. وفي أثناء المعركة، انقلبت فئات من قبيلة سبيع، على جيش محمد بن فيصل، وانضموا إلى جانب قوات سعود، بعد جهود بذلها زعيم العجمان، راكان بن حثلين، مع زعيم سبيع. فانقلب الوضع في مصلحة سعود. فانتصر على قوات أخيه، محمد بن فيصل، وتمكن من أسره، وأرسله إلى القطيف، حيث سجنه. وقدمت عليه، عند جودة، وفود

١٢/٢

أهل الأحساء، للمبايعة. ثم سار إلى الأحساء، واستولى عليها. وهنا، تكون المنطقة الشرقية خارج سيطرة الإمام عبدالله بن فيصل

- وواصل سعود، وأعوانه، الزحف، من الدلم إلى ضرما، ثم حريملاء، واستولى عليهما، بعد معارك شديدة، في محرم ١٢٩٠هـ/ مارس ١٨٧٣م. ومن هناك، قصد الرياض، وتقابل مع أخيه، عبدالله، وأهل الرياض، في الجزعة، جنوبي منفوحة - ولحقت الهزيمة بعبدالله وجنوده، ودخل الرياض، للمرة الثانية، وبايعه أهلها، وقدمت عليه الوفود للمبايعة، بينما هرب عبدالله، مع أعوانه من قحطان، إلى الصبيحية، القريبة من الكويت.

- ولما وصل عبدالرحمن إلى الرياض، كان أخوه، سعود بن فيصل، غازياً. وأصابه المرض، وهو في حريملاء، في ذي القعدة ١٢٩١هـ/ ديسمبر ١٨٧٤م. وتوفي في مرضه ذاك، في ١٨ من ذي الحجة ١٢٩١هـ/ ٢٧ يناير ١٨٧٥م. فحل عبدالرحمن بن فيصل محله في الحكم.

)

١٢/٢

- وللجهود التي بذلها الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن آل الشيخ، أثر كبير في إقناع عبدالرحمن بالتنازل عن الإمامة، لأخيه، عبدالله. وبذلك، استعاد عبدالله بن فيصل الحكم،

- والتقى الطرفان في الروضة المسماة "أم العصافير"، بالقرب من المجمعة، حيث دارت معركة، انتهت بانتصار ابن رشيد وأتباعه انتصاراً عظيماً. وقتل فيها كثيرٌ من أتباع الإمام عبدالله بن فيصل، ومنهم تركي بن عبدالله بن تركي بن محمد بن سعود.

وأدى هذا الانتصار إلى زيادة أطماع ابن رشيد في الاستيلاء على نجد

١٢/٢

- وكان أبناء سعود بن فيصل يقومون، من جانبهم، بعمليات غزو، ضد بعض القبائل، منطلقين من مركزهم في الدلم. وحققوا في بعض هذه الغزوات نجاحاً، شجعهم على دخول الرياض، والقبض على عمهم، الإمام عبدالله، والاستيلاء على مقاليد الأمور، في أواخر محرم ١٣٠٤هـ/ أكتوبر ١٨٨٦م.

- وهنا، تذرع محمد بن رشيد بالدفاع عن الإمام الشرعي، الذي هو، في الوقت نفسه، زوج شقيقته. ولما اقترب من الرياض، خرج إليه رهط من زعمائها، ليتفاوضوا معه، حقناً للدماء. وتصالحوا مع ابن رشيد على أن يخرج أبناء سعود بن فيصل منها، ويقصدوا مركزهم السابق، في الخرج. وبذلك، دخل الرياض دونما قتال. وأفرج عن الإمام عبدالله، وعين على الرياض أميراً من قبله، هو سالم بن سبهان. وعاد ابن رشيد إلى حائل، ومعه الإمام عبدالله بن فيصل، وأخوه، عبدالرحمن بن فيصل.

وبهذا، صارت العاصمة السعودية تحت سيطرة أمير الجبل، محمد بن عبدالله بن رشي

- وتُعَدّ معركة المليداء من المعارك الفاصلة، إذ نتج منها بسط ابن رشيد سيطرته التامة على إقليم نجد، ووضع تحت يده موارد، زراعية واقتصادية، مهمة.

- وكانت معركة حريملاء آخر معركة، قادها أئمة الدولة السعودية الثانية. وكانت إيذاناً بنهاية تلك الدولة.

==========